

الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقما

لأخبار دول المغرب الاقصى

الدولة المرينية
(القسم الثاني)

الجزء الرابع



تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحبي السادة :

الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري .



حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة المرينية

القسم الثانى

الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله

ابى بكر بن ابى عنان بن ابى الحسن المرينى

هذا السلطان أول من استبد عليه من ملوك بنى مرين . أمه : أم ولد اسمها الياسمين . كنيته : أبو يحيى ، وهى كنية كل من اسمه أبو بكر : لقبه . السعيد بالله . صفته : درى اللون مستدير الوجه حسن الانف ألعس الشفتين ، براق الثنايا ، جعد الشعر . بوع وابوه مريض فى التاريخ ! المتقدم ، وكان محجوبا بوزيره حسن بن عمر الفودودى لا يملك معه ضرا ولا نفعا ، ولما بوع لحق أخوه عبد الرحمن (*) بن أبى عنان يجبل الكاى وكان أسن منه ، وانما آثروه لمكان ابن عمه مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى من وزارته ، فبعثوا اليه من لاطفه واستنزله على الامان وجاء به الى اخيه فاعتقله الحسن بن عمر بقبضته من فاس ، وبعث على ابناء السلطان الاصاغر الامراء بالغور ، فجاء المعتصم من سجلماسة ، وامتنع المعتد بمراكش وكان بها فى كفالة عامر(*) بن محمد الهنتاتى ، وكان عامر هذا من بيتات هنتاة واهل الرياسة والشرف فيهم ، وكان السلطان أبو عنان قد أوصى اليه بولده المذكور وجعله هناك لنظره ، فلما بعثوا عليه منعه من الوصول اليهم ، وخرج به من مراكش الى حصنه من جبل هنتاة فجهز اليه الوزير حسن بن عمر الجيوش لنظر الوزير سليمان بن داود مشاركته فى الاستبداد ، وسرحه فى المحرم سنة

(*) عبد الرحمن هذا لم يعد لصاحب روضة التشرين فى جملة اولاد السلطان ابى عنان.

(*) انقار ترجمة عامر هذا عند ابن خلدون ج اول طبع الجزائر ص ٣٥٩ ، والتى تليها

ستين وسبعمائه، فسار الى مراكش فاستولى عليها ثم تخطى الى الجبل فأحاط به وضيق على عامر حتى أشرف على اقتحام الحصن الى ان بلغه خبر افتراق بنى مرين بفاس ،وظهور منصور بن سليمان بها على ماذكره ، فانفض العسكر من حوله وتسابقوا الى منصور فلحقوا به ، ولحق به سليمان بن داود أيضا وتتفلس الحصار عن عامر ومكفوله ، والله غالب على أمره



ظهور ابي حموموسى بن يوسف الزيانى واستيلاءه على تلمسان
ونهوض مسعود بن عبد الرحمن اليه وطردها عنها



كان بنو عامر بن زغبة من عرب هلال خارجين على السلطان ابي عنان منذ استيلائه على تلمسان وكانت رياستهم الى صغير بن عامر بن ابراهيم ، ولما رجع أبو عنان الى فاس اعترم صغير على الرحلة بقومه الى وطنهم من صحراء المغرب لانهم كانوا منتبذين عنها باطراف افريقية ، فدعوا أبا حموموسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان الى الرحلة معهم لينصبوه للامر ويجلبوا به على تلمسان فأجابهم الى ذلك ، واغذوا السير الى المغرب للعث فى نواحيه ، فجمع لهم أعداؤهم من سويد وكانوا خالصة لبنى مرين فالتقوا بقبله تلمسان فانهزمت سويد ، وهاك كبيرهم عثمان بن ونزار ، واتصل بهم فى أثناء ذلك خبر وفاة السلطان ابي عنان بفاس ، فاغذوا السير الى تلمسان وقتلوا عليها حامية بنى مرين ثم اقتحموها عليهم للبال خلون من ربيع الاول سنة ستين وسبعمائه ، واستباحوا من كان بها منهم ، وامتلاّت ايديهم من أسلابهم ، واستولى ابو حمو على ملك تلمسان واستأثر بما الفاه بها من متاع بنى مرين ومن جعلته هدية كان السلطان ابو عنان أعدها هنالك ليعث بها الى طائفة برشلونة وفيها فرس أدهم من مقرباته بمركب ولجام مذهين ثقيلين فاتخذ أبو حمو الفرس لركوبه ، وصرف باقى الهدية فى وجوه مقاصده ولما انتهى الى الوزير حسن

ابن عمر خبر تلمسان واستيلاء أبي حمو عليها جمع شيوخ بنى مرين واخبرهم بالتهوض اليها فأبوا عليه من التهوض بنفسه ، وأشاروا بتجهيز العساكر ووعدوه من انفسهم المسير كافة ففتح ديوان العطاء وفرق الاموال واسنى الصلات وازاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد ، ثم عقد عليهم لمسعود بن عبد الرحمن بن ماسى وحمل معه المال وأعطاه الآلة وسار فى العساكر والاولوية ولما اتصل خبر مسيره بابى حمو أفرج له عن تلمسان ودخلها مسعود فسى ربيع الثانى من السنة المذكورة فاستولى عليها وخرج ابو حمو الى الصحراء الى ان كان ما نذكره .



ظهور منصور بن سليمان وبيعة مسعود بن عبد الرحمن له

وما نشأ عن ذلك



منصور هذا هو منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق ، وكان الناس يرجفون بان ملك المغرب سائر اليه بعد وفاة أبي عثان وشاع ذلك على السنة الناس حتى تحدث به السمر والندمان وخشى منصور على نفسه من ذلك فجاء الى الوزير حسن بن عمر وشكيا اليه ذلك فنهاه أن يختلج بفكره هذا الوسواس وانتهره انتهارا خلا عن وجه السياسة فانزجر واستكان . قال ابن خلدون : « ولقد شهدت هذا الموطن فرحمت ذلة انكساره وخضوعه فى موقفه » . ثم لما نهض مسعود بن عبد الرحمن الى تلمسان واستولى عليها كان منصور هذا فى جملة ، ولما فر ابو حمو الى الصحراء اجتمعت عليه جموع العرب من بنى زغبة وبنى معقل ثم خالفوا بنى مرين الى المغرب واحتلوا بانكاد بحللم وظواعنهم ، فجهز اليهم مسعود بن عبد الرحمن عسكرا من جنوده اتقى فيه مشيخة بنى مريـن وامراءهم ، وعقد عليهم لابن عمه عامر بن عبد الله بن ماسى وسرحه ، فزحف

الى العرب بساحة وجدة فصدقه العرب القتال ، فانكشفت بنو مرين واستبيح معسكرهم واستلبت مشيختهم وأرجلوا عن خيولهم ودخلوا الى وجدة عراة وبلغ الخبر الى بنى مرين الذين بتلمسان وكان فى قلوبهم مرض من استبداد حسن بن عمر عليهم وحجره لسلطانهم فكانوا يتربصون بالدولة الدوائر ، فلما بلغهم هذا الخبر حاصوا حيصة حمر الوحش وخلصوا نجيا بساحة البلد ، فاتفقوا على البيعة ليعيش بن على بن أبى زيان بن يوسف بن يعقوب فبايعوه ، وانتهى الخبر الى مسعود بن عبد الرحمن وكان فى جملة منصور ابن سليمان كما قلنا فأكراهه على البيعة ، وبايعه معه الرئيس الايكم من بنى الاحمر ، وقائد النصارى القهر دور ، وتسائل اليه الناس من كل جانب ، وتسامع الملا من بنى مرين بالخبر فتهاودوا اليه وذهب يعيش بن على لوجهه فركب البحر الى الاندلس ، واستتب أمر منصور بن سليمان واجتمع بنو مرين على كلمته فارتحل بهم من تلمسان يريد المغرب ، واعترضتهم جموع العرب فى طريقهم فاوقعت بهم بنو مرين وامتلأت ايديهم من اسلابهم وظعنهم ، ثم أغذوا السير الى المغرب فاحتلوا بوادى سبو فى منتصف جمادى الآخرة من سنة ستين وسبعمائة ، وبلغ الخبر الى الحسن بن عمر فبرز واضطرب معسكره بساحة البلد ، واخرج السلطان السعيد فى الآلة والتعية الى أن أنزله بفسطاطه ، ولما غشيهم الليل انفض عنه الملا الى منصور فاوقد الوزير الشموع وأذكى النيران وجمع الموالى والجند حول الفسطاط حتى أركب السلطان وعاد به الى قصره وتحصن بالبلد الجديد ، واصبح منصور بن سليمان فارتحل فى التعية حتى نزل بكدية المرائس فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة وغدا على فاس الجديد بالقتال وجمع الايدى على اتخاذ الآلات للحصار ، واثالت عليه وفود الاصار بالمغرب للبيعة ، ولحقت به كائب بنى مرين التى كانت مجمرة على حصن عامر بن محمد الهنتاتى ، ولحق به أيضا قائدها سليمان بن داود وكاد أمره يتم وأقام على فاس الجديد يفاديهما القتال ويراوحها ، ثم بدا الخلل فى عسكره ونزع عنه الى الوزير حسن بن عمر طائفة من بنى مرين ، ولحق آخرون ببلادهم

ووقفوا ينتظرون مآل أمره ، واستمر هذا الحال الى غرة شعبان فينما الناس في ذلك اذ ظهر السلطان أبو سالم بجبال غمارة فانصرفت اليه وجوه أهل المغرب ، وبطل أمر السلطانتين : أبي بكر السعيد ، ومنصور بن سليمان معاً ، وذابا كما يذوب الملح ، فاما منصور بن سليمان فانه فر الى بادس فقبض عليه وجيء به الى السلطان أبي سالم فقتله ، وأما السعيد فان وزيره الحسن بن عمر لما سمع بظهور السلطان أبي سالم واستفحال أمره نبذ دعوة سلطانه المذكور وبعث بطاعته الى أبي سالم ووعدته بالتمكين من دار الملك ان قدم عليه ، فكان الامر كذلك ، وخلع السعيد يوم الثلاثاء الثاني عشر من شعبان سنة ستين وسبعمئة (*) ، ثم قتل بعد ذلك غرقاً في البحر ، فان السلطان ابا سالم بعثه في جملة الابناء المرشحين من بنى ابي الحسن الى الاندلس ، ووكل بهم من يحرسهم ثم بعد ذلك بعث الى الموكل بهم فحملهم في سفينة كأنه يريد بهم المشرق ثم غرقهم في البحر ، والامر لله وحده



الجزء عن دولة السلطان المستعين بالله

أبي سالم ابراهيم بن أبي الحسن المريني



كان هذا السلطان جواداً ، جم العطاء ، معروف بالوفاء ، كثير الحياء ، كنيته : أبو سالم . لقبه : المستعين بالله . أمه : أم ولد رومية اسمها قمر ، صفته : آدم اللون ، معتدل القامة ، رحب الوجه ، واسع الجبين ، بادن الجسم ، أعين ادعج ، معتدل الحية أسودها . وكان بعد مهلك والده السلطان ابي الحسن رحمه الله قد استقر بالاندلس . بعثه اليها أخوه أبو عنان كما مر ، ولما مات أبو عنان المذكور وولى ابنه الصبي طمع أبو سالم هذا في الملك ، فاستاذن الحاجب رضوان مدير دولة ابن الاحمر بالاندلس في اللحاق ببلاده فأبى عليه ، فغاضه ذلك

(*) وكانت دولته سبعة اشهر وعشرين يوماً

ونزع عنه الى طائفة قشتالة وتطارح عليه فى أن يحمله الى بر المدوة يطلب ملك ابيه فأسعفه وامر به فحمل فى مركب والقى به ملاحه فى ساحل بلاد غمارة بعد أن تردد فى أى السواحل يليقه ، ووافق ذلك اختلاف الكلمة بفاس ومحاصرة منصور بن سليمان للمدينة البيضاء ، فسمع الناس بخروجه ببلاد غمارة احوج ماكانوا اليه فسايلوا اليه من كل وجه ، وانفض الناس من حول منصور ومشى أهل معسكره بأجمعهم على التعية فلحقوا بالسلطان أبى سالم واستغذوه الى دار ملكه فأغذ السير اليها . وخلع الحسن بن عمر سلطانه السعيد من الامر لتسعة أشهر من خلافته ، وأسلمه الى عمه فخرج اليه وبايعه ، ودخل السلطان ابو سالم البلد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان من سنة ستين وسبعمئة ، واستولى على ملك المغرب ، وتواف وفود النواحي بالبيعات وعقد للحسن بن عمر على مراكش ، وجهزه اليها بالعساكر تخففا منه وربة بمكانه من الدولة ، واستوزر مسعود بن عبد الرحمن بن ماسى والحسن بن يوسف الورتاجنى ، واصطفى من خواصه خطيب أبيه الفقيه ابا عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق وجعل الى ابى زيد عبد الرحمن بن خلدون صاحب التاريخ توقيعه وكتابة سره ، قال : « وكنت نزعته اليه من معسكر منصور ابن سليمان بكديّة العرائس لما رأيت من اختلاف احواله ومصير الامر الى السلطان أبى سالم فاقبل على وانزلنى بمحل التنويه واستخلصنى لكتابته اه »



قدوم الغنى بالله ابن الاحمر ووزير ابن الخطيب مخلوعين

على السلطان أبى سالم والسبب فى ذلك



قد قدمنا أن السلطان ابا الحجاج قتل يوم عيد الفطر بالمصلى سنة خمس وخمسين وسبعمئة وولى الامر من بعده ابنه الغنى بالله محمد بن يوسف ، وكان له أخ اسمه اسماعيل فجعله الغنى بالله فى بعض القصور من حمراء غرناطة احتفاظا به الى ان كان رمضان من سنة ستين وسبعمئة فخرج الغنى

بالله الى بعض منتزهاته خارج القصة ، ولما كانت ليلة سبع وعشرين من رمضان المذكور أو ثمان وعشرين منه تصور جماعة من شيعة اسماعيل المجبوس عليه القصة ليلا وأخرجوه من محبسه واعلنوا بدعوته ، ثم اقتحموا على حاجبه رضوان داره فقتلوه على فراشه وبين نسائه ، وضبطوا القصة ، واعلنوا بالدعوة ، ولم يرع الغنى بالله الا قرع الطبول بالقصة فى جوف الليل ، فاستكشف الخبر وتسمع فعلم بما تم عليه من خلعه وتولية أخيه ، فركب فرسه وخاض الليل الى وادى آش فاستولى عليها وضبطها ، وباعه أهلها على الموت ، ثم عمد شيعة اسماعيل الثائر الى الوزير ابن الخطيب فاودعوه السجن بعد أن أغروا به نائزهم واكنسحوا داره واصطلموا نعمته وأتلفوا موجوده ، وكان شيايجل عن الحصر ، واتصل ذلك كله بالسلطان أبى سالم وكانت له مصافاة مع ابن الاحمر من لدن كان عنده بالاندلس ، فكتب اسماعيل الثائر وشيعته يأمرهم بتخلى طريق الغنى بالله للقدوم عليه ، ويشفع فى تسريح ابن الخطيب وتخلى سبيله فأجابوا الى ذلك وقدم الغنى بالله ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب على السلطان أبى سالم فى السادس من محرم ففتح سنة احدى وستين وسبعمئة ، فأجل السلطان أبو سالم قدومه ، وركب للقائه ، ودخل به الى مجلس ملكه وقد احتفل فى ترتيبه وقد غص بالمشيخة والعلية ، ووقف وزيره ابن الخطيب على قدميه فأنشد السلطان ابا سالم قصيدته الرائية يستصرخه لسلطانه ، ويستحثه لمظاهرته على أمره واستعطف واسترحم بما أبكى الناس شفقة له ورحمة ونص القصيدة:

سلا هل لديها من مخبرة ذكر	وهل أعشب الوادى ونم به الزهر
وهل باكر الوسمى دارا على اللوا	غفت آيها الا التوهم والذكر
بلادى التى عاطيت مشمولة الهوى	باكافها والعيش فينان مخضر
وجوى الذى ربي جناحي وكره	فها أنا ذا مالى جناح ولا وكسر
نبت بى لا عن جفوة وملالة	ولا نسخ الوصل الهنى بها هجر
ولكنها الدنيا قليل متاعها	ولذاتها دأبا تزور وتزور
فمن لى يقرب العهد منها ودونسا	مدى طال حتى يومه عندنا شهر

ولله عينا من رأنا وللأسي
وقد بددت در الدموع يد النوى
يكينا على النهر الشروب عشية
أقول لاطماني وقد غالها السرى
رويدك بعد الصر يسران أبشرى
ولله فينا علم غيب وربما
وان تخن الايام لم تخن النهى
وان عركت منى الخطوب مجربا
فقد عجمت عودا صليبا على الردى
اذا أنت بالبيضاء قررت منزلى
زجرنا بابراهيم برء همومنا
بمنتخب من آل يعقوب كلما
تناقلت الركبان طيب حديثه
ندى لو حواء البحر لذ مذاقه
ويأس غدا يرتاع من خوفه الردى
أطاعته حتى العصم فى قن الربا
قصداك ياخير الملوك على النوى
كففتنا بك الايام عن غلوائها
وعدنا بذاك المجد فانصرم الردى
ولما أتينا البحر يرهب موجه
خلافك العظمى ومن لم يدن بها
ووصفك يهدى المدح قصد صوابه
دعتك قلوب المومنين واخلصبت
ومدت الى الله الا كف ضراعة
والبسها النعمى ببيتك التنى
قاصح ثمر الثغر يسم ضاحكا

ضرام له فى كل جانحة جمـ
وللشوق أشجان يضيق لها الصدر
فعاد أجابجا بعدنا ذلك النهـ
وأنسها الحادى وأوحشها الزجر
بانجاز وعد الله قد ذهب الصر
أتى النفع من حال اريد بها الضر
وان يخذل الاقوام لم يخذل الصبر
نقابا تساوى عنده الحلو والمر
وعزما كما تمضى المهنة البتر
فلا اللحم حل ما حيت ولا الظهر
فلما رأينا وجهه صدق الزجر
دجا الخطب لم يكذب لعزته فجر
فلما راته صدق الخبر الخبر
ولم يتعقب مده ابدا جـ
وترفل فى اذباله الفتكة البكر
وهشت الى تامله الانجم الزهر
لتصفنا مما جنى عبدك الدهر
وقد رابنا منها التعسف والكبر
ولدنا بذاك العزم فانهزم الدعر
ذكرنا نذاك الغمر فاحتقر البحر
فايماناه لنو وعرفانه نكر
اذا ظل فى أوصاف من دونك الشعر
وقد طاب منها السر لله والجهر
فقال لهن الله قد قضى الامر
لها الطائر الميمون والمختد الحر
وقد كان مما نابى ليس يفتسر

وامنت بالسلم البلاد وأهلها
وقد كان مولانا أبوك مصرحاً
وكتت حقيقاً بالخلافة بعده
فأوحشت من دار الخلافة هالسة
فرد عليك الله حقه اذ قضى
وقاد اليك الملك رقفاً بخلقه
وزادك بالتمحيص عزا ورفعة
وانت الذى يدعى اذا دهم الردى
وانت اذا جار الزمان محكس
وهذا ابن نصر قد اتى وجناحه
غريب يرجى منك ما انت أهله
ففز يا امير المؤمنين بيعة
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا
وخذ يا امام الحق بالحق ثاره
وانت لها يناصر الحق فلتقسم
فان قيل مال ، مالك الدر وافر
يكف بك العادى ويحيابك الهدى
أعده الى أوطانه عنك راضياً
وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها
وهم يرقبون الفعل منك وصفقة
مرامك سهل لا يثودك كلفة
وما العمر الا زينة مستعارة
ومن باع ما يقنى باق مخلص
ومن دون ماتبعيه يا ملك الهدى
وراد وشقر واضحات شياها
وشهب اذا ما ضمرت يوم غارة

فلا ظلة تعرى ولا روعة تمر
بانك فى اولاده الولد البسر
على الفور لكن كل شىء له قدر
أقامت زمانا لا يلوح بها البدر
بأن تشمل النعمى وبسدل الستر
وقد عدموا ركن الامامة واضطروا
وأجرا ، ولولا السبك ما عرف التبر
وأنت الذى يرجى اذا أخلف القطر
لك النقض والابرام والنهى والامر
مهيض ومن عليك يلتبس الجبر
فان كتتبغى الفخر قد جاءك الفخر
موثقة قد حل عروتها النادر
يا لمرين جاءه العز والتصر
ففى ضمن ما تاتى به العز والاجر
بحق فما زيد يرجى ولا عمرو
وان قيل جيش ، عندك العسكر المجر
وبنى بك الاسلام ما هدم الكفر
وطوفه نعماك التى مالها حصر
فقد صدهم عنه التغلب والقهر
تحاولها يمتاك ما بعدها خسر
سوى عرض ما ان له فى الملا خطر
ترد ، ولكن التناء هو العسر
فقد اتجج المسعى وقد ربح التجبر
جياذ المذاكى والمججلة الفسر
فاجسامها تبر وارجلها در
مصمة غارت بها الانجم الزهر

وأسد رجال من مرين أعززة
عليها من المأذى كل مفاضة
هم القوم ان هبوا لكشف ملمة
اذا سئلوا أعطوا، وان نوزعوا سطوا،
وان مدحوا اهتزوا ارتياحا كانهم
وان سمعوا العواء فروا بأنفس
وتبسم ما بين الوشيج ثغورهم
أمولاي غاضت فكرتي وتبلدت
ولولا خان منك داركتني به
فأوجدت مني فائتا أى فائت
بدأت بفضل لم اكن لعظيمه
وطوقنى النعمى المضاعفة التى
وأنت بتسيم الصنائع كافل
جزاك الذى أسنى مقامك رحمة
اذا نحن أثنين عليك بمدحة
ولكننا ناتى بما نستطيعه

ثم انفض المجلس وانصرف ابن الاحمر الى منزله المعد له وقد فرشت
القصور ، وقربت له الجياد بالراكب المذبة ، وبعث اليه بالكسا الفاخرة ،
وربت الجرايات له ولمواليه من المملوحي وبطانته من الصنائع وانحفظ عليه
رسم سلطانه فى الراكب والراجل ، ولم يفقد من القاب ملكه الا الاداة أدبا مع
السلطان ، واستقر فى جملة الى ان لحق بعد بالاندلس ، وعاد له ملكه سنة
ثلاث وستين وسبعمائة ، وأرغد السلطان أبو سالم عيش ابن الخطيب ، وأفاض
عليه الجرايات ، ورتب له الاقطاعات ، غير انه كان مضمرًا لمفارقة السلطان
والتخل عن خدمته والانفراد بنفسه لاغتنام ما بقى من عمره فى طاعة الله تعالى ،
فكان من أمره فى ذلك ما نذكره .



سفر ابن الخطيب الى مراكش وأعمالها وزيارته لا وليائها ورجالها والسبب فى ذلك



كان ابن الخطيب رحمه الله عندما حصلت له هذه النكبة وخلصه الله منها بانتقاله الى بلاد العدو قد عن له رأى فى الزهد والانقطاع الى الله تعالى واغتنام بقية العمر فيما يعود نفعه فى العاجل والآجل ورفض السلطان واسبابه ، وترك ما يلجئه للوقوف ببابه ، فتلطف فى استئذان السلطان أبى سالم رحمه الله وطلب منه الاذن فى الذهاب الى جهات مراكش والوقوف على آثار الاقدمين بها والتطarach على اوليائها والمثول بأعتابها والتعلق بأذيالها والتمسك بأسبابها ، جاعلا ذلك مفتاح العزلة والتخلى عن الدولة فأذن له وكتب الى العمال باتحافه والاعتناء به ، فتباروا فى ذلك كما يفصح عنه بعض شعره الآتى ، وجعل طريقه على مدينة سلا فتأمل أحوالها ورأها أوفق لمراهه فى العزلة ، فأضمر الاستيطان بها عند عودته من وجهته . ولما دخل مدينة أفنى - وهى الدار البيضاء - مر بها على دار عظيمة تنسب الى والى جبايتها عبو من بنى الترجمان قارون قومه وغنى صنفه ، وكان قد هلك قبل ذلك فقال ابن الخطيب :

« قد مررنا بدار عبو الـوالى وهى تكلى تشكو صروف الليالى
أقصدت ربها الحوادث لما رشقته بصائبات النبال
كان بالامس واليا مستطيلا وهو اليوم ما له من والى »
واظنه فى هذه الوجهة خاطب شيخ العرب مبارك بن ابراهيم بن عطية بن مهلهل الخلطى ونص ما خاطبه به :

« ساحات دارك للضياف مبارك وبضوء نار قراك يهدى السالك
وتوالك المبذول قد شمل الورى طرا وفضلك ليس فيه مشارك
قل للذى قال الوجود قد انطوى والبأس ليس له حسام فاتك
والجود ليس له غمام هاطل والمجد ليس له همام باتك
جمع الشجاعة والرجاحة والندى والبأس والرأى الاصيل مبارك

للدن والدنيا وللشيم الملا
عند الهياج ريمة بن مكرم
ورث الجلالة عن ابيه وجده
فجياهه للآملين مراكب
فاذا المعالي أصبحت مملوكة
يا فارس العرب الذى من يته
يا من يشر باسمه قصاده
أنت الذى استأثرت فيك بغطتي
لا زلت نورا يهتدى بضائه
ويخص مجدك من سلامى عاطر

والجود ان شح الغمام السافك
والفضل والتقوى الفضيل ومالك
فكانهم ما غاب منهم هالك
وخيامه للقاصدين أرائك
أعناقها بالحق فهو المالك
حرم لها حج به ومناسك
فلهم اليه مسارب ومسالك
وسواك فيه مآخذ ومبارك
من جنة للروع ليل حالسك
كالسك صاك به القوالى صائك

الحمد لله تعالى الذى جعل بيتك شهيرا ، وجعلك للعرب اميرا ، وجعل
اسمك فلا ، ووجهك جمالا ، وقربك جاها ومالا ، وآل رسول الله صلى الله
عليه وسلم آلا ، أسلم عليك يا أمير العرب وابن أمرائها ، وقطب سادتها
وكبرائها ، وأهنيك بما منحك الله تعالى من شهرة تبقى ، ومكرمة لا يضل
التصفي بها ولا يشقى ، اذ جعل خيمتك فى هذا المغرب على اتساعه ، واختلاف
أشباعه ، مأنا للخاصة ، على ككرة المذاهب والطوائف ، وصرف اللسان الى
مدحك والخلود الى حبك ، وما ذلك الا لسريرة لك عند ربك ، ولقد كنت ايام
تجمعنى واياك المجالس السلطانية على معرفتك منهلكا ، وطوع الامل سالكا ،
لما يلوح لى على وجهك من سيما المجد والحياة ، والشيم الدالة على العلياء ، وزكاه
الاصول وكرم الآباء وكان الذى رحمه الله قد عين للقاء خال السلطان قريبكم لما
توجه فى الرسالة الى الاندلس نائبا فى تانيسه عن مخدومه ، ومنوها حيث حل
بقدومه ، واتصلت بعد ذلك بينهما المهاداة والمعرفة ، والرسائل المختلفة ، فعظم
لاجل هذه الوسائل شوقى الى التشرف بزيارة ذلك الجنب الذى حلوله شرف
وفخر ، ومعرفته كنز وذخر ، فلما ظهر الان لمحل الاخ القائد فلان اللحاق بك
والتعلق بسبك ، رأيت أنه قد اتصل بهذا الغرض المؤمل بعضى والله تعالى ييسر
فى البعض ، عند تقرير الامر وهدنة الارض ، وهذا الفاضل بركة حيث حل

لكونه من بيت اصالة وجهاد ، وما جدا وابن أمجاد ، ومثلك لا يوصى بحسن
جواره ، ولا ينه على اثاره ، وقيلك من العرب فى الحديث والقديم ، وهو الذى
أوجب لها مزية التقديم ، لم تفتخر قط بذهب يجمع ، ولا ذخر يرفع ، ولا
قصر يبنى ، ولا غرس يبنى انما فخرها عدو يفلب وثاء يجلب وجزر
تنحر وحديث يذكر وجود على الفاقة وسماحة بحسب الطاقة فلقد
ذهب الذهب وفنى النشب وتمزقت الاثواب وهلكت الخيل العراب
وكل الذى فوق التراب تراب وبقيت المحاسن تروى وتقل والاعراض تجلى
وتصقل ولله در الشاعر اذ يقول :

لنما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعسى
هذه مقدمة ان يسر الله بعدها لقاء الامير فيجلى اللسان عما فى الضمير
ومدحى على الاملاك وقف وانما رايتك منها فامتدحت على وسمى
وما كنت بالمهدى لغيرك مدحتسى ولو انه قد حل فى مفرق النجم
وقال فى الشيخ ابن بطان الصنهاجى : صنهاجة آزمور :

« لله درك يا ابن بطان فعما لشهر جودك فى البسطة جاحد
ان كان فى الدنيا كريم واحد يزن الجميع فانت ذاك الواحد
أجريت فضلك جعفرا يحيى به ما كان من مجد فذكرك خالد
فالقوم منك تجمعوا فى مفرد ولد كما شاء العلاء والود
وهى الليالى لا تزال صروفها يشقى بموقعها الكريم الماجد
وبمستعين الله يصلح منك ما قد كان أفسده الزمان الفاسد ،

وقال رحمه الله عند ما توسط بسيط تامسنا :

« كأننا بتا مسنا نجوس خلاهسا وممدودها فى سيرنا ليس يقصر
مراكب فى البحر المحيط تخبطت ولا جهة تدرى ولا البر يصير
وقال رحمه الله يخاطب ابا العباس أحمد بن يوسف حفيد المولى الصالح
سيدى ابي محمد صالح النائم فى ظل صيته رضى الله عنه :

« يا حفيد المولى يا وارث الفخ حر الذى نال فى مقام وحال
لك يا أحمد بن يوسف جينا كل قطر يعيى أكف الرجال »

وقال في نفاضة الجراب : لما خرجت من آسفى سرت الى منزل ينسب الى
أبى حدو وفيه رجل من بنى المنسوب اليه اسمه يعقوب فألطف وأجزل وآنس
في الليل وطلبنى بتذكرة تثبت عندى معرفة فكُتبت له :

نزّلنا عى يعقوب تجل أبى حدو فعرّنا الفضل الذى ماله حد
وقابلنا بالبشر واحفل القزى فلم يبق لحم لم تنله ولا زبد
يحق علينا أن نقوم بحقه ويلقاه منا البر والشكر والحمد «
وقال رحمه الله وقد اتابه البرغوث :

زحفت الى ركائب البرغوث نم الظلام بركبها المخبوث
بالجبة السوداء قابل مقدمى لله أى قرى أعد خيـث
كسحت بهن ذباب سرح تجلدى ليلا فجل الصبر جد ريث
ان صبرت نفسى اذاه تعبـدت أوصحت منه أنفت من تخيشـى
جيشان من ليل وبرغوث فهل جيش الصباح لصرختى بمغيث
وقال رحمه الله وقد أشرف على الحضرة المراكشية حاطها الله تعالى :

« ما ذا أحدث عن بحر سبحت به من البحار فلا اثم ولا حرج
دعاه مبتدع الاشياء مستويا ما ان به درك كلا ولا درج
حتى اذا ما المنار الفرد لاح لنا صحت ابشرى يامطايا جاءك الفرج
قربت من عامر دارا ومنزلـة والشاهد العدل هذا الطيب والارج
ولما وقف على مصانع مراکش وقصورها وقصبتها واعتبر ما صار اليه حالها
بعد الموحدين قال :

بلد قد غزاه صرف الليالى وأباح المصون منه مبيع
فالذى خر من بناء قتيل والذى خر منه بعض جريح
وكان الذى يزور طيب قد تأتى له بها التشريح
أعجمت منه أربع ورسوم كان قدما بها اللسان الفصيح
كم معان غابت بتلك المغانى وجمال أخفاه ذاك الضريح
وملوك تبعدوا الدهر لما أصبح الدهر وهو عبد صريح
دوخوا نازح البسيطة حتى نال ما شاء ذابل وصفيح

حين شبت لهم من البأس نار ثم هبت لهم من النصر ريح
أثر يندب المؤثر لما طال بعد الدنو منه النزع
ساكن الدار روحها كيف يبقئ جسد بعد ما تولى الروح «
ومما قاله فى الشيخ أبى العباس السبتي رضى الله عنه على لسان سلطانه الغنى
بالله وهو يومئذ بفارس :

« ياولى الاله أنت جواد وقصدنا الى حماك المشيع
راعنا الدهر بالخطوب فجننا نرتجى من علاك حسن الصنيع
فمددنا لك الاكف نرجى عودة العز تحت شمل جميع
قد جعلنا وسيلة ترك الزنا كى وزلفى الى العلم السميع
كم غريب أسرى اليك فوافى برضى عاجل وخير سريع..»
وقال يخاطب عميد البلاد المراكشية ، المتميز بالرأى والسياسة والهمة
وافاضة العدل وكف اليد والتجافى عن مال الجباية عامر بن محمد بن على
الهمتاتى :

تقول لى الاطمان والشوق فى الحشا له الحكم يمضى بين ناه وآمر
اذا جبل النوحيد اصبحت فارعا فخيم قرير العين فى دار عامر
وزر تربة المعلوم ان مزارها هو الحج يسعى نحوه كل ضامر
سنلقى بمشوى عامر بن محمد نفور الامانى من ثنايا البشائر
ولله ما تبلوه من سعد وجهه ولله ما تلقاه من يمن طائر
وتستعمل الامثال فى الدهر منكما بخير مزور أو باغبط زائر
لم يكن همى أبقاك الله تعالى مع فراغ البال ، واسعاف الآمال ، ومساعدة
الايام والليال ، اذ الشمل جميع ، والزمان كله ربيع ، والدهر سمع مطيع ،
الا زيارتك فى جبلك الذى يعصم من الطوفان ، ويواصل أمانه بين النجوم
والاجفان ، وأن أرى الافق الذى طلعت منه الهداية ، وكانت اليه العودة ومنه
البداية ، فلما حم الواقع ، وعجز عن خرق الدولة الاندلسية الراقع ، وأصبحت
ديار الاندلس وهى البلاقع ، وحسنت من استدعائك اياى المواقع ، وقوى العزم
وان لم يكن ضعيفا ، وعرضت على نفسى السفر بسبك فالفيتة خفيفا ، والتمست
(الاستقصا - راجع - 2)

الاذن حتى لا نرى فى قبة السداد تحريقا ، واستقبلتك بصدر مشروح ،
وزند للعزم مقدوح ، والله سبحانه وتعالى يحقق السؤل ، ويسهل بمشوى الامائل
المنول ، ويهيب من قبيل هتاتة القبول ، بفضلته « انتهى » .

ولما ذهب الى عامر بن محمد المذكور ورقى الجبل زار الموضع الذى توفى به
السلطان أبو الحسن رحمه الله ، وقد ألم بذكر ذلك فى « نفاضة الجراب » اذ قال : وشاهدت
يجل هتاتة محل وفاة السلطان المقدس أمير المسلمين أبى الحسن رحمه الله
حيث أصابه طارق الاجل الذى فصل الخطه ، وأصمت الدعوة ورفع المنازعة ،
وعاينته مرفعا عن الابتذال بالسكنى مفروشا بالحصاء ، مقصودا بالابتغال
والدعاء فلم أبرح يوم زيارته أن قلت :

يا حسننها من اربع وديار
بجبال عز لاتدل انوفها
ومقر توحيد واس خلافة
ما كنت أحسب أن انهار الندى
ما كنت أحسب ان انوار الحجا
مجت جوانبها البرود وان تكن
هدت بناها فى سيل وفائها
لما توعدها على المجد العندا
عمرت بحلة عامر واعزها
فرسا رهان أحزرا قصب الندى
ورثا عن النذب الكبير أيهمها
وكذا الفروع تطول وهى شبيهة
أزرت وجوه الصيد من هتاتة
لله أى قبيلة تركت لها الـ
نصرت امير المسلمين وملكه
وارت عليا عند ما عظم الردى
وتخاذل الجيش اللهم واصبح الا

أضحت لباغى الامن دار قرار
الا لعز الواحد القهار
آثارها تنبى عن الاخيار
تجرى بها فى جملة الانهار
تلتاح فى قن وفى احجار
شبت بها الاعداء جذوة نار
فكانها صرعى بغير عقار
رضيت بيعت النار لا بالعار
عبد العزيز بمرهف بتار
والباس فى طلق وفى مضار
محض الوفاء ورفعته المقدار
بالاصل فى ورق وفى أثمار
فى جوها بمطالع الاقمار
نظراء دعوى الفخر يوم فخار
قد أسلمته عزائم الانصار
والروع بالاسماع والابصار
بطل بين تقاعد وفسرلار

كفرت صنائعه فيم دارها
واقام بين ظهورها لا يتقى
فكانها الانصار لما أن سميت
لما غدا يحظا وهم أحفانه
حتى دعاه الله بين بيوتهم
لو كان يمنع من قضاء الله ما
قد كان يأمل ان يكافىء بعض ما
ما كان يقنعه لو امتد المدى
فيعد ذاك الماء ذائب فضة
حتى تفوز على النوى او طائها
حتى يلوح على وجوه وجوهمهم
ويسوغ الامل القصى كرامها
ما كان يرضى الشمس أو بدر الدجا
أو ان يتوج أو يقلد ما مها
حق على المولى انه اثار ما
فلملها زخر الجزاء ، ومثلته
وهو الذى يقضى الديون وبسره
حتى تحج محلة رفعوا بها
فيصير منها البيت بيتا ثانيما
تغنى قلوب القوم عن هدى به
حيث من دار تكفل سعيها الـ
وضفت عليك من الاله غناية

مستظها منها بعز جوار
وقع الردى وقد ارتضى بشرار
فيما تقدم غربة المختار
نابت سفارهم عن الاشعار
فأجاب مثالا لامر البشارى
خلصت اليه نوافذ الاقدار
أولوه لولا قاطع الاعمار
الا القيام بحقها من دار
وبعيد ذاك الترب ذوب نضار
من ملكه بجلائل الاوطار
أثر العناية ساطع الانوار
من غير ما ثيا ولا استعمار
عن درهم فيهم ولا دينار
ونحورها بأهله ودراري
بذلوه من نصر ومن اثار
من لا يضع صنائع الأحرار
يرضيه فى علن وفى اسرار
علم الوفاء لاعين النظار
للطائفين اليه أى بدار
ودموعهم تكفى لرمى جمار
محمود بالزلفى وعقبي الدار
ما كر ليل فيك اثر نهار ،

وعنى بالمولى ابنه : السلطان أبا سالم بن أبي الحسن . ثم سار إلى الخطيب إلى
أغمات فزار مشاهدها وشاهد معاهدها فحكى عن نفسه رحمه الله قال : « وقت
على قبر المعتمد بن عباد فى مدينة أغمات فى حركة أعملتها الى الجهات المراكشية
باعثها لقاء الصالحين ، ومشاهدة الآثار سنة احدى وستين وسبعمائة ، وهو

بمقبرة أغمت في تشر من الارض ، وقد حفت به سدره ، الى جنبه قبر اعتماد
حظيته مولاة رميك ، وعليهما أثر التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك . فلم
تملك العين دمعها عند رؤيتهما فاشتدت في الحال :

قد زرت قبرك عن طوع باغمات رأيت ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أئدي الملوك يدا ويا سراج البالي المدلهمات
وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه الى حياتي لجادت فيه أيبات
أناف قبرك من هضب يميزه فتتحيه خفيات التحيات
كرمت حيا وميتا واشتهرت علا فأت سلطان أحياء وأموات
مارى مثلك في ماض ، ومعتقدي ألا يرى الدهر في حال ولا آت
ولما انكفا ابن الخطيب رحمه الله راجعا من سفرته هذه وانتهى الى سلا
أقام بها متنبذا عن سلطانه ، رافضا للملك وأسبابه طول مقامه بالمغرب على
ما تذكره ان شاء الله .



بقية أخبار ابن الخطيب بسلا حرسها الله



قد قدما ان ابن الخطيب كان قد عزم على التخلي عن الدنيا والانقطاع الى
الله تعالى ، وانه اختار أن يكون مقامه بسلا لكونها يومئذ أعون له على مراده من
غيرها حسبما يؤخذ ذلك من مواضع من كلامه ، من ذلك انه لما وصف أمصار
الاندلس والمغرب في مقاماته المشهورة ، وصف مدينة سلا بقوله : « العقيلة
المفضلة ، والبطيحة المخضلة ، والقاعدة المؤصلة ، والسورة المفصلة ، ذات
الوسامة والنضارة ، والجامعة بين البداوة والحضارة ، معدن القطن والكتان ،
والمدرسة والمارستان ، والزواية كأنها : البستان ، والوادي المتعدد الأجفان ، القطر
الأمين عند الرجفان ، والعصير العظيم الشأن ، والاسواق السارة حتى برقيق الجشان
اكتشفها المسرح ، والخصب الذي لا يبرح ، والبحر الذي يأسو ويحرج ، وشقتها
الوادي الذي يتم محاسنها ويشرح ، وقابلها الرباط ، الذي ظهر به من المنصور

الأغباط ، حيث القصة والسباط ، ثم يقع الانحطاط الى شاله مرعى الدم
وتسبب الهمم ، ومشمخ الأنوف ذوات الشمم ، وعنوان الرمم ، حيث الحسنات
المكتبة ، والأوفاف المرتبة ، والقباب كالازهار ، مجودة بذكر الله أثناء الليل
وأطراف النهار ، وظلل حسان المثل فى الاشتهار ، وهى على الجملة من غيرها
أوفق ، ومغارمها لاحترام الملوك الكرام أرفق ، ومقبرتها المنضدة عجب فسى
الانتظام ، معدودة فى المواقف العظام ، ويتأى بها للعباد الخلوة ، وتوجد عندها
للهوم السلوة ، كما قال ابن الخطيب :

وصلت حيث السير فيمن فى القلا فلا خاطرى لما تأى وانجلا انجلا
ولا نسخت كرى بقلبي سلوة فلما سرى فيه نسيم سلا ، سلا
وكفى بالشابل رزقا طريا ، وسمكا بالتفضيل حريا ، يبرز عدد قطر الديم ،
ويباع ببخس القيم ، ويعم المجاشر النائية والخيم ، اه .

وما قاله فى حق سلا من كونها تتأى بها للعباد الخلوة ، هو كذلك معروف
عند صلحاء المغرب وعباده من لدن فديم ، ولذا لما قدم أبو العباس ابن عاشر
رضى الله عنه من الاندلس ، وتنقل فى بلاد المغرب مثل فاس ومكناسة ، لم يطب
له للقرار الا بسلا ، وقد صرح رضى الله عنه بذلك حيث قال :

سلا كل قلب غير قلبى ما سلا أيسلو بفاس . والاحبة فى سلا
بها خيموا فالقلب خيم عندهم فجزوا دموى مرسلا ومسلسلا
ولما ذكر أبو العباس الصومعى رحمه الله فى كتابه الموضوع فى مناقب الشيخ
أبى يعزى رضى الله عنه استجاب زيارة الاولياء قال ما نصه : « ولا سيما فى
مشاهد الاخيار اذا اجتمعوا فى مكان من الامكنة المشرفة كما كانوا يجتمعون
قبل هذا برباط شاكرا ، وبساحل دكالة ، وبسلا ، وبجبل العلم ، وعند الشيخ
أبى يعزى فى أيام الربيع وغير ذلك » اه .

وأقول على ذكر سلا : فقد كتب الى ، وأنا بمراكش حرسها الله ، الاخ فى الله
الفقيه الاديب المحاضر أبو عبد الله محمد بن عزوز الرباطى أصلا المراكشى
داراء بطاقة يقول فيها ما نصه : « الحمد لله وحده . السيد الاخ ، الذى نوب اخائه
ما تسخ ، الفقيه العلامة ، اللابس من أسلحة العلوم الدرع واللامه ، أبسا

العباس السيد أحمد الناصري سلام عليك سلاما ذكى العرف رائج الصرف ،
وبعد فقد اشتقنا الى لذية مذاكرتكم ، وحلو فكاهتكم ، والآن نجب من السيادة
أن تشرفونا بنقل قدمكم وتكرمونا بطلعتكم السعيدة ، بكرة غد ان شاء الله وعلى
الحبة والسلام فى فاتح رجب الفرد سنة أربع وتسعين ومائتين وألف ،
والحق باسفلها ما نصه :

سلا البحر ما بحر بنيت بشطه كبحر علوم فيك أنشئ صالحا
فهذا هو الفياض بالعلم والتقوى وذلك هو الفياض بالماء مانحا

ولم ندر هل اليتان له أو تمثل بهما ، وعلى كل حال فما قاله حفظه الله انما
حمله عليه حسن نيته وصفاء طويته وأما المكتوب اليه بهما فلا والله لا علم ولا
تقى ، الا أن يتعمدنا الله برحمته ، ثم أنى أجبنه بشر تركه للاختصار ووصلته
بآيات أقول فيها ما نصه :

بعثت أبا عبد الله مباحا هو الدر حسنا والشذور لواحا
فنبهت فكرا طالما باتت وروض ذهنا طالما ظل جامحا
وشيدت من ذكرى وقد كان خاملا وهيبت من قلبى الشجى القراحا
وطوقتى النعمى بتقريظك الذى به ظل مجدى للنجوم مصافحا
والا فما قدرى وإن جد جده وما قيتى لو لم تكن لى مادحا
فانت أديب العصر حقا ومن غدا لعمري لا بواب المعارف فاتحا
فخذ من أخيك المي واستر عيوبه وسامح فظنى أن تكون مسامحا
فوصفك يعنى كل أشدق بارع ولو ظل فى بحر البلاغة ساجحا
فلقيت من ذى العرش كل كرامة ووقيت من هذا الزمان الطواحيا
ولا زال هذا الدهر طوعك خادما علاك وطرف السعد نحوك طامحا

ومما مدح به سلا وأهلها قول الامام العلامة الهمام أبى على الحسن بن
مسعود البوسى رضى الله عنه :

مرسى سلا مأوى الشمسم
والمجد عن طول الامم

بلد بحسبك منظر منه ومخبئه أتم
 مسرى الهموم ومسرح الابصار مسلاة الغم
 منرفلا فى حلة من حسنه جنب العلم
 كالجرة الحسناء فى كف الهمام المحترم
 ونراه من جناته منلالنا بين الاجسم
 كالدر بين زمرد فى قرط مارية انتظم
 وكوجه خود حفسه السوالف فى دلم
 وكفرة فى أدهم والصبح فى جنح الاحم
 والنثر من زنجية نرنو اليه وقد بسم
 والبدر ما بين الدجا والشيب فى سود اللهم
 يعلو فوق جنبه علم تعدلى من أمم
 فكانه تاج اللجين على جينى ذى عظم
 أو كالكيبر مزملا أودى بهضته للهمم
 فى رأسه صلغ وفيما تحت جبهته غمم
 أو كالجواد بأنفه من ذلك القصر الرثم
 يكفيك منه هواؤه لا خبث فيه ولا وخمم
 عجا صحيح والهوى أبدا عليل ذو سقم
 وزلاله العذب الذى يشفى القواد من الضرم
 حاكى العقار وفاقها بصفاء لون الشيم
 أبناء مجد فى الالى كانوا يراعون الذمم
 من نبلهم دون العويس ونبلهم خلف الحرم
 ونفيسهم ققع القلا ونفوسهم بيض الرخم
 من كل أبيض وجهه تجلى به سدف الظلم
 فى الخطب بدر لامع ولدى الندى بحر خضم
 وأحبة كانوا لنا كالماء بالراح التأم
 لم يعد بين بيتنا ولو الفراق بنا ألم

البين بين جسومنا لا بين أنفسنا يحرم
 والمهد جبل ما انفصاعه الوداد ولا انفصم
 والصدق نهج قد علا في كل أوجه علم
 والبر مرعاه قرى من فيه للحسنى قـرم
 والنفس أرض قد كرا المعين ذوو الكرم
 والدين روض قد رعى فيه من العقبى رعم
 والعلم ورد ما حلا الا لمن نزرع الحلم
 والسر برق ما أضا الا لمن غسل الأضم
 والدهر دولاب شما فيه سوى أهل الشمم
 من ذاق مورده الصرى يوما فللدنيا صـرم

ولنرجع الى بقية أخبار ابن الخطيب .
 ولما استقر بسلا واطمأن جنبه بها قال :

يا أهل هذا القطر ساعده القطر بيت دلولنى لمن يرفع الامر
 تشاغل بالدينا ونمت مفرطاً وفى شغلى أونومتى سرق العمر
 ثم حرص على لقاء الشيخ ابن عاشر رضى الله عنه حتى ظفر به فعظم
 سروره بذلك وتبجح به اذ قال فى «نفاضة الجراب» : «ولقيت من أولياء الله تعالى
 بسلا الولي الزاهد الكبير ، المنقطع القرين ، فرارا عن زهرة الدنيا وعز وفا عنها ،
 واغراقا فى الورع وشهرة بالكشف ، واجابة الدعوة وظهور الكرامات : أبا العباس
 ابن عاشر ، يسر الله تعالى لقاءه ، على تضرده ، لصعوبة تأتبه وكثافة هيئته ، قاعدا
 بين القبور فى الخلاء ، رث الهيئة مطرق الماحظ ، كثير الصمت مفرط الانقباض
 والعزلة قد ضره أهل الدنيا وتطارحهم فهو شديد الاشمتزاز من قاصده ،
 مجرمز للوثبة من طارقه نفع الله تعالى به » اه كلامه فى «النفاضة» وقال رحمه
 الله من قصيدته العينية السلاوية التى وجهها الى سلا أيام خلف بها أهله
 وولده :

بولى الله فابداً وأبتدر واحد الاحاد فى باب السورع
 ومراده بولى الله ابن عاشر المذكور .

ثم ان ابن الخطيب بعد رجوعه من مراكش جعل يتأب رباط شالة مدفن
 الملوك من بنى مرين ، ومنهم السلطان أبو الحسن رحمه الله للدعاء وقراءة
 القرآن بها وتعاهدا ، وقد كتب بذلك الى السلطان أبي سالم وطلب منه أن يشفع
 له عند أهل الاندلس فى رد متاعه الذى ألتفوه عليه أيام النكة ، ونص الكتاب :
 «مولائى، المرجو لاتمام الصنعة وصلة النعمة واحراز الفخر ، أيقاكم الله تعالى
 تصرب بكم الامثال فى البر والرضا وعلو الهمة ورعى الوسيلة ، مقل موطىء
 قدمكم المنقطع الى تربة المولى والدكم ، ابن الخطيب ، من الضريح المقدس بشالة
 وقد حط رحل الرجاء فى القبة المقدسة وتيمم بالتربة الزكية وقعد بازاء لحدالمولى
 أياكم ساعة اياه من الوجهة المباركة ، وزيارة الربط المقصودة ، والتراب المعظمة،
 وقد عزم أن لا يبرح طوعا من هذا الجوار الكريم والدخل المرعى حتى يصله
 من مقامكم ما يناسب هذا الطارح على قبر هذا المولى العزيز على أهل الارض ،
 ثم عليكم ، والتماس شفاعته فى أمر سهل عليكم ، لا يجر افقاد مال ولا افتحام
 خطر انما هو اعمال لسان وخط بنان وصرف عزم واحراز فخر واطابة ذكر وأجر
 وذلك أن العبد عرفكم يوم ودلحكم أنه ينقل عنكم الى المولى المقدس بلسان المقال ما
 يحضر مما يفتح الله تعالى فيه، ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ما يتلقى عنه من الجواب
 وقال لى صدر دولتكم وخالصتكم وخالصة المولى والدكم سيدى الخطيب،
 يعنى ابن مرزوق، سنى الله تعالى أمله من سعادة مقامكم وطول عمركم: «أنت
 يا فلان والحمد لله ممن لا ينكر عليه الوفاء بهذين الفرضين ، وصدر عنكم من
 البشر والقبول والانعام ما صدر ، جزاكم الله تعالى جزاء المحسنين » وقد تقدم
 تعريف مولائى بما كان من قيام العبد بما نقله الى التربة الزكية عنكم حسبما
 أداه من حضر ذلك المشهد من خدامكم ، والعبد الان يعرض عليكم الجواب
 وهو : أنى لما فرغت من مخاطبته برأى من الملاء الكبير، والجم الغفير ، أكبت
 على اللحد الكريم داعيا ومخاطبا وأصغيت باذننى نحو قبره وجعل فؤادى يتلقى
 ما يوحيه اليه لسان حاله ، فكانى به يقول لى : « قل لمولاك يا ولدى وقرة عيني
 المخصوص برضائى وبرى وستر حريمى ورد ملكى ، وصان أهلى وأكرم
 صنائعى ، ووصل على ، أسلم عليك وأسأل الله تعالى أن يرضى عنك ويقبل عليك،

الدنيا دار غرور (والآخرة خير لمن اتقى) ، (وما الناس الا هالك وابن هالك) ولا تجد الا ما قدمت من عمل يقتضى العفو والمغفرة أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة ومثلك من ذكر فتذكر وعرف فما أنكر ، وهذا ابن الخطيب قد وقف على قبرى وتهمم بى ، وسبق الناس الى رثائى ، وأشدنى ومجدنى وبكى لى ودعا لى وهنأتى بمصير امرئ اليك ، وعفر وجهه فى تربتى ، وأملئى لما انقطعت منى آمال الناس فلو كنت يا ولدى حيا لما وسعنى أن أعمل معه الا ما يليق بى ، وأن أسنقل فيه الكثير ، وأحتقرن العظيم لكن لما عجزت عن جزائه وكلته اليك ، وأحلته يا حبيب قلبى عليك ، وقد أخبرنى انه سلب المال كثير العيال ، ضعيف الجسم ، قد ظهر فى عدم نشاطه أثر السن ، وأمل ان ينقطع بجوارى ويستتر بدخلى وخدمتى ، ويرد عليه حقه بخدمتى ووجهى ، ووجوه من ضاجتنى من سلفى ، ويعبد الله تعالى تحت حرمتك وحرمتى ، وقد كنت تشوفت الى استخدامه فى الحياة حسبما يعلمه حبينا الخالص المحبة ، وخطينا العظيم المزية القديم القربة ، أبو عبد الله ابن مرزوق فأسأله يذكر كى ، واستخبره يخبرك ، فانا اليوم أريد أن يكون هذا انرجل خديمى بعد الممات الى أن نلحق جميعا برضوان الله تعالى ورحمته التى وسعت كل شئ ، وله يا ولدى ولد نجيب يخدم بابك ، وينوب عنه فى ملازمة بيت كتابك وقد استقر بابك قراره ، وتعين بامرك مرتبه ودثاره ، فيكون الشيخ خديم الشيخ والشاب خديم الشاب هذه رغبتى منك وحاجتى اليك ، واعلم أن هذا الحديث لا بد أن يذكر ويتحدث فى الدنيا ، وبين أيدي الملوك والكبراء فاعمل ما يبقى لك فخره ويتخلد ذكره وقد أقام مجاورا ضريحى تاليا كتاب الله تعالى على منتظرا ما يصله منك ويقرأه على من السعى فى خلاص ماله والاحتجاج بهذه الوسيلة فى جبره واجراء ما يليق بك من الحرمة والكرامة والنعمة ، فالله الله ، يا ابراهيم اعمل ما يسمع غنى وعك فيه ، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال . اه والعبد يامولائى مقيم تحت حرمة وحرمة سلفه ، منتظر منكم قضاء حاجته وتعلموا وتحققوا أننى لو ارتكبت الجرائم ، ورزأت الاموال وسفكت الدماء ، وأخذت خسائف الملوك الاعزة ممن وراء النهر من التار ، وخلف البحر من الروم ووراء البصحراء من الحبشة ، وأمكنهم الله تعالى منى من غير عهد ،

بعد ان بلغهم تدمسى بهذا الدخيل ، ومقامى بين هذه القبور الكريمة ما وسع أحد منهم ، من حيث الحياء والحشمة من الاحياء والاموات وايجاب الحقوق التى لا يغفلها الكبار للكبار ، الا الجود الذى لا يتعقبه البخل ، والعفو الذى لا تفسده المؤاخذه ، فضلا عن سلطان الاندلس أسعده الله تعالى وعلا بموالانكم ، فهو فاضل وابن ملوك أفاضل ، وحوله أكياس ما فيهم من يجهل قدركم ، وقدر سلفكم لا سيما مولاي والدكم الذى أتوسل به اليكم واليهم ، فقد كان يتبنى مولاي أبا: الحجاج ويشمله بنظره وصارخه بنفسه وأمهه بامواله ، ثم صير الله تعالى ملكه اليكم ، وأنتم من أنتم ذاتا وقبلاء ، فقد قرت يامولاي عين العبد بما رأت فى هذا الوطن المراكشى من وفور خشودكم وكثرة جنودكم ، وترادف أموالكم وعددكم ، زادكم الله تعالى من فضله ، ولاشك عند عاقل انكم ان انحلت عروة تأمليكم وأعرضت عن ذلك الوطن الاندلسى استولت عليه يد عدوه ، وقد علم تطارحى بين الملوك الكرام الذين خضعت لهم التيجان ، وتلقى ثوب الملك الصالح والد الملوك الكرام مولاي والدكم ، وشهرة حرمة شالة معروفة حاش لله أن يضعها أهل الاندلس ، وما توسل اليهم قط بها الا الان وما يجهلون اغتنام هذه الفضيلة الغريبة ، وأملى منكم أن يتعين من بين يديكم خديم بكتاب كريم يتضمن الشفاعة فى رد ما أخذ لى ، ويخبر بمشواى متراپا على قبر والدكم ، ويقرر ما ألزمتكم بسبب هذا الترامى من الضرورة المهمة والوظيفة الكبيرة عليكم وعلى قبيلكم حيث كانوا ، وتطلبون منه عادة المكارمة بحل هذه العقدة ، ومن المعلوم أنى لو طلبت بهذه الوسائل من صلب ما وسعهم بالنظر العقلى الا حفظ الوجه مع هذا القبيل ، وهذا الوطن ، فالحياء والحشمة يأبيان العذر عن هذا فى كل ملة ونحلة ، واذا تم هذا الغرض ، ولا شك فى اتمامه بالله تعالى ، تقع صدقتكم على القبر الكريم بى ، وتعينونى لخدمة هذا المولى وزيارته وتقده ، ومسح النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المولد فى جواره وبين يديه وهو غريب مناسب لبركم به ، الى أن أحج بيت الله بعناية مقامكم ، وأعود داعيا مثنيا مستديعا للشكر والثناء من أهل المشرق والمغرب ، وأتعوض من ذمتى بالاندلس ذمة بهذا الرباط المبارك يرئها ذريتى ، وقد ساومت فى شىء من ذلك منتظرا. ثمنه مما يباع

بالاندلس بشفاعتكم ، ولو ظننت أنهم يتوفون لكم فى مثل هذا ، أو يتوفع فيه وحشة أو جفاء ، والله ما طلبته ، لكنهم أسرى وأفضل ، وانقطاعى أيضا لوالدكم مما لا يسع مجدكم الا عمل ما يليق بكم فيه ، وها أنا أترقب جوابكم بما لى عندكم من القبول ، ويسعنى مجدكم فى الطلب وخروج الرسول ، لا فتضاء هذا الغرض والله سبحانه يطلع من مولائى على ما يليق به والسلام وكتب فى الحادى عشر من رجب سنة احدى وسنين وسبعمائة ، وفى مدرج الكتاب بعد نثر هذه القصيدة:

مولاى ها أنا فى جوار أبيكا	فابذل من البر المقدر فيكا
أسمعه ما يرضيه من تحت الثرى	والله يسمعك الذى يرضيكا
واجعل رضاه اذا نهدت كنيصة	تهدى اليك النصر أو تهديكا
واجبر يجبرى قلبه تل المنا	وتطالع الفصح الميسن وشيكا
فهو الذى سن البرور بأمه	وأبيه فأشرع شرعه لبنيكا
وابعث رسولك منذرا ومحذرا	وبما تؤمل نيله يأتيكا
فد هز عزمك كل فطر نازح	وأخاف مملوكا به ومليكا
فاذا سموت الى مرام شاسع	ففضونه ثمر المنا تجنيكا
ضمنت رجال الله منك مطالبسى	لما جعلتك فى الثواب شريكا
فلئن كفت وجوها فى مقصدى	ورعيتها بركاتها تكفيكا
واذا قضيت حوائجى وأريتسى	أملا فربك ما أردت يريكا
واشدد على قولى يدا فهو الذى	برهانه لا يقبل التشكيكا
مولاى ما استأثرت عنك بمهجتى	انى ومهجتى التى تفديكا
لكن رأيت جناب شالة مغنما	يضفى على العز فى ناديكا
وفروض حقا لا تفوت فوقتها	باق اذا استجزيته يجزيكا
ووعدتى وتكرر الوعد الذى	أبت المكام أن يكون أفيكا
أضفى عليك الله ستر عنايصة	من كل محذور الطريق يقيكا
بقائك الدنيا تحاط وأهلها	فالله جل جلاله يقيكا
وقال أيضا فى الغرض المذكور :	

عن باب والدك الرضى لا أبرح
ضربت خيامى فى حماء فصيتى
حتى يراعى وجهه فى وجهى
أيسوغ عن مشواه سيرى خائباً
أنا فى حماء وأنت أبصر بالذى
فى مثلها سيف الحمية ينضى
وعسى الذى بدأ الجميل يعينه
وعسى الذى سد المذاهب يفتح

فأجابه السلطان أبو سالم رحمه الله بما صورته : « من عبد الله المستعين
بالله ، ابراهيم أمير المسلمين ، المجاهد فى سبيل رب العالمين ، ابن مولانا أمير
المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين ، أبى الحسن ابن مولانا أمير المسلمين
المجاهد فى سبيل رب العالمين أى سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى
سبيل رب العالمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق أيد الله أمره وأعز نصره
الى الشيخ الفقيه الاجل الاسنى الاعز الاحظى ، الاوجه الانوه الصدر الاحفل
المصنف البليغ الاعرف الاكمل أبى عبد الله ابن الشيخ الاجل الاعز الاسنى
الوزير الارفع الانجد الاصيل الاكمل المرحوم المبرور أبى محمد بن الخطيب
وصل الله عزته ووالى رفعة ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد حمد
الله تعالى ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى الكريم ،
والرضا على آله وصحبه أعلام الاسلام ، وأئمة الرشد والهدى وصلة الدعاء
لهذا الامر العلى العزيز المنصور المستعنى بالنصر الاعز والفتح الاسنى ،
فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم بلوغ الامل ونجح القول والعمل ، من منزلنا
الاسعد بفضة وادى ملوية يعنه الله ، وصنع الله جميل ومنه جزيل ، والحمد لله ،
ولكم عندنا المكانة الواضحة الدلائل ، والعناية المتكفلة برعى الوسائل ، ذلكم بما
تميزتم به من التمسك بالجناب العلى المولوى العلوى جدد الله تعالى عليه ملابس
غفرانه ، وسقاه غوث رحمته وخانه ، وبما أهديتم لنا من القرب لدينا بخدمة
نراه الطاهر ، والاشتمال بمطارف حرمة السامية المظاهر ، والى هذا وصل الله
حظوتكم ووالى رفعتكم ، فانه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا قصده ، المقابل

بالاسعاف المستعذب وردء، فوقنا على ما نصء، واستوفينا ما شرهه وقصه ، فامرنا حسن تطفكم فى التوسل بأكبر الوسائل الينا ، ورعينا أكمل الرعاية حق ذلكم العناب العزيز علينا ، وفى الحين عينا لكمال مطلبكم وتمام ماربكم والتوجه بخطابنا فى حقكم والاعتمال بوقفكم خديمنا أبا البقاء بن تاشكورت ، وأبا زكرياء ابن فرقاجة أنجدهما الله وتولاهما ، وأمس تاريخه انفصلا مودعين الى الغرض المعلوم بعد التأكيد عليهما فيه ، وشرح العمل الذى يوفيه ، فكونوا على علم من ذلكم ، وابسطوا له جملة آمالكم ، وانا لئرجو ثواب الله فى جبر أحوالكم وبرء اعتلاككم ، والله سبحانه يصل مبرتكم ، ويتولى تكرمتكم ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته كتب فى الرابع والعشرين من رجب سنة احدى وستين ، فراجعه ابن الخطيب بما نصه : « مولاي خليفة الله بحق ، وكبير ملوك الارض عن حجة، ومعدن الشفقة والحكمة برهان وحكمة ، أبقاكم الله تعالى على الدرجة فى المنعمين، وافرى الحظ عند جزاء المحسنين، وأراكم ثمرة بر أبيكم فى البنين، وصنع لكم فى عدوكم الصنع الذى لا يقف عند معاتد ، وأذاق العذاب الالىسم من أراد فى مثابتكم بالحاد ، عبدكم الذى ملككم رقه ، وآوئتم غربته ، وسترتم أهله وولده ، وأسنتيم رزقه ، وجبرتم قلبه ، يقبل موطن الاخمص الكريم من رجليكم الطاهرة ، المستوجبة بفضل الله تعالى لموقف النصر الفارغة هضبة العز المعملة الخطوة فى مجال السعدومسير الحظ. ابن الخطيب من شالة التى تأكد بملككم الرضى احترامها ، وتجدد برعتكم عهدا ، واستبشر بملككم دقينها ، وأشرق بحسناتكم نورها ، وقد ورد على العبد الجواب المولوى البر الرحيم ، المنعم المحسن بما يليق بالملك الاصيل ، والقدر الرفيع ، والهمة السامية ، والعزة القعساء من رعى الدخيل ، والنصرة للذمام والاهتزاز لبر الاب الكريم ، فتاب الرجاء وانبت الامل ، وقوى المضد وزار اللطف ، فالحمد اله الذى أجرى الخير على يدكم الكريمة ، وأعانكم على رعى ذمام الصالحين ، التوسل اليكم أولا بقبورهم ومتعباتهم وتراب أجدانهم ، ثم يقبر مولاي ومولاكم ومولى الخلق أجمعين، الذى تسبب فى وجودكم واختصكم بحبه ، وغمركم بلطفه وحنانه، وعلمكم آداب الشريعة وأورثكم ملك الدنيا ، وهياتكم دعواته بالاستقامة

الى ملك الآخرة بعد طول المدى وانفساح البقاء ، وفي علومكم المقدسة ما تضمنت الحكايات عن العرب من النصرة عن طائر داست أفراخه نافعة في جوار رئيس منهم ، وما انتهى اليه الامتعاض لذلك مما أهينت فيه الانفس وهلكست الاموال ، وقصارى من امتعض لاذك أن يكون كبعض خدامكم من عرب تأسنا فما الظن بكم وأتمم الكريم ابن الكريم ابن الكريم فيمن لجأ أولا الى حماكم بالاهل والولد، عن حسنة تبرعتم بها، وصدقة حملتكم الحرية على بذلها، ثم فيمن حط رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم دامع العين ، خافق القلب ، واهى الفرقة ، يتغطى بردائه ، ويسنجير بعليائه ، كأننى تراميت عليهم فى الحياة، أمام الذعر يذهل العقل ، ويحجب عن التميز بقصر داره ومضجع رقادته، ما من يوم الا وأجهر بعد التلاوة: ياليعقوب، يالمرين ، نسأل الله تعالى أن لا يقطع عنى معروفكم ، ولا يسلبنى عنايتكم ، ويستعملنى ما بقى فى خدمتكم ، ويتقبل دعائى فيكم ، ولجبن وصول الجواب الكريم نهضت الى القبر المقدس ، ووضعت بازائه وقلت : يامولاي يا كبير الملوك وخليفة الله وبركة بنى مرين صاحب الشهرة والذكر فى المشرق والمغرب عبدك المنقطع اليك المتراعى بن يدى قبرك ، المتوسل الى الله ثم ولدك بك ، ابن الخطيب ، وصله من مولاه ولدك ما يليق بمقامه من رعى وجهك ، والتقرب الى الله برعىك ، والاشتغال فى مشرق الدنيا ومغربها ببرك ، وأنتم من أنتم من اذا صنع صنعة كملها ، واذا من منة تممها ، واذا أسدى يدا أبرزها طاهرة بضاء غير معيبة ولا ممنونة ولا منتقصة ، وأنا بعد تحت ذيل حرمتك وظل دخيلك ، حتى يتم أملى ويخلص قصدى ، وتحف نعمتك بى ويطمئن الى مأمئك قلبى ، ثم فات للطلبة أيها انسادة بنى وينيكم تلاوة كتاب الله تعالى منذ أيام ومناسبة الرحلة وأخوة التأليف بهذا الرباط المقدس والسكنى بين أظهركم ، فأمضوا على دعائى باخلاص من قلوبكم ، واندفعت فى الدعاء والتوسل الذى أرجو أن يتقبله الله تعالى ولا يضعه ، وخاطب العبد مولاه شاكرًا لنعمته مشيدا بصنيعته ومسرورا بقبوله وشأنه من التعلق والتطarach شأنه ، حتى يكمل القصد ، ويتم الغرض معبور الوقت بخدمة يرفعها ودعاء يردده والله المستعان اه

ولما وصل كتاب السلطان أبي سالم الى أهل الاندلس أعظموا وسيلته ،
وفعلوا شفاعته ، وردوا الى ابن الخطيب ما تأتي رده مما كان ضاع له وأتلف عليه ،
واستمر مقيما بسلا سنتين وزيادة ، ثم استدعاه سلطانه الغنى بالله الى الاندلس
بعد رجوعه اليها واحتوائه على ملكها ، فأجاب حياء لا رغبة ، ومكرها لا بطلا ،
الى أن كان ما تذكره من شأنه بعد ذلك ان شاء الله ، ونوادره بسلا وما جرياته
كثيرة ، وفيما ذكرناه كفاية .

❦

انتقاض الحسن بن عمر الفودودي وخروجه بتادلا ثم مقتلُه عقب ذلك



قد ودمنا ان السلطان أبا سالم لما استولى على ملك فاس والمغرب عقد
للحسن بن عمر على مراكنس ، ووجهه اليها تخففا منه ورية بمكانه من الدولة
فاستقر بها وتألّت له بها رياسة نفسها عليه أهل مجلس السلطان وسعوا فيه عنده
حتى تنكر له وأظلم الجو بينهما وأحس الحسن بن عمر بذلك فخشى على
نفسه ، وخرج من مراكنس في صفر سنة احدى وستين وسبعمئة فالحق بتادلا
منحرفا عن السلطان ومرتبكا للخلاف ، فتلّقه بنو جابر من عرب جشم وأجاروه
واعصو صوبا عليه ، فسرّح اليه السلطان أبو سالم وزيره الحسن بن يوسف
الورتاجنى فاحتل بتادلا ، واشمر الحسن بن عمر الى الجبل بها فاعتصم به
ومعه كبير بنى جابر الحسن بن على الوردينى ، فأحاطت بهم العساكر وأخذوا
بمخفقهم ، ودخل الوزير بعض أهل الجبل من برابرة صناكة فى الثورة بهم ،
وسرب اليهم المال فأاروا بهم وانفض جمعهم ، وتقبضوا على الحسن بن عمر
وقادوه برمته الى الحسن بن يوسف فاعتقله ، وانكفأ راجعا به الى الحضرة
فدخلها فى يوم مشهود استركب السلطان فيه الجند وجلس ببرج الذهب مقعده
من ساحة البلد ، وحمل الحسن بن عمر على جمل فطيف به بين تلك الجموع ،
ولما قرب من مجلس السلطان أوما الى تقبيل الارض من فوق جملة ، ثم ركب
السلطان الى قصره ، وانفض الجمع وقد شهر الحسن بن عمر وأصحابه فصاروا

عبرة لمن اعتبر .

ولما دخل السلطان قصره ، جلس على كرسیه واستدعى خاصته وجلساءه ، وأحضر ابن عمر فويخه ، وقرر عليه ذنوبه ، فتلوى بالمعاذير وفزع الى الإنكار . قال ابن خلدون : « وحضرت هذا المجلس يومئذ فيمن حضره من الخاصة فكان مقاما تسيل فيه العيون رحمة وعبرة » . ثم أمر به السلطان فسحب على وجهه ، وتفت لحيته وضرب بالعصى ، وتل الى محبسه ثم قتل بعد ليال قمصا بالرماح خارج البلد ونصب شلوه بساب المحروق رحمه الله تعالى .



نهوض السلطان أبى سالم الى تلمسان واستيلاؤها عليها



لما استوسق للسلطان أبى سالم ملك المغرب ومحا أثر الخوارج منه سمت همة الى تملك تلمسان كما كان لآبيه وأخيه من قبل ، وأكد عزمه على ذلك ما كان من فرار عبد الله بن مسلم الزرد الى عاملهم على درعة اليها فاجمع السلطان أبو سالم النهوض اليها ، وعسكر بظاهر فاس الجديد منتصف سنة احدى وستين وسبعائة ، ولما توافقت لديه الحشود ، وتكاملت بسدته الجنود ، ارتحل الى تلمسان واتصل خبر نهوضه بسلطانها أبى حمو ابن يوسف الزياني ، ووزيره عبد الله ابن مسلم الزرد الى فنادوا في العرب من بنى عامر بن زغبة وبنى معقل فأجابوهم كافة الا شزيمة قليلة من الاحلاف ، ثم خرج أبو حمو وشيعته عن تلمسان الى الصحراء والتفت عليه العرب بحللمها .

ولما دخل السلطان أبو سالم تلمسان واستولى عليها خالفه أبو حمو في عربه الى المغرب فنزلوا آكرسيف ووطاط وبلاد ملوية وحطموا زروعها وانتسفوا بركتها وخربوا عمرانها ، وبلغ السلطان أبا سالم ما كان من افسادهم فأهمه أمر المغرب ، وكان في جملة من بنى زيان محمد بن عثمان ابن السلطان (الاستقضا - راجع - 3)

أبى تاشفين، ويكنى: أبا زيان، فعقد له على تلمسان، وأعطاه الآلة وجمع له جيشا من مغراوة وبنى توجين، ودفع لهم أعطياتهم، وانكفأ راجعا الى فاس، فأجفل أبو حمو والعرب أمامه، ثم خالفوه الى تلمسان فطردوا عنها أبا زيان واستولوا عليها، وثبت قدم أبى حمو بها، وعاد أبو زيان الى المغرب لاحقا بالسلطان أبى سالم قبله، وعقد المهادنة مع أبى حمو واستقر الامر على ذلك. وقد كان ابن الخطيب عند ما بلغه استيلاء السلطان أبى سالم على تلمسان هنأه بقصيدة طويلة يقول فى مطلعها:

أطاع لسانى فى مديحك احسانى وقد لهجت نفسى بفتح تلمسان
ويقول فى أناتها وقد ألم بشيء من علم الاحكام النجومية لميل السلطان اليه:

ولله من ملك سعيد ونسبة	قضى المشتري فيها بعزلة كيوان
وسجل حكم العدل بين بيوتها	وقوفا مع المشهور من رأى يونان
فلم تخش سهم القوس صفحة بدرها	ولم تشك فيها الشمس من خض منزان
ولم يعترض مبتزها قطع قاطع	ولا نازعت نوبرها كف عدوان
تولى اختيار الله حسن اختيارها	فلم يحتج الفرغان فيها لفرغان
ولا صرفت فيها دقائق نسبه	ولا حققت فيها طوالع بلسدان



وفادة السودان من أهل مالى على السلطان أبى سالم

واغرابهم فى هديتهم بالزرافة الحيوان المعروف



قد تقدم لنا ما جرى من المواصله بين السلطان أبى الحسن والسلطان منسا موسى وأخيه أو ابنه من بعده منسا سليمان وتردد الوفود واساء الهدايا بينهم وقد كان السلطان منسا سليمان قد هيا هدية نفيسة بقصد أن يبعثها الى السلطان أبى الحسن مكافأة له على هديته فهلك السلطان أبو الحسن خلال ذلك، ثم هلك السلطان منسا سليمان بعده، واختلف أهل مالى واقتروا أمرهم وتقاتلوا

الملك الى أن جمع الله كلمتهم على السلطان منسا زاطة ، واستوسق له الامر
 ظر في أعطاف ملكه وأخبر بشأن الهدية التي كان منسا سليمان قد هياها
 المغرب قأمر بانفاذاها اليه وضم اليها الزرافة الحيوان الغريب الشكل العظيم
 كل المختلف الشبه بالحيوانات ، وفصلوا بها من بلادهم فوصلوا الى حضرة
 في صفر من سنة اثنتين وستين وسبعمئة

قال ابن خلدون : وكان يوم وفادتهم يوما مشهودا جلس لهم السلطان
 الذهب بمجلسه المعد لعرض الجنود ، ونودي في الناس بالبروز الى
 حراء فبرزوا ينسلون من كل حذب حتى غص بهم الفضاء وركب بعضهم
 لازدحام على الزرافة اعجابا بخلفتها ، وحضر الوفد بين يدي السلطان
 ا رسالتهم بتأكيد الود والمخالصة والمذر عن ابطاء الهدية بما كان من
 ف أهل مالى وتوائبهم على الامر ، وتعظيم سلطانهم وما صار اليه ،
 جمان يترجم عنهم وهم يصدقونه بالنزع في أوتار قسيهم ، عادة معروفة لهم ،
 السلطان بان جعلوا يحثون النراب على رؤوسهم على سنة ملوك العجم ،
 الشعراء في معرض المدح والتهنئة ووصف الحال ، ثم ركب السلطان
 صرءه وانقض ذلك للجمع ، وقد طار به طائر الاشتهار ، واستقر الوفد تحت
 ة السلطان أبي سالم الى أن هلك قبل انصرافهم فوصلهم القائم بالامر من بعده
 رفوا الى مراكش ، ثم منها الى ذوى حسان عرب السوس الاقصى من بنى
 المتصلين ببلادهم ، ومن هناك لحقوا بسلطانهم . والامر كله لله .
 وكان مما قيل من الشعر في ذلك اليوم : قول ابن خلدون من قصيدة يقول
 طلعها :

قدحت يد الاشواق من زند وهفت بقلبي زفرة الوجد
 الى ان قال في وصف الزرافة :

رقيقة الاعطاف حالية موشية بوشائع البسرد
 حشية الانساب ما أنست فى موحش اليداء بالقسرد
 سمو بجيد بالغ صعدا شرف الصروح بغير ما جهد
 لالت رؤوس الشامخات به ولربما قصرت عن الوهد

قطعت اليك تناقضا وصلت
 تحدى على استصعابها ذللا
 بسعودك اللائى ضمن لنا
 جاءتك فى وفد الاحابش لا
 وافوك انشاء قلبهم
 كالطيف يستقرى مضاجعه
 يشون بالحسنى التى سبقت
 ويرون لحظك من وفادتهم
 يا مستعينا جل فى شرف
 جازاك ربك عن خليفه
 وبقت للدينا وساكنها
 وقول الكاتب البارع أبى عبد الله
 بن زمرك الاندلسى من قصيدة يقول

فى مطلعها :

لولا تآلق بارق التذكار
 لكنه مهما تعرض خافقا
 الى أن قال فى الغرض المذكور :

وغريبة قطعت اليك على الونى
 تنسيه طيته التى قد أمهنا
 يقتادها من كل مشتمل الدجا
 تشدو بحمد المستعين حداتها
 ان مسهم لفح الهجير أبلهم
 خاضوا بها لجج الفلا فتخلصت
 سلمت بسعدك من غوائل مثلها
 وأنتك ياملك الزمان غريبة
 موشية الاعطاف رائقة الحل
 راق العيون اديبها فكانسه

ما بين مبيض وأصفر فاقبـع
 يحكى حدائق نرجس فى شـاهق
 تحـدو قـوائـم كالـجـذوع و فوقها
 وسمت بجيد مثل جذع مائل
 تستشرف الجدران منه ترائبـا
 تاهت بكلـكـلـها و أتـلـع جـيـدهـا
 خرجوا لها الجم الغفير و كلهم
 كل يقول لصـحـبه فـومـوا انظـروا
 ألقت بـابـك رحـلـها و لـطـالـما
 علمت مـلـوك الارض أنك فـخـرها
 يتبـوأون به و ان بعد المـسـدى
 فـارفع لـواء الفـخـر غير مـدافـع
 واهنـا بأعـيـاد الفـتـوح مـخـلـولا
 و الـيـكـها من روض فـكـرى نـفـحـة
 فى فـصل منـطقـها و رائق رـسـمـها
 و تـمـيل من أصغى لها فكأنسى

سـال اللـجـين به خـلال نـضـار
 تـسـاب فيه أرقـم الـانـهـار
 جـبل أشـم بنـوره مـتـسـوارى
 سـهل التـعـطف لـيـن خـوار
 فـكـانـما هو قائـم بـمـنـار
 و مشى بها الـاعـجـاب مـسـى و فـار
 مـتـعـجـب من لطف صـنـع البـازى
 كـيـف الجـبال تـقـاد بالـاسـيـار
 ألقى الغـريـب به عصـا التـسـيـار
 فـتـسـابقت لـرـضـاك فى مـضـار
 من جـاهـك الـاعلى أعز جـوار
 و اسـحـب ذـيـول العـسـكر الجـرار
 ما شئت من نصـر و من أنـصـار
 شـف النـاء بها على الـازـهـار
 مـسـتـمـع الـاسـماع و الـابـصار
 عـاطـيته مـنـها كؤـس عـقـار

مقتل السلطان أبي سالم رحمه الله والسبب في ذلك

كان السلطان أبو سالم رحمه الله قد غلب على هواه الخطيب أبو عبد
 الله بن مرزوق وألقى زمام الدولة بيده ، فقم خاصة السلطان وحاشيته ذلك
 عليه وسخطوا الدولة من أجله ، ومرضت قلوب أهل الحل والعقد من تقدمه
 ففرضوا بالدولة الدوائر الى ان كانت أواخر سنة اثنتين وستين وسبعمائة ،
 فتحول السلطان أبو سالم عن دار الملك من فاس الجديد الى القصة من فاس
 القديم ، واختلط بها ايوانا فخما لجلوسه ، فلما استولى عمر بن عبد الله بن
 علي بن سعيد الفودودي أحد كبراء الدولة ووزرائها على دار الملك ، اذ كان

السلطان أبو سالم قد خلفه أمينا عليها، حدثته نفسه بالتوثب ، وسهل ذلك عليه ما كان قد عرفه من مرض القلوب على السلطان لمكان ابن مرزوق ، فدخل قائم جند النصارى غرسية بن أنطول ، واتعدوا لذلك ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذى القعدة من السنة المذكورة ، فعمدوا الى تاشفين الموسوس ابن أبى الحسن فخلعوا عليه ، وألبسوه شارة الملك وقربوا له مركبا وأجلسوه مجلس السلطان، وأكروهوا شيخ الحامية والناشبة محمد بن الزرقاء على البيعة ، وجاهروا بالخلعان وقرعوا الطبول ودخلوا الى بيت المال ففرضوا العطاء من غير تقدير ولا حساب ، وماج الجند بفاس الجديد بعضهم فى بعض ، واختطفوا ما وصلوا اليه من العطاء ثم اتهموا ما كان بالمخازن الخارجية من السلاح والعدة ، وأضرموا النيران فى بيوتها سترأ على ما ضاع منها ، وأصبح السلطان أبو سالم بمكانه من قصبة فاس القديم ، وكان قد تحول إليها فرارا من قاطع فلكى خوفه إياه بعض منجميه فكان انبلاء فيه موكلًا بالمنطق ، فلما علم بالكائنة ركب واجتمع اليه من حضر من أوليائه ، وغدا على فاس الجديد وطاف بها يروم اقتحامها فامتعت عليه ، ثم اضطرب معسكره بكدية العرائس لحصارها ونادى فى الناس بالاجتماع اليه ، ولما كان وقت الهاجرة دخل فسطاطه للقيولة فتسائل الناس عنه الى فاس الجديد فوجأ بعد فوج بمرأى منه الى أن انفض عنه خاصته وأهل مجلسه فطلب النجاء بنفسه ، وركب فى لمة من الفرسان وفيهم وزيراه سليمان بن داود ومسعود بن عبد الرحمن بن ماسى ، ومقدم الموالى والجند باباه سليمان بن ونصار ، وأذن لابن مرزوق فى الدخول الى داره ، ومضى هو على وجهه فيمن معه ، ولما غشيهم الليل انفضوا عنه حتى بقى وحده ، ورجع الوزيران الى دار الملك فتقبض عليهما رئيس الثورة عمر بن عبد الله الفودودى ، ومشاركه فيها غرسية بسن انطول النصرائى ، واعتقلاهما متفرقين ، وبعث عمر بن عبد الله الطلب فى أثر السلطان أبى سالم فمضوا عليه نائما من الغد فى بعض المجاشير بوادى ورفة وقد غير لباسه اختفاء بشخصه وتواريا عن العيون بمكانه ، فتقبضوا عليه وحملوه على بقل وطيروا بالخبر الى عمر بن عبد الله فأزعج لتلقيه شبيب بن ميمون بن داود ، وفتح الله بن عامر بن فتح الله السدراتى وأمرهما بقتله

وانفاذ رأسه ، فلقياه بخندق القصب ازاء كدية العرائس فأمرأ بعض جنود
الصارى أن ينولى ذبحه ففعل ، وحملوا رأسه فى مخلاة ووضعوه بين يدى
الوزير التائر ومشيعته ، وكان ذلك يوم الخميس الحادى والعشرين من ذى
القعدة سنة اثنين وستين وسعمائة ودفن بالقلة خارج باب الجيسة بأعلى جبل
العرض المعروف بجبل الزعمران (*)

قال ابن الخطيب فى الاحاطة : « كان السلطان أبو سالم رحمه الله بقية
البيت وآخر القوم دمامة وحياء وبعدا عن الشرور وركونا للعافية » قال : وأشدت
على قبره للذى ووريت به جثته قصيدة أدت فيها بعض حقه :

بنى الدنيا بنى لمع السراب * لدوا للموت وابنوا للخراب
ومن أعيان وزرائه : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسى الخطيب
المشهور الذى مر ذكره آنفا .

ومن قضاة عسكره : أبو القاسم محمد بن يحيى الاندلسى البرجى .
ومن أعيان كتابه : الرئيس أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون صاحب
التاريخ .

وأبو القاسم (*) عبد الله بن يوسف بن رضوان التجارى من أهل مالقة صاحب
كتاب السياسة وغيره ، ومما نظمه هذا الفاضل عن اذن السلطان أبى سالم رحمه
الله ليكتب فى طرة قبة رياض الغزلان من حضرته قوله :

(*) ومن اولاد : السلطان أبو العباس احمد ، والسلطان أبو البهضل محمد ، ومحمد آخر .
(*) أبو القاسم ابن رضوان صاحب كتاب السياسة . لما وقعت هزيمة طريف
قرب القيروان على أبى الحسن رجع أبو القاسم هذا الى الاندلس وبقي بها الى ان تم
الامر لابي عنان فرجع حينئذ للمغرب وكلفه أبو عنان بكتابة العلامة اما صاحب دوة
الحجال فانه ذكر كاتبين من هذه العائلة احدهما : اسمه محمد بن يوسف بن رضوان المتوفى
سنة ٨٦٨ وثنائيهما يسمى ابوالقاسم بن محمد بن يوسف بن رضوان المتوفى سنة ٧٨٣ اما
الكاتب أبو القاسم عبد الله فقد ترجمه فى جنود الاقتباس وذكر انه توفى بآفقا ودفن
بمقبرة الحاج صالح سنة ٧٣٣ راجع ترجمته طبع فاس

هذا محل المتى بالامن مغمور
 مأوى النعم به ما شئت من ترف
 ويطلع الروض منه مصنعا عجبا
 ويسطع الزهر من أرجائه أرجا
 مغنى السرور سقاء الله ما حملت
 لنظر الى الروض تنظر كل معجبة
 من النسيم به يبغي القرا فقرا
 وهامت الشمس في حسن الظلال به
 كأنما الطير في افئاثها صدحت
 والدوح ناعمة تهتز من طرب
 والنهر شق بساط الارض تحسبه
 ينساب للجنة الخضراء أزرقه
 هذى مصانع مولانا التي جمعت
 وهذه القبة الغراء ما نظسرت
 ولا يصورها في الفهم ذو فكر
 ولا يرام يحصر وصف ما جمعت
 فيها المقاصير تحميها مهايته
 كأنها الافق تبدو التيرات به
 وينشأ المزن في أرجائه وله
 وينهمى القطر منه وهو منسكب
 وتخلق الريح منه وهي نائمة
 ويشرق الصبح منه وهو من غر
 وتطلع الشمس فيه من سنا ملك
 ومضى في مدح السلطان والله تعالى يتعمد الجميع برحمته بمنه وكرمه.



الخبر عن دولة السلطان أبي عمر تاشفين الموسوس ابن أبي الحسن المرينى



هذا السلطان كان محجوباً لوزيره عمر بن عبد الله الفودودى لا يملك معه ضراً ولا نفعاً . أمه : أم ولد اسمها ميمونة ، صفته : طويل القامة ، عظيم الهيكل بعيد ما بين المنكبين ، أعين أدعج ، وكان فارساً بطلاً قوى الساعد إلا أنه كان ناقص العقل .

ولما ثار عمر بن عبد الله بالسلطان أبى سالم وسعى فى هلاكه الى أن قتل كما مر استبد بامر الدولة ونصب هذا الموسوس يمومه به على الناس ببيع ليلة الثلاثاء التاسع عشر من ذى القعدة سنة اثنين وستين وسبعمئة حسبما سبق ، وكان نقصان عقل تاشفين من أجل الامر الذى أصابه بوقعة طريف أيام والده السلطان أبى الحسن الى أن اقتدى وبقي ناقص العقل مختل المزاج (*) الى أن كان من أمره ما كان .



الفتك بغرسية بن انطول قائد النصارى ومقتل جنده معه والسبب فى ذلك



لما قبض عمر بن عبد الله على الوزيرين مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى ، وسليمان بن داود سجنهما متفرقين فأخذ اليه ابن ماساى لمكان صهره منه ودفع لغرسية سليمان بن داود ، وكان سليمان بن نصار قد فر مع السلطان أبى سالم كما مر ، ولما رجع عنه فيمن رجع نزل على غرسية فقبله وأكرمه . وكان يعاقره الخمر ففاوضه ذات ليلة فى الثورة بعمر بن عبد الله واعتقاله ،

(*) انظر ما كتبه المؤلف فى هذا المسألة فى كتابه « كشف العرين عن ليوث بنى مرين » اثناء كلامه على دولة السلطان تاشفين الموسوس بن أبى الحسن أيضاً

واقامة سليمان بن داود المسجون بداره مقامه لما هو عليه من السن ورسوخ القدم فى الامر ، ونما الخبر بذلك الى عمر بن عبد الله فارتاب ، وكان خلوا من العصية ففرع الى قائد المركب السلطاني من ناشبة الاندلس ورماتها ، وهو يومئذ ابراهيم البطروجى ، فعاقده على أمره ، وبايعه على الاستماتة دونه ، ثم رأى أن ذلك لا يكفيه ففرع ثانيا الى يحيى بن عبد الرحمن شيخ بنى مرين وصاحب شولرهم ، فشكا اليه فأشكاه ، ووعدته الفتك بآبن انطول وأصحابه وانبرم عقد آبن انطول ، وسيلمان بن نصار أيضا على عمر بن عبد الله وغدوا الى القصر ، وداخل آبن انطول طائفة من النصارى استظهارا بهم ، وتوافت بنو مرين بمجلس السلطان على عادتهم ، وحضر آبن انطول ، والبطروجى ، ويحيى آبن عبد الرحمن ، وغير هؤلاء من الوجوه ، فسأل عمر بن عبد الله من آبن انطول تحويل سليمان بن داود من داره الى السجن فأبى ، ورض به عن الاهانة ، حتى سأل مثلها من آبن ماساى صاحبه ، فأمر عمر بالتقبض عليه فكسر فى وجوه الرجال ، واختلط سكينه للمدافعة ، فتوالت بنو مرين عليه وقتلوه لحينه ، واستلحموا من وجدوا بالدار من جند النصارى عند دخولهم مع قائدهم ، وفر بعضهم الى معسكرهم ، ويعرف بالملاح جوار فاس الجديد ، وأرجف الغوغاء بالمدينة أن آبن انطول قد غدر بالوزير ، فقتلوا جند النصارى حيث وجدوهم من سكك المدينة ، وتزاحفوا الى الملاح لاسنلحام من بقى به منهم ، وركبت بنومرين لحماية جندهم من معرة الغوغاء ، وانهب يومئذ الكثير من أموالهم وآتيتهم وأمتعتهم ، وقتل النصارى أيضا كثيرا من مجان المسلمين كانوا يعاقرون الخمر بالملاح ، ثم سكنت الهيعة . وما كادت .

واستبد عمر بن عبد الله بدار الملك ، واعتقل سليمان بن نصار الى الليل ثم بعث من قتله بمحبسه ، وحول سليمان بن داود الى بعض الدور من دار الملك فاعتقله بها واستولى على أمره ، ثم خاطب عامر بن محمد الهنتاسى فى اتصال اليد به واقتسام ملك المغرب بينه وبينه ، وبعث اليه بابى الفضل آبن السلطان أبى سالم اعطه عنده ليوم ما ، ثم فسد ما بينه وبين مشيخة بنى مرين فاجتمعوا على كبيرهم يحيى بن عبد الرحمن وعسكروا بآب الفتح واستدعوا

عبد الحليم بن أبي علي ابن السلطان أبي سعيد من تلمسان على ما نذكره .



ظهور عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد ومحاصرته لفاس الجديد
ثم فرارها عنها



قد قدمنا في أخبار السلطان أبي الحسن أن أخاه أبا علي صاحب سجلماسة كان قد انتقض عليه فامكنه الله منه فقتله وكفل أولاده فلم يميز بينهم وبين أولاده في شيء من الأشياء ، ولما أفضى الأمر إلى أبي عنان بعث جماعة من اخوته وقرابته إلى الاندلس تحت حياطة ابن الأحمر ، وكان فيهم أولاد أبي علي هؤلاء ثم بعد حين سرحوا وقدموا تلمسان على سلطانها أبي حمو بن يوسف فكانوا عنده إلى هذا التاريخ فلما فسد ما بين عمر بن عبد الله وشيوخ بني مرين بعثوا (*) إلى تلمسان جملة منهم لاستقدام عبد الحليم المذكور فسرّحه أبو حمو ، وأعانته بشيء من الآلة ، وجمع عليه من رغب في طاعته ، وزحف إلى فاس فنقلته جماعة بني مرين بسبوه ، ونزلوا على فاس الجديد يوم السبت سابع محرم سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، واضطربوا معسكرهم بكديّة العرائس ، وحاصروا دار الملك سبعة أيام ، وتتابعت وفودهم وحشودهم ، ثم إن عمر بن عبد الله برز يوم السبت القابل في مقدمة السلطان تاشفين بمن معه من جند المسلمين والنصارى راميّة ناشبة ، ووكل بالسلطان من جاء به في الساقة على التبعية المحكّمة ، وناوشتهم الحرب فزحفوا إليه فاستطرد لهم ليتمكن الناشبة من عقرهم من الاسوار حتى فشت فيهم الجراحات ، ثم صمم نحوهم فانفرج القلب وانفضت الجموع ، ثم زحف السلطان تاشفين في الساقة فابذعروا في الجهات ، وافترق بنو مرين إلى مواطنهم ، ولحق يحيى بن عبد الرحمن بمراكش مع

(*) راجع ما عند يحيى ابن خلدون في بغية الرواد صهيقة ٩٥ ج ٢ طبع الجزائر

مبارك بن ابراهيم شيخ الخط ، ولحق عبد الحليم واخوته بتازا بعد ان شهد لهم رجال الدولة بصدق الجلال وحسن البلاء فى ذلك المقام .
ثم ان الوزير عمر بن عبد الله راجع بصيرته فى تقديم المعتوه للامر ، وعلم ان الامر لا يستقيم له بذلك ، فبادر باستقدام أبى زيان محمد بن أبى عبد الرحمن يعقوب ابن السلطان أبى الحسن ، وكان عند الطاغية بدار الحرب فقدم ، وخلع الوزير المذكور سلطانه الموسوس يوم الاثنين الحادى والعشرين من صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة فكانت دولته ثلاثة أشهر ويومين ومات وسنه ستون سنة ، والله تعالى أعلم .



الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبى زيان
محمد بن أبى عبد الرحمن يعقوب بن أبى الحسن المرينى



هذا السلطان كان محجوبا للوزير عمر بن عبد الله أيضا كنيته: أبو زيان، لقبه: المتوكل على الله ، أمه: أم ولد اسمها فضة . صفته : آدم اللون شديد الادمه، معتدل القامة ، منفرج الانف ، دقيق العينين .

وقال ابن الخطيب فى الاحاطة : حاله فاضل سكون ، منقاد مشغول بخاصة نفسه ، قليل الكلام حسن الشكل ، درب بركض الخيل ، مفوض للوزراء ، عظيم التأنى لاغراضهم ، وكان قبل ولايته عند الطاغية (*) بالاندلس فر اليه خوفا على نفسه ، ولما التبت الامور على عمر بن عبد الله طلبه الى الطاغية فسمح به بعد اشتراط واشتطاء وفصل من اشيبيلية فى المحرم فاتح سنة ثلاث وستين وسبعمائة ونزل بسبته ، وبها سعيه بن عثمان من قرابة الوزير عمر بن عبد الله أرصده لقدمه ، فطير اليه بالخبر ، فحيثئذ خلع عمر تاشفين الموسوس ، وبعث الى السلطان

(*) انظر ما كتبه المؤلف فى هذا الموضوع فى كتابه «كشف العرين عن ليوث بنى مرين» اثناء الكلام على دولة هذا السلطان رحمه الله

أبى زيان بالبيعة والآلة والفساطيط ، ثم جهز عسكريا للقائه ، فتلقيه بطنجة ، وأخذ السير الى الحضرة فنزل منتصف صفر بكدية العرائس ، واضطرب معسكره بها وتلقاه يومئذ الوزير عمر بن عبد الله اليباني وبايعه ، وأخرج فسطاطه فاضطرب بمعسكره وتلوم السلطان أبو زيان هنالك ثلاثا ثم دخل في اليوم الرابع الى قصره وافتد أريكنه وتودع ملكه .

وقال ابن الخطيب في الاحاطة : « كان دخوله داره مغرب ليلة الجمعة بطالع الثامن من السرطان ، وبه السعد الاعظم كوكب المشتري من السيارة السبعة » اه ولما تم له الامر خاطبه ابن الخطيب من سلا مهثا له بقوله :

يا ابن الخلائف يا سمي محمد	يامن علاه ليس يحصر حاصر
أبشر فأت مجدداً الملك الذي	لولاك أصبح وهو رسم دائر
من ذا يعاند منك وارثه الذي	بسموده فلك المشيئة دائر
ألقك اليك يد الخلافة أمرها	اذ كنت انت لها الولي الناصر
هذا وينك للصريح وبينها	حرب مفرسة وبحر زاخر
من كان هذا الصنع أول أمره	حسنت له العقبي وعز الآخر
مولاي عندي في علاك محبة	والله يعلم ما تكن ضامر
قلبي يحدثني بانك جابر	كسرى وحظي منك حظ وافر
بئري جدودك قد حططت حقيتي	فوسيلتي لعلاك نور باهر
وبذلت وسعي واجتهادي مثل ما	يلقي للملك سيف أمرك عامر
فهو الولي لك الذي اقتحم الردي	وقضى العزيمة وهو سيف باتر
وولي جدك في الشدايد عند ما	خذلت علاه قبائل وعشائر
فاستهد منه النصيح واعلم انه	في كل معضلة طيب ماهر
ان كنت قد عجلت بعض مدائحى	فهى الرياض وللرياض بواكر
ثم أتبعها بنثر أرضنا عنه اختصارا والله تعالى الموفق .	



وفادة ابن الخطيب من سلا على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن

رحمهما الله



قال في «الاحاطة»: وفدت على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن من محل الانقطاع بسلا وأشدته قولى :

لمن علم فى هضبة الملك خفأق افأقت به من غشية الهرج آفاق
تقل رباح النصر عنه غمامة تمد لها أيد وتضع أعناق
وبعة شورى أحكم السعد عقدها وأعمل اجماع عليها واصفأق
فضى عمر فيها بحق محمد فسجل عهد للوفاء وميثاق
أحلما ترى عناية أم هى فترة أعندكما فى مشكل الامر مصداق
وافض لفضل الله فى الارض تبتغى ومجتمعات لا تريب وأسواق
وسرح تهنيه الكلاية بالكلا وفلح لسقى الغيث قام له ساق
وقد كان طيف الحلم لا يعمل الخطأ وللقتنة العمياء فى الارض اطباق
وللفيث امساك وفى الارض رجة وللدين والدنيا وجوم واطراق
فكل فريق فيه للبغى رايبة وكل طريق فيه للغيث طراى
أجل انه من آل يعقوب وارث يحن له البيت العتيق ويشتاق
له من جناح الروح ظل مسجف ومن رفر العز الالهى رستاق
أطل على الدنيا وقد عاد ضوءها دجى وعلى الاحداق للذعر احداق
فأشرقت الارضاء من نور ربهها وساح بها لله لطف واشفق
فمن السن بالشكر لله أعلنست وكان لها من قبل همس واطباق
وليس لامر أبرم الله ناقض وليس لمسعى النجاح فى الله اخفاق
محمد قد أحييت دين محمد وللخلق أدماء تفيض وارمأق
ولولم تب غطى على شفق الضحا دم لسيوف البغى فى الارض مهراق
فأيمن بمشعون من الفلك سابع له باختيار الله حط وإسباق

اليك وصفح الماء أزرق رفراق
تضل الحجبى سهم من السعد رشاق
وصحت من التوفيق واليمن أوافق
ومستعد أن يهمل الخلق خلاق
وبالشر والايام سهم وتربساق
له فى مجال السعد عدو واعناق
تفيض على العافين أم هسى اذراق
نلم يجد اطناب ولم يغن اعراق
غمام ندى ان أخلف الغيث غداق
بدور لها فى ظلمة الروع اشراق
نفهيا جنى ملء الاكف وايراق
وجدك قد فاق الملوك وان فاقوا
لآلىء والمجد المؤنل نساق
هم الاصل فى العلياء والانس الحاق
فان حاربوا راعوا وان سالموا راقوا
فهم للمعالى والمكارم عشاق

تزر على أعناقهم منه أطواق
ولم تدر ما ضمت من الذكر أوراق
ومن دون ما أموه للفتح اغلاق
جريدة من أبدى لك العذر أخلاق
وتهفو حلوم القوم والقوم حذاق
ولله ارفاد عليهم وارفاق
خزائمه ما ضرها قط انفاق
وان حشدت طسم وعاد وعملاق
تخوم لمخط الصليب وأعملاق

آلك والدأماء تظهر طاعسة
الى هدف السعد انبرى منه والدجا
فخلت لتقويم القوام جداول
تبارك من أهداك للخلق رحمة
هو الله يبلو الناس بالخير فتنة
سمت منك أعناق الورى لخليفة
وقالوا بنان ما استقل بكفه
وأطنب فيك المادحون وأغرقوا
ألست من القوم الذين أكفهم
ألست من القوم الذين وجوههم
رياض اذا العافى استظل ظلالها
أبوك ولى العهد لو سالم الردى
فمن ذاله جد كجدك أو أب
وحسب للعلا فى آل يعقوب أنهم
أسود سروج أو بدور أسرة
يطول لتحصيل الكمال سهادهم
ومنها :

لقد نسيت احسان جدك فرقة
أجازت خروج ابن ابنه عن ترائه
ومن دون ما راموه لله قنطرة
خذ الغفو وابدل فيهم العرف وتسع
فرشما تبو مهندة الطبى
وما الذاس الا مذنب وابن مذنب
ولا نرج فى كل الامور سوى الذى
اذا هو أعطى لم يضر منع مانع
عرفت الردى واستأثرت بك للعدا

فيسر للسرى وأحى بك الورى
فجاز صنع الله وازدد بشكره
وأوف لمن أوفى وكاف الذى كفى
وتهنيك يا مولى الملوك خلافة
فقد بلغت أقصى المنى بك نفسها
فلا راع منها السرب للدهر رائع
أمولاى راع الدهر سربى وغالى
وليس لكسرى غيرك اليوم جابر
ولى فيك ود واعتداد غرسته
وقد عيل صبرى فى ارتقابى خليفة
وأنت حسام الله والله ناصر
وأنت الامان المستجار من الردى
وأهون ما يرجى لديك شفاعنة
ودوتكها من ذائع الحمد مخلص
إذا قال اما كل سمع لقولـه
ودم خافق الاعلام بالنصر كلما

قال : « وعدت منه بر كبير واحترام شهير » : يشير بذلك الى ما أكرمه به
وكتب له من الظهير الذى يتضمن كمال الاحترام والتوقير ، ونصه : « هذا ظهير
كريم من أمير المسلمين فلان أيده الله ونصره ، وسنى له الفتح المبين ويسره ،
للشيخ الفقيه الاجل الاسنى الاعز الاحظى ، الارفع الامجد الاسمى الاوحد
الانور الارقى العالم العلم الرئيس الاعرف المتفنن الابرع ، المصنف المفيد
الصدر الاحفل ، الافضل الاكمل ، أبى عبد الله ابن الشيخ الفقيه الوزير الاجل
الاسنى الاعز الارفع الامجد الوجيه الانوه الاحفل ، الافضل الحسيب الاصيل
الاكمل ، المبرور المرحوم أبى محمد ابن الخطيب قابله أيده الله بوجه القبول
والاقبال ، وأضفى عليه ملابس الانعام والافضال ، ورعى له خدمة
السلف الرفيع الجلال ، وما تقرر من مقاصده الحسنة

فى خدمة أمرنا العال ، وأمر فى جملة ما سوغه من الآلاء
الوارفة الظلال ، الفسيحة المجال ، بأن يجدد له حكم ما يده من الأوامر
المقدم تاريخها ، المتضمنة تمشية خمسمائة دينار من الفضة العشرية فى كل شهر
عن مرتب له ولولده الذى لنظره من مجبى مدينة سلاحرسها الله ، ومن حيث جرت
العادة ان تمشى له ، ورفع الاعتراض بابها فيما يجلب من الادم والأقوات على
اختلافها من حيوان وسواء ، وفيما يستفيدة خدامه بخارجها واحوازها من غنم
وقطن وكان وفاكهة وخضر وغير ذلك فلا يطلب فى شىء من ذلك
بمغرم ولا وظيف ولا يتوجه فيه اليه بتكليف ، يتصل له
حكم جميع ما ذكر فى كل عام تجديدا تاما واحتراما عاما ،
اعلن بتجديد الخطوة واتصالها ، واتمام النعمة وإكمالها ، من تواريخ الأوامر
المذكورة الى الآن ومن الآن الى ما يأتى على الدوام واتصال الأيام ، وأن يحمل
جانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعى والمحاشاة فى السخر مهما عرضت ،
والوظائف اذا افترض ، حتى يتصل له تالد العناية بالطارف ، وتتضاعف أسباب
المن والعوارف بفضل الله ، وتحرر له الأزواج التى يحرثها بتلاغت من كل
وجبة ، وتحاشى من كل مغرم أو ضريبة بالتحريير التام يحول الله وعونه ،
ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه وليمض ما أمضاه ان شاء الله ،
وكتب فى العاشر من شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وستين وسبعمائة « وكتب
فى التاريخ » اه وقوله وكتب فى التاريخ هو العلامة السلطانية فى ذلك الزمان
يكتب بقلم غليظ ، وبعض ملوك المغرب يكتب عند العلامة : « صح فى التاريخ » .



وفادة عامر بن محمد الهنتاتي على السلطان ابي زيان بن ابي عبد الرحمن رحمهما الله



كان للوزير عمر بن عبد الله الياباني مودة ومصافة مع الرئيس الشهير أبي ثابت عامر بن محمد الهنتاتي كبير جبل درن والبلاد المراكشية ، وكان الوزير عمر المذكور قد بعث اليه بصره وظهره على الملك مسعود بن عبد الرحمن ابن ماساي يكون عنده عدة وعادا ليوم ما ، فلما بويح السلطان أبو زيان استقدم عمر بن عبد الله صهره المذكور لوزارته ، وكان عامر بن محمد مجعما القدوم على السلطان المذكور ، فقدم في صحبته مسعود ، ونزلا من الدولة بخير منزل . وعقد السلطان أبو زيان لمسعود المذكور على وزارته بإشارة الوزير عمر ابن عبد الله فاضطلع بها ، ودفعه عمر اليها استعماله اليه وثقة بمكانه واستظهارا بمصيبته ، وعقد مع عامر بن محمد الحلف على مقاسمة المغرب شق الابلمة ، وجعل اماره مراكش لابي الفضل ابن السلطان أبي سالم اسعافا لغرض عامر ابن محمد في ذلك .

وخطب اليهم عامر بنت السلطان أبي بكر الحفصي التي توفي عنها السلطان أبو غنان(*) فاجابوه ، وحملوا اوليائها على العقد عليها ، وانكأ راجعا الى مكان عمله بمراكش يجر الدنيا وراءه عزا وثروة وتابعا ، وذلك في جمدي الاولى من سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، فاستقل بأمر الناحية الغربية من مراكش وجبال المصامدة وما اليها من الاعمال واستبد بها ، ونصب أبا الفضل ابن السلطان أبي سالم صورة ، واستوزر له وتمكن سلطانه وعلا ذكره ، وصارت كائها دولة مستقلة ، فصرف اليه النازعون من بني مرين عن الدولة وجوه مفرهم ، ولجأوا اليه فأجارهم على السلطان واجتمع اليه منهم ملا ، واتسع الخرق

(*) والصحيح ابو الحسن لان المصاهرة لم تتعقد بين ابي غنان والحفصيين راجع ابن خلدون ج ٢ صحيفة ٤٧٢ وتاريخ الدولتين للزركشي صحيفة ٨٣ وصحيفة ٨٤

على الراقع ، واضطربت الاحوال بالمغرب ، وخرج على السلطان أبي زيان الامير عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد ، وتغلب على سجلماسة وأعمالها ، ثم غلب عليه أخوه عبد المؤمن بن أبي علي فخرج عبد الحليم الى المشرق لقضاء فريضة الحج ، واستمر عبد المؤمن بسجلماسة ، وأقام بها دولة كما كان لوالده من قبل الى أن فتحها الوزير مسعود بن عبد الرحمن بن ماسى وأضافها الى مملكة فاس ، ثم انتقض الوزير مسعود أيضا وبايع الامير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن بن أبي علي ، ونصبه للامر وصار يشوش به على الدولة ، وشرق عمر ابن عبد الله بدائه في أخبار طويلة ، ولما لم يتم له أمر عبر هو وسلطان البحر من مرسى غساسة الى الاندلس فاتح سنة سبع وستين وسبعائة ، وأقبلا على الجهاد واستراح الوزير عمر وسلطان أبو زيان من شغبهما . والله غالب على أمره .



مقتل السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن رحمه الله



لما طال استبداد الوزير عمر بن عبد الله على السلطان أبي زيان وحجره انه اذ كان وضع عليه الرقباء والعيون حتى من حرمه وأهل قصره عزم على الفتك بالوزير المذكور ، وتناجى بذلك مع بعض ندمائه وأعدله طائفة من العبيد كانوا يختصون به ، فلما ذلك الى الوزير بواسطة بعض الحرم كانت عينا له عليه فعاجله ، وكان قد بلغ من الاستبداد عليه ان كان الحجاب مرفوعا له عن خلوات السلطان وحرمه ، فدخل عليه وهو في وسط حُصنه فطردهم عنه ، ثم غطه حتى فاض ، وأمر به فالقى في بئر بروض الغزلان ، واستدعى الخاصة فذراهم مكانه بها ، وأنه سقط عن دابته وهو سكران ، وذلك في محرم فاتح سنة ثمان وستين وسبعائة كذا عند ابن خلدون . وقال في «الجذوة»: «توفي يوم الاحد الثاني والعشرين من ذى الحجة سنة سبع وستين وسبعائة وله ثمان

وعشرون سنة ، ودفن بجامع قصره فكانت دولته أربع سنين وعشرة أشهر ويوما واحدا ، والله أعلم .



الخبر عن دولة السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن

رحمه الله



هذا السلطان هو ابني أنعش دولة بنى مرين بعد تلاميذها ، وأعاد إليها شبابها بعد هزمها وتفاضيها ، وأزال عنها وصمة الحجر والاستبداد ، وأعادها من العز إلى حالها المعاد ، وهو الذي ذكره ابن خلدون في أول تاريخه الكبير وألفه برسمه ، وحلى ديباجته باسمه ، أمه : مولدة اسمها مريم ، صفته : آدم اللون شديد الادمة ، طويل القامة ، يشرف على الناس بطوله ، نجيف الجسم ، أعين أدعج أخنس ، في وجهه أثر جدري . وكان عفا متمسكا بالدين ، مجبا في الخير وأهله ، لم يشرب خمرا ولا وقع في فاحشة قط ، وبالجمله فقد كان من صالحى الملوك رحمه الله .

ولما كان من الوزير عمر بن عبد الله الياباني إلى السلطان أبي زيان رحمه الله ما كان من الحق واللقاء في البئر ، استدعى عبد العزيز بن أبي الحسن هذا ، وكان في بعض الدور من القصبه بفاس محتاطا عليه من قبل الوزير المذكور ، فأحضره بالقصر ، وأجلسه على سرير الملك وبايعه ، وفتحت الابواب لبني مرين وسائر الخاصة والعامة فازدحموا على تقبيل يده ، معطين الصفقة بطاعته ، فتم أمره وثبت ملكه وذلك يوم الأحد الثاني والعشرين من ذى الحجة سنة سبع وستين وسبع مائة ، ثم ان الوزير عمر جرى معه على عادته من الاستبداد ، ومنع التصرف في شيء من أمور الملك فأنف السلطان عبد العزيز من ذلك وتأفف منه ، ودارت بينه وبين الوزير أمور إلى ان عمل السلطان على الفتك به فاعد له نجماة من الخصيان يزوايا داره ، ثم أحضره ووبخه وثار به أولئك الخصيان

فتناولوه هيرا بالسيف ، وصاح الوزير المذكور صيحة أسمع بها بطاته خارج الدار فوثبوا على الابواب فكسروها ، واقتحموا الدار فاذا صاحبهم مخرج بدمائه قد فرغ منه فولوا الادبار هارين ، ثم تبع السلطان عبد العزيز حاشية الوزير بالاعتقال والقتل حتى أتى على الجميع فى خبر طويل ، واستبد بملكه واضطلع به وأدار الامور فيه على ما ينبغي والله تعالى أعلم .



انتقاض أبى الفضل بن أبى سالم ثم مقتله بعد ذلك



قد قدمنا أن أبا الفضل بن أبى سالم كان قد عقد له الوزير عمر بن عبد الله على مراكنش اسعافا لكافله عامر بن محمد الهنتاني ، فلما فتك السلطان عبد العزيز بالوزير المذكور سولت لابی الفضل نفسه مثلها فى عامر بن محمد لاستبداده عليه ، وأغراه بذلك بطاته فأحس عامر بالشر فتمارض بداره من مراكنش ، ثم استأذنه فى الصعود إلى معتمعه من الجبل ليمرضه هنالك حرمة وأقاربه ، ورنحل ببجملته واحنل بحصنه وكان أعز من الابلق الفرد ، فئس أبو الفضل من الاستمکان منه ، ثم أغرته بطاته إذ فاتهم عامر بالفتك بعبد المومن بن ابى على ، وكان قد انضاف اليه بعد اجفاله عن سجنلماسة ، فسكر أبو الفضل ذات ليلة وبعث عن قائد الجند من النصارى فأمره بقتل عبد المومن بمكان معتقله من قصبة مراكنش فجاء برأسه اليه ، وطار الخبر بذلك الى عامر فارتاع وحمد الله اذ خلصه من غائلته وبعث ببيعته الى السلطان عبد العزيز ، وأغراه بأبى الفضل ورغبه فى ملك مراكنش ، ووعدته بالمظاهرة ، فأجمع السلطان أمره على النهوض اليها ، ونادى فى الناس بالعطاء ، وقضى أسباب حركته ، وارتحل من فاس سنة تسع وستين وسبعمائة ، وقد استبد أبو الفضل بمراكنش وأعمالها ، وأقام بها رسم الملك ، واستوزر واستلحق وجعل شوراء مبارك بن ابراهيم ابن عطية الخطفى .

ولما نهض السلطان عبد العزيز من فاس اتصل خبره بأبي الفضل وهو منازل لعامر بن محمد فانفض معسكره ولحق بئادلا ليعتصم بجبل بني جابر منها ، فتبعه السلطان عبد العزيز إليها ونازله ، وأخذ بمخقه وقتله فقل عسكره ، ثم داخل بعض بني جابر في جر الهزيمة عليه على مال يعطيه لهم ففعلوا ، وانهمزت جيوشه وتقبض على أشياعه وسبق مبارك بن ابراهيم الى السلطان عبد العزيز فاعتقله الى أن قتله مع عامر بن محمد كما نذكر .

ولحق أبو الفضل بقبائل صناكة وراء بني جابر فدخل بنو جابر في شأنه ، وبذلوا لهم عن السلطان مالا دثرا في اسلامه فأسلموه ، وبعث السلطان اليهم وزيره يحيى بن ميمون فجاء به أسيرا ، وأحضره أمام السلطان فويحه ، ثم اعتقله بفسطاط مجاور له ، ثم غط من الليل فكان مهلكه في رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة لمضى ثمان سنين من امارته على مراکش ، وبعث السلطان عبد العزيز الى عامر بن محمد يخبر طاعته فأبى عليه ، وجاهر بالخلاف الى ان كان من شأنه ما نذكره .

انتفاض عامر بن محمد الهنتاتي وحصار السلطان عبد العزيز اياها

وظفر لابه



كان عامر بن محمد الهنتاتي مجير السلطان أبي الحسن من ابنه أبي عنان على ما وصفنا من بلوغ الغاية في الرياسة والاعتزاز على الدولة وطول الاستبداد بمراكش وأحوازها ، وكان قد حصل في مدة رياسته على ثروة عظيمة وجاء كبير ، وكان له معتصم بجبل درن أعز من بيض الانوق قد حصن فيه ماله وسلاحه وذخيرته ، وكان كلما هاجه هائج صعد اليه وأمن على نفسه ، فلما صفا الامر للسلطان عبد العزيز جعل عامرا هذا من أهم أمره فنصب له واستعد لقتاله وعقد على وزارته لأبي بكر بن غازي بن يحيى بن الكاس ونهض اليه من فاس سنة سبعين وسبعمائة فحاصره في جبله سنة كاملة . ولما طال الحصار على

عامر وشيعته اختلفت كلمتهم عليه وفسد ما بينه وبين ابن أخيه فارس بن عبد العزيز بن محمد ، فبعث الى السلطان وسهل له الطريق لاقتحام الجبل ، فزحفت العساكر والجنود وشارفت المتصم ، ولما استيقن عامر أن قد أحيط به بعث الى ابنه أبي بكر أن يلحق بالسلطان مخازنا له ومشيرا عليه بالتى هي أحسن وأسلم ، فلقى الولد بنفسه الى السلطان فقبله ، وبذل له الامان وألحقه بجملته ، وانتبذ عامر عن الناس وذهب لوجهه ليخلص الى السوس فردة الثلج ، وقد كانت السماء أرسلت به منذ أيام حتى تراكم بالجبل بعضه على بعض وسد المسالك فاقتحمه عامر حتى هلك فيه بعض حرمه ونفق مركوبه ، وعابن الهلكة العاجلة فرجع أدراجه مخفيا حتى آوى الى غار مع أدلاء كان قد استخلصهم ، وبذل لهم مالا على أن يسلكوا به ظهر الجبل الى صحراء السوس ، فأقاموا ينظرون امساك الثلج وقد شدد السلطان عبد العزيز فى التقير عنه والبحث ، فعثر عليه بعض البربر بالغار المذكور ، فسيق الى السلطان فأخضره بين يده وويحه فاعتذر واعترف بالذنب ورغب فى الاقالة فحمل الى مضرب بنى له بازاء فسطاط السلطان واعتقل هنالك ، وانطلقت الايدى على منافل عامر ودياره فانتهب من الاموال والسلاح والذخيرة والزرع والأفوات مالا عين رأت ولا أذن سمعت .

واستولى السلطان على الجبل ومعاقله فى رمضان من سنة احدى وسبعين وسبعمائة لحول من يوم حصاره ، وعقد على هتاتة لابن أخى عامر وهو فارس ابن عبد العزيز بن محمد بن على الهتاتى ، وارتحل الى فاس فاخبل بها آخر رمضان المذكور ودخلها فى يوم مشهود برز فيه الناس ، وحمل عامر وسلطانه تانفين من بنى عبد الحق كان نصبه للامر مموها به على عادته ، فحملا معا على جملين وقد أفرغ عليهما لباس رث ، وعبت بهما أيدي الاهانة فكان ذلك عرة لمن رآه .

ولما قضى السلطان عبد العزيز نسك عيد الفطر أحضر عامرا فقرعه بذنوبه ، وأتى بكتاب يخطب فيه أبا حمو بن يوسف الزياتى ويستجده على السلطان فشهد عليه به وأمر السلطان بامتحانه فلم يزل يجلد حتى انتثر لحمه وضرب بالعصى

حتى ورمت أعضاؤه، وهلك بين يدي الوزعة، وجنب تاشفين سلطانه الى مصر عه ققتل
قصصا بالرماح وجنب مبارك بن ابراهيم الخلطي من مجسه بعد الاعتقال فالحق
بهم ، ولكل أجل كتاب ، وصفا الجو للسلطان عبد العزيز من المنازعين وتفرغ
لغزو تلمسان على ما تذكره ان شاء الله .

ارتجاع الجزيرة الخضراء من يد الاسبانيول



قد فدما ما كان من استيلاء الطاغية على الجزيرة الخضراء أيام السلطان
أبي الحسن رحمه الله فاستمرت في ملكتهم الى هذا التاريخ فنشأت بينهم فتنة
وتقاتلوا على الملك وأعروا نفورهم الموالية للمسلمين من الحامية والجند بقيت
عورة ، وتشوف المسلمون الى ارتجاع الجزيرة الخضراء التي قرب عهدهم
بانتظامها في ملكة المسلمين .

وكان السلطان عبد العزيز في شغل عن ذلك بفتنة أبي الفضل بن أبي سالم
وعامر بن محمد واتقاضهما ، فبعث الى ابن الاحمر صاحب الاندلس أن
يزحف اليها بعساكره وعليه عطاؤهم وامدادهم بالمال والاساطيل على أن تكون
مثنوية جهاده خالصة له ، فأجاب ابن الاحمر الى ذلك ، وبعث اليه السلطان عبد
العزيز باحمال المال ، وأوعز الى أساطيله بسبته فاتمعت واقلعت حتى احتلت
بمرسى الجزيرة الخضراء لحصارها ، وزحف ابن الاحمر بعساكر المسلمين
على أثرها بعد ان قسم فيهم العطاء وأزاح العلل وأعد الآلات للحصار ، فنازلها
أياما قلائل ، ثم أيقن النصارى بالهلكة لبعدهم عن الصريح ويأسهم من مدد
ملوكهم ، فآلقوا باليد وسألوا النزول على الصلح ، فأجابهم ابن الاحمر اليه ،
ونزلوا عن البلد وأقيمت فيه شعائر الاسلام ومحيت منه كلمة الكفر ، وكتب
الله أجراها لمن أخلص في معاملته (*) وكان ذلك سنة سبعين وسبعمائة ،

ولى ابن الاحمر عليها من قبله ولم تزل الى نظره الى أن وقع الاختيار على هدمها خشية استيلاء النصرانية عليها مرة أخرى فهدمت أعوام الثمانين وسبعمائة . أصبحت خاوية كأن لم تكن بالأمس .



نهوض السلطان عبد العزيز الى تلمسان واستيلاؤها عليها وفرار سلطانها ابي حمو بن يوسف عنها



كان أبو حمو بن يوسف الزياني قد فسد ما بينه وبين عرب سويد وقبض على بعض رؤسائهم محمد بن عريف فانسرخوا عليه السلطان عبد العزيز ، وكانت القوارص لا تزال تسرى اليه من أبي حمو المذكور فصادفوا منه صاغية الى ما التمسوا منه ، واعتزم على النهوض الى تلمسان ، وبعث الحاشرين الى الجهات المراكشية فتوافى الناس اليه على طبقاتهم ، واجتمعوا عنده أيام منى سنة احدى وسبعين وسبعمائة فافاض العطاء وأزاح العلل ، ولما قضى نسك عبد الاضحى عرض الجند ونهض الى تلمسان فاحتل بتازا .
واتصل خبره بابي حمو فجمع الجموع وهم باللقاء ثم اختلفت كلمة أصحابه وتفرق عنه العرب من بنى معقل فاجفل هو وأشياعه من بنى عامر بن زغبة فدخلوا القفر .

وتقدم السلطان عبد العزيز فاحتل بتلمسان يوم عاشوراء من سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة فدخلها في يوم مشهود ، واستولى عليها وعقد لوزيره أبي بكر ابن غازي بن الكلس على عساكر مرين والعرب وسرحه في اتباع أبي حمو فأدركه ببعض بلاد زناتة للشرق فاجهضوه عن ماله ومعسكره فانتهب بأسره واكتسحت أموال العرب الذين معه ونجا بذمائه الى مصاب ، وتلاحق به ولده وقومه متفرقين على كل مفازة ، ثم دخلوا القفر بعد ذلك ودوخ الوزير المذكور بلاد المغرب الاوسط وشرد عصاته واستنزل ثواره في أخبار طويلة .

واستولى السلطان عبد العزيز على سائر الوطن من الامصار والاعمال ،
وعقد عليها للولاة والعمال واستوسق له ملك المغرب الاوسط كما كان لسلفه
واستمر مقبلا بتلمسان الى أن كان ما نذكره .

❦

نزوع الوزير ابن الخطيب عن سلطان الغني بالله

الى السلطان عبد العزيز بتلمسان



قد قدمنا ما كان من رجوع الغني بالله ابن الاحمر الى ملكه بالاندلس سنة
ثلاث وستين وسبعماية ، ولما استولى على غرناطة وثبت قدمه بها بعث عن مخلفه
بفاس من الاهل والولد ، والقائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله فاستقدم عمر
ابن الخطيب من سلا وبعثهم الى نظره ، فسر السلطان ابن الاحمر بدممه
ورده الى منزله . ودفع اليه تدبير المملكة وخلط بينه بدمائه وأهل خلوته ،
وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد ، وانصرفت اليه الوجوه وعلقت به الآمال
وغشى بابه الخاصة والكافة ، وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على
السعاية فيه ، وقد صم السلطان عن قبولها ، ونما بذلك الخبر الى ابن الخطيب
فشمر عن ساعده للرحلة عن الاندلس والحق بالمغرب ، وكان له حين اليه
ورغبة في الايالة المرنية من قبل ذلك ، فقدم الوسائل الى السلطان عبد العزيز
وأوعز اليه بما عزم عليه من الحق بحضرته فوعده السلطان بالجميل وبسط
أمله ، فحيث استأذن السلطان الغني بالله في تفقد الثغور الغربية من أرض
الاندلس فأذن له ، وسار اليها في جماعة من فرسانه ، ومعه ابنه علي فلما حاذى
جبل طابوق مال اليه ، فخرج قائد الجبل لتلقيه ، وقد كان السلطان عبد العزيز
أوعز اليه بذلك وجهه اليه الاسطول من حينه ، فأحل بسبته ثم سار منها فقدم
على السلطان عبد العزيز بتلمسان سنة ثلاث وسبعين وسبعماية ، فاهتزت له
الدولة وأركب السلطان خاصته لتلقيه وأحله بمجلسه محل الامن والنبطة ،

ومن دولته بمكان الشرف والعزة ، وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبي مدين
سفيراً الى الاندلس في طلب أهله وولده فجاء بهم على أكمل الحالات من الامن
والتكرمة ، ثم نزل بعد ذلك مدينة فاس القديمة فاستكثر بها من شراء الضياع
وأنفق في بناء المساكن واغتراس الجنات وحفظت عليه رسومه السلطانية
وتوقيراته ، وأقام مطمئناً بخير دار عند أعز جوار .



وفاة السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن رحمه الله



كان السلطان عبد العزيز قد أصابه مرض التحول في صغره ولاجل
ذلك تجافى السلطان أبو سالم عن بعثه مع الابناء الى الاندلس فأقام بالمغرب ،
ولما شب أفاق من مرضه وصلاح بدنه ثم عاوده وجعه في مثواه بلمسان وتزايد
نحوله ، ولما كمل الفتحة واستفتح الملك اشتد به الوجع فصابره وكنمه عن اناس
خشية الارجاج ثم عسكر خارج تلمسان للحاق بالمغرب .

ولما كانت ليلة الخميس الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع
وسبعين وسبعمائة قضى نجه رحمه الله بظاهر تلمسان بين أهله وولده وسبق
الى فاس فدفن بجامع قصره ، وسنه يومئذ أربع وعشرون سنة ، وكانت دولته
ست سنين وأربعة أشهر (*) .

ومن نظمها ما ذكره ابن الاحرر في « نثر الجمان » مذيلاً بتي والده السلطان
أبي الحسن اللذين هما قوله :

أرضى الله في سر وجهه — وأحمى العرض من دنس ارتياب
وأعطى الوفر من مالى اختياراً — وأضرب بالسيف ظل الرقاب
فقال هو وأحسن :

[*] ومن اولادها : السلطان محمد السعيد ومحمد وعبد الله .

وأرغب خالفى فى العقو عنى
وأرجو عونه فى عز نصر
وعبدك وافف بالباب فارحم
وعيدا خائفاً لم العقاب

الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبى زيان محمد بن عبد العزيز
ابن أبى الحسن



هذا السلطان ممن ولى الامر وهو صبى ، وفيه ألف ابن الخطيب كتابه
المسمى : «بعلام الاعلام بمن بوع من ملوك الاسلام قبل الاختلام» كنيته : أبو زيان .
أمه : عائشة بنت القائد فارح العليج ، صفته : آدم اللون شديد الادمة .
ولما مات السلطان عبد العزيز رحمه الله بظاهر تلمسان خرج الوزير أبو
بكر بن غازى بن الكاس على الناس ، وقد احتمل أبا زيان ابن السلطان عبد
العزيز ، فعزاهم عن سلطانهم ثم طرح ابنه بين أيديهم ، فازدحموا عليه باكين
متفجعين يعطونه الصققة ويقبلون يديه للبيعة ، ثم أخرجوه للمعسكر وأنزلوه
بفساطيط أبيه وتم أمره وكفله الوزير المذكور فكان اليه الإبرام والتقصض ،
والصبى كالعدم ، إذ لم يكن فى سن التصرف .

ثم إن الوزير ارتحل بالناس وجد السير فدخل حضرة فاس وأجلس
الصبى لبيعة العامة فأيعوا ، ثم توافت لديه وفود الامصار على العادة ، واستبد
الوزير أبو بكر واستعمل على الجهات وجلس بمجلس الفصل واشتغل بامر
المغرب ابراما وتقضا .

ولما فصل بنو مرين عن تلمسان عاد اليها سلطانها أبو حمو ابن يوسف
الزيانى ، والتفت عليه بنو عبد الوالد من كل جانب ومحا دعوة بنى مرين من
ضواحي المغرب الاوسط وأمصاره ، واتصل الخبر بالوزير أبى بكر بن غازى فهم
بالنهوض اليه ثم نثى عزمه ما كان من خروج الامير عبد الرحمن بن أبى

يفلوسن بن أبي على بن أبي سعيد بن بطة، فان السلطان ابن الاحمر كان قد سرحه من الاندلس صحبة وزيره مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي لطلب ملك المغرب تسغيا على الوزير أبي بكر بن غازي، ثم أتبعه بالامير أبي العباس أحمد ابن السلطان أبي سالم الذي كان محتاطا عليه بطنجة، فزحف الامير أبسو العباس المذكور الى فاس وظاهره ابن عمه الامير عبد الرحمن بن أبي فلولسن فحاصروا الوزير أبا بكر بن غازي وسلطانه أبا زيان بن عبد العزيز، وضربوا على فاس الجديد سياجا بالبناء للحصار، وأنزلوا به أنواع القتال بعد أن بعث ابن الاحمر رسله الى الامير عبد الرحمن باتصال اليد بابن عمه الامير أبي العباس ومظاهرة على ملك سلفه بفاس واجتماعهما لمنازلتهما، وعقد بينهما الاتفاق والمواصلة وأن يختص عبد الرحمن بملك سلفه من سبجلماسة وأعمالها، فراضيا وزحفا الى فاس كما قلناه وأمدهم ابن الاحمر بجمع من جنده، فاستمر الحال على حصار فاس الى أن أذعن الوزير أبو بكر لخلع سلطانه أبي زيان ومبايعة الامير أبي العباس، فضلعه يوم الاحد السادس من محرم سنة ست وسبعين وسبعمائة وغرب الى الاندلس فكانت دولته سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما والله غالب على أمره .



الخبر عن الدولة الاولى للسلطان المستنصر بالله

أبي العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن



هذا السلطان يقال له : ذو الدولتين لانه ولي الملك مرتين كما سيأتي .
أمه : حرة بنت أبي محمد السائي . كنيته : أبو العباس ، لقبه : المستنصر بالله ،
صفته : أبيض اللون ربعة تعلوه صفرة رقيقة، أدهج أسود الشعر أكحل الحاجبين ضيق
البلج أسيل الخدين براق الثنايا جميل الوجه مليح الصورة ظريف المنزع لطيف
الشمال حسن الشكل اذا ركب ، بويج أولا بطنجة في شهر ربيع الاخر
سنة خمس وسبعين وسبعمائة ، ثم بويج البيعة العامة بالمدينة البيضاء بعد استيلائه

عليها يوم الاحد السادس من محرم سنة ست وسبعين وسبعمائة ، وكان الامير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن عند ما أشرفوا على فتح فاس شرط عليهم ولاية مراكش عوضا عن سجلماسة فمقدوا له على كره مخافة ان تفرق كلمتهم ولا ينم أمرهم ففعلوا ، وطووا له على انكث فارتحل الى مراكش واستولى عليها ، ثم فارقه وزيره مسعود بن عبد الرحمن وأجاز البحر الى الاندلس فاستقر بها في ايلة ابن الاحمر .

واستقل السلطان أبو العباس بن أبي سالم بملك فاس وأعمالها ، واستوزر محمد بن عثمان بن الكاس وفوض اليه أموره فقلب على هواه وجعل أمر الشورى الى سليمان بن داود فاستقل بها وحاز رئاسة المشيخة ، واستحكمت المودة بينه وبين ابن الاحمر وجعلوا اليه المرجع في نقضهم وابعادهم ، فصار له بذلك تحكم في الدولة المرينية وأصبح المغرب كأنه من بعض أعمال الاندلس وذلك بما كان لابن الاحمر من إعانة السلطان أبي العباس على ملك المغرب حتى تم له ، وبما كان تحت يده من أبناء الملوك المرشحين للامر ، فكان أبو العباس وحاشيته يصانمونه لاجل ذلك ، والله تعالى أعلم .



محنة الوزير ابن الخطيب ومقتله رحمه الله



لما لجأ ابن الخطيب الى بنى مرين وأصاب عندهم دارا وقوارا عز ذلك على ابن الاحمر ، وسعى بطاقته عنده في ابن الخطيب لعداوتهم له ، ثم بلغه انه يغري السلطان عبد العزيز بتملك أرض الاندلس وقطع دعوة بنى الاحمر منها ، فعظم عليه ذلك ودبر الحيلة في قتل ابن الخطيب ، وتبع أعداؤه كلمات زعموا أنها صدرت منه في بعض تأليفه فاحصوها عليه ورفعوها الى قاضي غرناطة أبي الحسن النباهي فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة ، وبعث ابن الاحمر برسبم الشهادة مع هدية لم يسمع بمثلا الى السلطان عبد العزيز وطلب منه اقامة الحد على ابن الخطيب أو اسلامه اليه ، فصمم السلطان عبد العزيز ' عن ذلك وأنف

لذمته أن تحضر ولجواره أن يؤذى ، وقال للوفد : « هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه ، وأما أنا فلا يخلص إليه بذلك أحد بما كان في جوارى » ثم وفر الجراية والافطاع له ولبنيه ولمن جاء من فرسان الاندلس في جملته .

ثم لما مات السلطان عبد العزيز رحمه الله وولى ابنه أبو زيان وقام بأمره الوزير أبو بكر بن غازى عاود ابن الاحمر الكلام في شأن ابن الخطيب وبعث بهدية أخرى الى الوزير المذكور وطلب منه اسلامه اليه ، فابى الوزير وأساء الرد ، وعادت رسل ابن الاحمر اليه مخفقين ، وقد رهبوا سطوته ، فعند ذلك عمد ابن الاحمر الى الامير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ، وكان عنده بالاندلس فاطمعه في ملك المغرب وأركبه البحر ، فقذف به بساحل بطوية من بلاد الريف تشغيا على الوزير أبي بكر بن غازى كما مر ، ثم تاب له رأى آخر فآغرى محمد بن عثمان بن الكاس وهو ابن عم أبي بكر بن غازى المذكور ، وكان يومئذ بسببة قائما على ثغرها ، فدخله في البيعة لابي العباس بن أبي سالم ، وكان يومئذ بسببة محتاطا عليه في جملة من القرابة ، والتزم أن يعده بالمال والرجال حتى يتم أمره ، لكن بشرط أن ينزل له عن جبل طارق ، ويعث له بالقرابة الذين هم بطنجة ليكونوا تحت يده ، وسلم اليه ابن الخطيب متى قدر عليه ، فكان الامر كذلك ، فان السلطان أبا العباس لما استولى على الامر نزل لابن الاحمر عن جبل طارق فمحا دعوة بنى مرين من وراء البحر ، ثم ملك بعد ذلك سببة فاستولى عليها ، وبعث اليه بالقرابة المذكورين فوسع لهم جناحه بغرناطة ، ثم قبض السلطان أبو العباس ووزيره محمد بن عثمان على ابن الخطيب وطيراو بالاعلام لابن الاحمر ، فحينئذ بعث وزيره أبا عبد الله بن زمرك ، وكان من تلاميذة ابن الخطيب وبه تخرج ، فقدم على السلطان أبي العباس وأحضروا ابن الخطيب بالمشور في مجلس الخاصة وأهل الشورى من الفقهاء ، وعرضوا عليه بعض كلمات وقعت له في بعض كبه فعظم عليه التكبر فيها فوبخه ونكل ، وامتنح بالمذاب بمشهد ذلك الملاء ، ثم ثل الى محبسه ، وتفاوضوا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه فافتى بعض الفقهاء بقتله ، فدى سليمان بن داود اليه

بعض الاوغاد من حاشيته فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانة من أهل الاندلس جاءوا في ليل في ذلك الوفد فقتلوه خنقا في محبسه وأخرجوا شلوه من القيد فدفن في مقبرة باب المحروق ، ثم أصبح من القيد طريقا على شافة قبره وقد جمعوا له أعوادا فأضرموها عليه نارا فأحترق شعره واسود بشره ، وأعيد الى جفرتة ، وكان في ذلك انتهاء محنته ، وعجب الناس من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان بن داود واعتدوها من هنائه ، وعظم التكبر فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته .

وكان ابن الخطيب رحمه الله أيام مقامه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتجيش هواته بالشعر يكي نفسه فمما قال في ذلك :

بعدنا وان جاورتنا اليبوت	وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأفسنا سكنت دفعة	كجهر الصلاة تلاء القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما	وكنا نقوت فها نحن قنوت
وكنا شمس سماء العسلا	غربنا فناحت عليها السموت
فكم جدلت ذا الحسام القلبي	وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة	فتى ملئت من كساه التبخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب	وفات ومن ذا الذي لا يفوت
فمن كان يفرح منكم له	فقل يفرح اليوم من لا يموت

وكانت نكبته رحمه الله أوائل سنة ست وسبعين وسبعمائة ، وعند الله تجتمع الخصوم .



بقية اخبار امير مراكش عبد الرحمن بن ابي يفلوسن رحمه الله



قد تقدم لنا ما كان من معاقدة السلطان أبي العباس والامير عبد الرحمن ابن أبي يفلوسن على ولاية سجلماسة أولا ثم التعويض عنها بمراكش ثانيا ، فلما فتح السلطان أبو العباس فاسا وفي للامير عبد الرحمن بعقده فسار الى مراكش واسنولى عليها وعلى أعمالها ، واقتسمت مملكة المغرب الأقصى يومئذ بنصفين .

وكان الحد بين الدولتين ثغر آزمور فكانت في إيالة صاحب فاس ، وما وراهما الى مراكش في إيالة صاحب مراكش ، ثم كانت بينهما بعد ذلك مواصلات ومناقضات ومسالمات ومحاربات يطول جلبها ، واتصل ذلك الى منتصف سنة أربع وثمانين وسبعمائة فظفر السلطان أبو العباس بعدد الرحمن بعد محاصرته بقصبة مراكش تسعة أشهر ، ولما أشرف السلطان أبو العباس على فتحها وانفض الناس من حول الامير عبد الرحمن ونزلوا من الاسوار ناجين الى السلطان وبقي هو في قصبته منفردا بات ليلته يراود ولديه على الاستماتة وهما: سليم وأبو عامر ، وركب السلطان أبو العباس من الغد في التعمية الى القصبة فاقتحمها بمقدمته وقيه الامير عبد الرحمن وولدها مساقين الى الميدان ومباشرين القتال بين أبواب دورهم فجالوا معهم جولة قتل فيها الولدان قتلهم على بن ادريس وزيان بن عمر الوطاسي .

قال ابن خلدون : « وطالما كان زيان يمتري ثدى نعمتهم ويجر ذيله خيلاء في جاههم فذهب مثلا في كفران النعمة وسوء الجزاء والله لا يظلم مثقال ذرة ، وكان ذلك خاتم جمدى الآخرة سنة أربع وثمانين المذكورة لمضى عشر سنين من امارة عبد الرحمن على مراكش ، ثم رحل السلطان أبو العباس منتقلا الى فاس وقد استولى على سائر أعمال المغرب وظفر بعدوه ودفع النازعين عن ملكه والله غالب على أمره .

ذكر الشاوية وبيان نسبهم وأوليتهم وشرح لقبهم وتسميتهم



ذكر ابن خلدون أن الشاوية من واد حسان بن أبي سعيد الصيحي نسبة إلى صبيح بالتصغير بطن من سويد ، وسويد إحدى قبائل بنى مالك بن زغبة الأهلاليين ، وكان دخول حسان وأخيه موسى ابني أبي سعيد إلى المغرب الأقصى أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ، قدموا في صحبة عبد الله بن كندوز العبد الوادي ثم الكمي ، وكان عبد الله هذا قد نزع عن بغمراسن بن زيان إلى السلطان يعقوب المذكور فقدم عليه قبل فتح مراکش ، فاهتز السلطان يعقوب لقدمه وأخله بالمكان الرفيع من دولته وأنزل قومه بجهات مراکش وأقطعهم البلاد التي كفتهم مهماتهم وجعل انتجاع ابله ورواحله وسائر ظهره في أحيائهم ، فقدم عبد الله بن كندوز على رعايتها حسان وأخاه موسى الصيحيين وكانا عارفين برعاية الأبل والقيام عليها فاقاموا يتقبلون في تلك البلاد ويتعدون في نجعتها إلى أرض سوس ، وكانت ماشية السلطان يعقوب منفردة في سائر المغرب فجمعها لعبد الله بن كندوز ، وجمعها عبد الله لحسان الصيحي المذكور ، فكان حسان يباشر أمور السلطان في شأن تلك الماشية ويطالعه بمهمات فحصلت له مداخلة معه جلبت إليه الحظ حتى ارتفع قدره ، ونشأ بنوه في ظل الدولة وعزها وتصرفوا في الولايات منها وانفردوا بخطة الشاوية فلم تزل ولايتها متوارثة فيهم منقسمة بينهم لهذا العهد إلى ما كانوا يتصرفون فيه من غير ذلك من الولايات ، وكان لحسان من الولد علي ويعقوب وطلحة وغيرهم ، ومن حسان هذا تفرعت شعوبهم في ولده قال ابن خلدون : « وهم لهذا العهد يتصرفون في الدولة على ما كان نسلهم من ولاية الشاوية والنظر في رواحل السلطان والظهر الذي يحبل من الأبل ولهم عدد وكثرة ونباهة في الدولة » اه قلت : ولفظ الشاوية نسبة إلى الشاء التي هي جماعة الغنم مثلاً قال الصحاح : « والنسبة إلى الشاء شأوى قال الراجز :

لا ينفع الشاوى فيها شاته * ولا حماراه ولا علاته
وان سميت به رجلا قلت شائي وان شئت شاوى ، اه .

واعلم أن الشاوية اليوم يطلقون على سكان تامسنا من قبائل شتى بعضها عرب وبعضها زناتة وبربر غير أن لسان الجميع عربى ، وكان أصل جمهورهم من هؤلاء الذين ذكر ابن خلدون ، ثم انضفت اليهم قبائل آخر ، واختلطوا بهم فأطلق على الجميع شاوية تغليا ، وهكذا وقع فى سائر عرب المغرب الأقصى المواطنين بتلوله فانهم وقع فيهم اختلاط كبير حتى نسوا أنسابهم وأصولهم الاولى الا فى النادر ، وذلك بسبب تعاقب الاعصار وتناسخ الاجيال وتوالى المجاعات والانتجاعات ووقعات الملوك بهم فى كثير من الاحيان وتفريق بعضهم من بعض ونقل بعضهم الى بلاد بعض ، ومع ذلك فأسماؤهم الاولى لا زالت قائمة فيهم لم تتغير الى الان فمنها يهتدى القطن الى التنقير عن أنسابهم والحق فروعهم بأصولهم متى احتاج الى ذلك . والله تعالى أعلم .



نهوض السلطان أبى العباس الى تلمسان وفتحها وتخريبها



لما نهض السلطان أبو العباس الى مراکش وحاصر بها عبد الرحمن بن أبى يفلوسن خالقه الى المغرب أبو حمو بن يوسف الزباني فى جمع من أولاد حسين عرب معقل وذلك باغراء عبد الرحمن المذكور ، فدخلوا الى أحواز مكناسة وعاثوا فيها ثم عمدوا الى مدينة تازا فحاصروها سبعا وخرّبوا قصر الملك هنالك ومسجده المعروف بقصر تازروت وبينما هم على ذلك بلغهم الخبر اليقين بفتح مراکش وقتل الامير عبد الرحمن فاجفلوا من كل ناحية ومر أبو حمو فى طريقه الى تلمسان بقصر ونزمار بن عريف السويدي فى نواحي بطوية المسمى بمرادة فهدمه .

ووصل السلطان أبو العباس الى فاس فأراح بها أياما ثم أجمع النهوض الى تلمسان فاتتهى الى تاويرت ، وبلغ الخبر الى أبى حمو فاضطرب رأيه

واعتزم على الحصار وجمع أهل البلد عليه فاستعدوا له ، ثم بدا له فخرج ففى بعض تلك الليالى بولده وأهله وخاصه وأصبح مخبيا بالصفيف فاهرع أهل البلد اليه بميالهم وأولادهم متعلقين به تقاديا من مرة هجوم العسكر عليهم فلم يزعه ذلك عن قصده ، وارتحل ذاهبا إلى البطحاء ، ثم قصد بلاد مغراوة فنزل فى بنى بوسعيد قريبا من شلف وأنزل أولاده الا صاغر وأهله بحصن تاجحمومت . وجاء السلطان أبو العباس الى تلمسان فملكها واستقر بها أياما ثم هدم أسوارها ونصور الملك بها باغراء وليه ونزمار جزاء بما فعله أبوحمو ففى تخريب قصر تازروت وحصن مرادة ، ثم خرج من تلمسان فى اتباع أبى حمو ونزل على مرحلة منها وهناك بلغه الخبر باجازه موسى بن أبى عنان من الاندلس الى المغرب ، وانه خالفه الى دار الملك فانكفأ راجعا عوده على بدئه ورجع أبوحمو الى تلمسان فاستقر ملكه بها الى أن كان ما نذكره ان شاء الله .



خلع السلطان أبى العباس بن أبى سالم وتغريبه الى الاندلس والسبب فى ذلك



قد قدمنا ما كان من تحكم ابن الاحمر فى مملكة المغرب ودالته على السلطان أبى العباس بما أنه كان السبب فى ولايته وبما تحت يده من القراية المرشحين الذين أرصدهم للتشغيب على دار الملك بالمغرب متى رأى من أحدهم ما لا يوافق هواه ، وكان مع كثرة تحكمه فيهم يتجنى عليهم فى بعض الاوقات بما يأتونه من تقصير فى شفاعه أو مخالفة فى أمر لا يجدون عنها محيصا فيضطعن ذلك عليهم ، وكان يعتد على السلطان أبى العباس بشيء من هذه الهنات ، فلما نهض الى تلمسان واستولى عليها سنة خمس وثمانين وسبعمائة اتصل بابن الاحمر أن دار الملك بقاس قد بقيت عورة من الجند والحامية فاتhez الفرصة وبادر بتسريح موسى ابن السلطان أبى عنان الى المغرب واستوز له مسعود بن عبد

الرحمن بن ماسى رئيس الفتنة وقطب رحاها ، وكان عنده بالاندلس ببسند مفارقة عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ، فنزل موسى بن أبى عثان سبعة فاستولى عليها وسلمها لابن الاحمر فدخلت فى طاعته ، ثم تقدم الى فاس فدخلها من يومه واستقر قدمه بها .

واتصل الخبر بالسلطان أبى العباس وهو بلمسان فجاء مبادرا ونزل بتازا فقام بها أربعة ثم تقدم الى الموضع المعروف بالركن فانتقض عليه رؤساء جيشه وتسلبوا الى موسى طوائف وأفرادا ولما رأى ما نزل به رجع الى تازا بعد ان انتهب معسكره وأضرمت النار فى خيامه وذلك يوم الاحد الموفى ثلاثين من ربيع الاول سنة ست وثمانين وسبعمائة .

ثم بعث موسى بن أبى عثان من أتاب بالسلطان أبى العباس فى الامان فقدم عليه وقيده وبعث به الى ابن الاحمر فبقى عنده محتاطا عليه الى أن كان من أمره ما تذكره ان شاء الله .

وكانت دولته هذه عشر سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوما ، ومن وزرائه فى هذه الدولة : محمد بن عثمان بن الكاس المجذولى ومن كتابه : عبد المهيمن بن أبى سعيد بن عبد المهيمن الحضرمى تغمد الله الجميع برحمته .

■ ■ ■

الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبى فارس موسى

ابن أبى عثان بن أبى الحسن



أمه: مولدة اسمها تاملالت ، صفته : أسمر مائل الى السواد قصير القامة جاحظ العينين عظيم اللحية تملا* صدره قائم الانف واذا تكلم يملأ* لسانه فمه فيخرج من بين شفتيه وينحرك فيقبح كلامه ، بوجع يوم الخميس الموفى عشرين من شهر ربيع الاول سنة ست وثمانين وسبعمائة وقام بامر دولته وزيـره مسعود بن ماسى مستبدا عليه ، ولما استقر أمره بالحضرة وجه اليه ابن الاحمر أمه وعباله وكانوا عنده وهناه وزيره أبو عبد الله بن زمرك بتوشيح يقول فى

مطلعه :

قد نظم الشمل أتم انتظام
وضاحك الروض تغور الغمام
إلى أن قال في آخره :

مولاي يهنيك . وحق الهنا
قد فزت بالفخر ونيل المتسى
وقرت العين وزال العناء
ولم يزل ملكك حلف الدوام
يتلو عليك الدهر بعد السلام
قد نظم الشمل كنظم السعود
وأنجز السعد جميع الوعود
وكلما مر صنع يعسود
يحوز في التخليد أوفى نصيب
نصر من الله وفتح قريب



خروج الحسن بن الناصر بفمارة ونهوض الوزير ابن ماساي اليه



كان الحسن بن الناصر بن أبي علي بن أبي سعيد قد لحق من مقصره بالاندلس بحضرة تونس في سبيل طلب الملك ، وكان الوزير مسعود بن ماساي قد قتل محمد بن عثمان بن الكاس وافترقت حاشيته في الجهات فطلبوا بطن الارض دون ظهرها ، ولحق منهم ابن أخيه العباس بن المقداد بتونس فعثر على الحسن بن الناصر بها فتاب له رأى في الرجوع به الى المغرب لطلب الامر ، فخرج به من تونس وقطع المفاوز الى أن انتهى الى جبال غمارة ونزل على أهل الصفيحة منهم فأكرموا مثواه ومنقلبه وأعلنوا بالقيام بدعوته ، واستوزر للعباس ابن المقداد .

وبلغ الخبر الى مسعود الوزير فجهز العساكر مع أخيه مهدى بن عبد الرحمن بن ماساي فحاصره بجبل الصفيحة أياما فامتنع عليه فهض اليه مسعود بنفسه على ما تذكره .



وفاة السلطان موسى بن ابي عنان رحمه الله



لما كان من استبداد ابن ماساي على السلطان موسى ما قدمناه استتسف من ذلك وداخل بطانته في الفتك به فمما ذلك اليه وحصلت له نفرة من السلطان طلب لاجلها البعد عنه وبادر الى الخروج لدافعة الحسن بن الناصر القائهم بغمارة ، واستخلف على دار الملك أخاه يعيش بن عبد الرحمن بن ماساي ، فلما انتهى الى قصر كتامة بلغه الخبر ب وفاة السلطان موسى ، وكانت وفاته في جمدي الآخرة طرفة المرض فهلك ليوم وليلة من مرضه ، وكان الناس يرمون يعيش أخا الوزير بانه سمه ، فانه ابن خلدون .

وقال ابن القاضى في الجذوة : « توفي السلطان موسى بن أبي عنان مسموما يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وله احدى وثلاثون سنة فكانت دولته سنتين وأربعة أشهر وولى بعده محمد بن أحمد بن أبي سالم » اه
ومن كتابه: أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي وأبو القاسم محمد بن سودة المرى ، ومن قضاه : أبو عبد الله محمد بن محمد المغيلي والله تعالى أعلم .



الخبر عن دولة المنتصر بالله السلطان ابي زيان محمد بن ابي العباس

ابن ابي سالم بن ابي الحسن



أمه: حرة وهي رقية بنت السلطان أبي عنان، صفته: أبيض اللون قائم الانف أسيل الخدين ، بويع بعد خاله موسى بن أبي عنان يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وسنه يوم بويع خمس سنين

وخلع يوم الجمعة الخامس عشر من شوال من السنة المذكورة وغرب الى
الاندلس مع أبيه فكانت دولته ثلاثة وأربعين يوما تحت استبداد الوزير
مسعود عفا الله عنه .



الخبر عن دولة السلطان الواثق بالله أبي زيان محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن



أمه : أم ولد اسمها عسيلة ، صفته : أسود اللون عظيم الخلق رحب الوجه
طويل القامة والساقين متلى الأنف عظيم الساعدين ، وكان قبل ولايته عند
ابن الأحمر بالاندلس في جملة القراية ، ولما استوحش الوزير مسعود من
السلطان موسى بن أبي عنان بعث ابنه يحيى الى ابن الأحمر يسأل منه إعادة
السلطان أبي العباس الى ملكه فأخرجه ابن الأحمر من الاعتقال وجاء به الى
جبل الفتح يروم إجازته الى العدو ، فلما توفى السلطان موسى بدا للوزير
مسعود في أمره ودس لابن الأحمر في رده وأن يعث اليه بالواثق هذا
ورآه أليق بالاستبداد والحجر فأسعفه ابن الأحمر في ذلك ورد السلطان
أحمد الى مكانه بالحمراء وجيء بالواثق فحضر بجبل الفتح عنده فإجازه الى
سبتة ، واتفق أن جماعة من الحاشية انتقصوا على الوزير مسعود ولحقوا
بسبتة فقدم عليهم الواثق بها ورجعوا به الى المغرب وتقبلوا في نواحيه الى أن
وصلوا الى جبل مغيلة قرب فاس ، فبرز الوزير مسعود في العساكر ونزل
قبالهم وقَاتلهم هنالك أياما ثم وقع الاتفاق على أن يباع مسعود للواثق بشرط
الاستبداد فتم المقد على ذلك .

قال في «الجذوة» : بويح السلطان الواثق بالله أبو زيان محمد بن أبي الفضل
يوم الجمعة الخامس عشر من شوال سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وقام بأمره
الوزير مسعود بن ماسى ، ثم حدثت الفتنة بين الوزير المذكور وابن الأحمر
بسبب أن الوزير طلب منه إعادة سبتة الى الأيالة المرينية وكان موسى بن أبي

عنان قد نزل له عنها كما مر وكان طلبه على سبيل الملاطفة فاستشاط ابن الأحمر غضباً وأساء الرد فجهز ابن ماسأى الساكر لحصار سبتة مع العباس بن عمر ابن عثمان الوسناني ويحيى بن علال بن آمصود والرئيس محمد بن أحمد الأيكم من بني الأحمر فاستولى عليها ، ثم سرح ابن الأحمر السلطان أبي العباس من اعتقاله وبعثه إلى المغرب لطلب ملكه وللتغيب على ابن ماسأى الجاحد لاحسانه ، فعبر السلطان أبو العباس البحر إلى المغرب فاحتل سبتة واستولى عليها ، ثم تقدم إلى فاس فحاصرها وضيق على ابن ماسأى وسلطانه الواق باله ، وأهرع الناس إلى الدخول في طاعته حتى من مراكش ، فاستمر الحصار على فاس الجديد ثلاثة أشهر ، ثم أذعن الوزير مسعود للطاعة على شرط أن يبقى وزيراً ويغرب سلطانه إلى الأندلس فأجيب وخلع الواق بالله ، ثم خرج إلى السلطان أبي العباس فبايعه وتقدم أمامه فدخل دار ملكه يوم الخميس خامس رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، ولحين دخوله قبض على الواق بالله فقيده وبعث به إلى طنجة فقتل بها بعد ذلك وسنه يوم قتل ثمان وثلاثون سنة وبها قبر .

ومن وزرائه : يعيش بن علي بن فارس اليباني ومسعود بن رحو بن ماسأى ، ومن كتابه : منصور بن أحمد بن محمد التميمي ، وأبو يحيى محمد ابن محمد بن أبي القاسم بن أبي مدين ، ومن قضاته : أبو يحيى محمد بن محمد السكاك رحمهم الله تعالى بعه .



الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي العباس بن أبي سالم بن أبي الحسن



لما دخل السلطان أبو العباس حضرة فاس الجديد في التاريخ المتقدم بويح البيعة العامة في اليوم الثالث من دخوله وهو يوم السبت السابع من رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة لمضى ثلاث سنين وخمسة أشهر وستة أيام من

خلعه .

ولما ملك أمر نفسه فض على الوزير ابن ماسى وعلى اخوته وحاشيته
وامنحهم امتحانا بليغا فهلكوا من العذاب ، ثم سلط على مسعود من العذاب
والانتقام ما لا يعبر عنه واعتد عليه بما كان يفعله فى دور بنى مرين النازعين
عنه اليه ، فانه كان متى هرب منهم أحد عمد الى بيوته فنهبا فامر السلطان
أبو العباس بمقابه فى اطلالها فكان يؤتى به الى كل بيت منها فيضرب عشرين
سوطا الى أن يرح به العذاب وتجاوز الحد ، ثم أمر به فقطعت أربعته فهلك
عند قطع الثانية وذهب مثلا للآخرين .



ظهور محمد بن عبد الحليم بن ابي على بسجلماسة ثم اضمحلالة بعد ذلك



فد قدما أن الامير عبد الحليم بن أبى سعيد كان تغلب على سجلماسة
ثم غلبه عليها أخوه عبد المؤمن ، وسافر عبد الحليم الى المشرق فهلك فى سفرته
تلك ، وكان قد ترك ابنه محمدا هذا رضيعا فشب متقلبا بين الدول من ملك الى
آخر على أن أكثر مقامه انما كان عند أبى حمو صاحب تلمسان ، ولما حاصر
السلطان أبو العباس فاس الجديد كان محمد هذا عند العرب الاحلاف ،
فلما اشتد الحصار على مسعود بن ماسى دس الى الاحلاف أن ينصوا محمد
ابن عبد الحليم للامر ويحبوا به على المغرب ليأخذ بحجزه السلطان أبى العباس
عنه ففعلوا ودخل محمد بن عبد الحليم سجلماسة فملكها حتى اذا استولى السلطان
أبو العباس على فاس الجديد وأوقع بمسعود بن ماسى واخوته خرج محمد بن عبد
الحليم عن سجلماسة ولحق باحياء العرب فسارت طائفة منهم معه الى أن أبلغوه
مأمنه ونزل على أبى حمو بتلمسان الى أن هلك فصار الى تونس ونزل على
صاحبها أبى العباس الحفصى ، ثم ارتحل بعد وفاته الى المشرق لحج القرية
والله تعالى أعلم .

نكبة الكاتب ابن أبي عمرو وحركات بن حسون ومقتلها



كان محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي ، وقد تقدم ذكر والده ، في دولة السلطان أبي عنان كاتباً عند السلطان أبي العباس في دولته الأولى ، فلما خلع وولى موسى بن أبي عنان تقرب اليه بسالف المخالصة لايه من أبي عنان فقد كان أعز بطاته كما مر ، فاستخلصه السلطان موسى للشورى ورفع منزلته على منازل أهل الدولة وجعل اليه كتابة علامته على المراسم السلطانية كما كان لايه ، وكان يفاوضه في مهماته ويرجع اليه في أموره حتى غص به أهل الدولة وسعى هو عند السلطان موسى في جماعة من بطانة السلطان أبي العباس فأتى عليهم النكال والقتل لكلمات كانت تجرى بينهم وبينه في مجالس المتأدبة عند السلطان أبي العباس حقدوا عليهم ، فلما ظفر بالخط من السلطان موسى سعى بهم عنده فقتلهم ، وكان القاضي أبو اسحق ابراهيم اليزناسني من بطانة السلطان أبي العباس وكان يحضر مع ندمائه فحقد عليه ابن أبي عمرو وأغرى به السلطان موسى فضربه وأطافه ، وجاء بها شنعاء غريبة في القبح ، ثم سفر ابن أبي عمرو عن سلطانه موسى الى الاندلس فكان يمر بمجلس السلطان أبي العباس من محل اعتقاله فلا يلم به وربما يلقاه فلا يحييه ولا يوجب له حقاً ، فأحفظ ذلك السلطان أبا العباس فلما رد الله عليه ملكه وفرغ من ابن ماسي قبض على ابن أبي عمرو وهذا وأودعه السجن ثم امتحنه بعد ذلك الى أن هلك تحت السباط وحمل الى داره ، وبينما أهله يحضرونه الى قبره اذا بالسلطان قد أمر بان يسحب في نواحي المدينة البلاغيا في النكال فحمل من نمشه وقد ربط في رجله جبل وسحب في سكك المدينة ثم ألقى على بعض المزابل .

ثم قبض السلطان على حركات بن حسون شيخ العرب وكان مجلباً في الفتنة ، وكان العرب المخالفون من معقل لما أجاز السلطان أبو العباس الى سبتة

وحركات هذا بتداءء راودوه على طاعة السلطان فامتنع أولا ثم أكرهوه وجاءوا به الى السلطان فطوى على ذلك حتى اذا استقام أمره وملك حضرة فاس الجديد قبض عليه وامسحنه الى أن هلك . والى الله عاقبة الامور .



اخبار تلمسان واستيلاء السلطان ابي العباس عليها



كان السلطان أبو حمو بن يوسف الزياني قد عاد الى تلمسان وثبت قدمه بها كما قلنا الى أن خرج عليه ابنه أبو تاشفين آخر سنة ثمان وثمانين وسبعمائة فوقعت بينهما حروب وشرق أبوه بدائه ، ثم عادت له الكرة عليه فى أخبار طويلة ، فاستمد أبو تاشفين السلطان أبا العباس فامده بابنه الامير أبى فارس ووزير محمد بن يوسف بن علل عقد لهما على جيش كثيف من بنى مرين وغيرهم ، فاتصر أبو تاشفين على أبيه فقتله وبعث برأسه الى السلطان أبى العباس ، ثم تقدم فدخل تلمسان آخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة واستمر بها مقيما لدعوة السلطان أبى العباس فكان يخطب له على منابر تلمسان ويبعث اليه بالضربة كل سنة كما شرط على نفسه عند توجيه العساكر معه واستمر على ذلك الى أن مات سنة خمس وتسعين وسبعمائة (*) ، فتغلب على تلمسان أخوه الامير يوسف بن أبى حمو .

ولما اتصل الخبر بالسلطان أبى العباس خرج من الحضرة الى تازا ومن

.. (*) وكل نازعه اخولا ابو زيان بن ابى حمو صاحب الجزائر وزحف اليه مرارا فلم يغن شيئا ثم وفد على السلطان ابى العباس متطارحا عليه على الانتصاف من اخيه فاقام عندها مدة ثم اسبجه وجهز معه عسكرا الى تلمسان منتصف سنة ٧٩٥ فانتهى الى تازا وهناك اتصل به خبر وفاة ابى تاشفين وحينئذ خرج السلطان ابو العباس من فاس انظر « كشف العين » للمؤلف

هناك بعث ابنه الامير أبا فارس في العساكر الى تلمسان فاستولى عليها وأقام فيها دعوة والذمة وفر يوسف بن أبي حمو الى بعض الحصون فاعتصم به الى أن كان ما نذكره .



وصول هدية صاحب مصر السلطان الظاهر برقوق الى السلطان ابي العباس بتازا والسبب في ذلك



كان العلامة الرئيس ولي الدين ابن خلدون قد استوطن في آخر عمره مصر القاهرة ونزل من سلطانها بالنتزلة الرفيعة قال رحمه الله : « وكان يوسف ابن علي بن غانم أمير أولاد حسين من معقل ثم من أولاد جرار منهم قد حج سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، واتصل بصاحب مصر الملك الظاهر برقوق أول ملوك الجراكسة من الترك قال : فتقدمت الى السلطان المذكور فيه وأخبرته بمجمله من قومه فأكرم تلقيه وحمله بعد قضاء حجه هدية الى صاحب المغرب يطره فيها بتحف من بضائع بلده على عادة الملوك ، فلما قدم يوسف بها على السلطان أبي العباس أعظم موقعها وجلس في مجلس حفل لعرضها والمباهاة بها وشرع في المكافأة عليها بمتخير الجياد والبضائع والثياب حتى اذا استكمل من ذلك ما رزقه وعزم على بعثها مع يوسف بن علي حاملها الاول وانه يبعث بها من موضع مقامه بتازا احترامته المنية دون ذلك .



وفاة السلطان أبي العباس بن أبي سالم رحمه الله



كانت وفاة السلطان أبي العباس بمحل مقامه من تازا وهو يشارف أحوال ابنه أبي فارس ووزيره صالح بن حمو اليباني وكان قد قدمهما لفتح تلمسان والبلاد الشرقية فاصابه حماه هناك ليلة الخميس السابع من محرم فاتح سنة ست وتسعين وسبعمائة وحمل الى فاس فدفن بالقلة وسنه يومئذ تسع وثلاثون سنة فكانت دولته الثانية ست سنين وأربعة أشهر ، ومن وزرائه في هذه الدولة: صالح بن حمو اليباني ومحمد بن يوسف بن علال الصنهاجي، ومن حجابيه : أبو العباس أحمد بن علي القبائلي، ومن كتابه: الشريف أبو القاسم محمد بن عبد الله الحسيني السبتي، والقائد محمد بن موسى بن محمود انكردي، ويحيى بن الحسن بن أبي دلامة السولي، ومن قضاته: القاضي أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الزيناسي : قال في «الجذوة» : وكان السلطان أبو العباس شاعرا مقلقا بديع التشبيه فمن نظمته فوله :

أما الهوى يا صاحبي فألفتـه وعهدته من عهد أيام الصبا
ورأيتـه قوت النفوس وحليها فتخذته ديناً الى مذهبها
وليسـت دون الناس منه حلة كان الوفا لها طرازا مذهبها
لكن رأيت له الفراق منفصا لا يفراقنا لا مرجحها

ومن أخبار السلطان أبي العباس ما حكاه في «نفح الطيب» : «أن الأديب الكاتب أبا الحسن علي ابن الوزير لسان الدين ابن الخطيب كان مصاحبا للسلطان أبي العباس هذا ، فحضر معه ذات يوم في بستان سح فيه ماء المذاكرة الهتان وقد أبدى الاصيل شواهد الاصفرار وأزعم النهار لما قدم الليل على القرار فقال السلطان أبو العباس لما لان جانبه وسالت بين سرحات البستان جداوله ومذانيه :

يا فاس اني وايم الله ذو شغف بكل ربع به مقناه يسينسي

وقد أنست بقرب منك با أملى ونظرة فيكم بالانس تحينسى
 فاجابه أبو الحسن ابن الخطيب بقوله المصيب :
 لا أوحس الله ربعا أنت زائرہ يا بهجة الملك والدنيا مع الدين
 يا أحمد الحمد أبشاك الاله لنا فخر الملوك وسلاطين
 ومن أخاره أيضا : أن كاتبه أبا زكرياء يحيى بن أحمد بن عبد المنان دخل
 عليه عشاء فقال له : «أنعم الله صباح مولانا» فأنكر السلطان ذلك وظن أنه عمل ففطن
 أبو زكرياء لما صدر منه وتدارك ذلك فأنشد مرتجلا (*) :
 صبحته عند المساء فقال لى ماذا الكلام وظن ذاك مزاحا
 فأجبه اشراق وجهك غرنى حتى توهمت المساء صباحا



الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله ابي فارس عبد العزيز
 ابن ابي العباس بن ابي سالم رحمه الله



من الاتفاق الغريب : أن سلطان فارس والمغرب فى هذا التاريخ كان اسمه
 عبد العزيز بن أحمد ، و سلطان تونس وأفريقية كان اسمه أيضا عبد العزيز
 ابن أحمد ، وكانت ولايتهما فى سنة واحدة الا أن مدة الحفصى طالت جدا .
 أم هذا السلطان : أم ولد اسمها جوهر ، صفته : شاب السن ربعة من
 القوم أدهج العينين جميل الوجه .

لما توفى السلطان أبو العباس بن أبى سالم رحمه الله تنازا كان ابنه أبو
 فارس هذا بلمسان فاستدعاه رجال الدولة منها فقدم عليهم بتازا وبايعوه بها يوم
 السبت التاسع من محرم سنة ست وتسعين وسبعمائة ، ولما تم أمره أطلق أبا
 زيان بن أبى حمو الزيانى وكان معتقلا عنده بفاس لا لتجأته الى أبيه من قبل
 فى خبر ليس تفصيله من غرضا ، وبعثه الى تلمسان أميرا عليها من قبله ، فسار
 اليها أبو زيان وملكها وأقام فيها دعوة السلطان أبى فارس ، ثم خرج عليه أخوه

(*) انما تمثل بهما

يوسف بن أبي حمو واتصل بإحياء بنى عامر بن زغبة وعزم على الاجلاب عليه بهم فسرب أبو زيان فيهم الاموال فقتلوه وبعثوا اليه برأسه فسكنت أحوال تلمسان وذهبت الفتنة بذهاب يوسف واستقامت أمور دولة السلطان أبي فارس قاله ابن خلدون ، وهو آخر ما ورخه من دولة للمغرب .

واعلم أن ما نسوقه بعد هذا من الاخبار عن هذه الدولة المرينية لم يسمح لنا الوقت بالوقوف عليه في تأليف يخصها أو موضوع يقص أخبارها نسقا وينصها ، وانما تتبعنا ما أثبتناه من ذلك في مواضع ذكرت فيها بحسب التبع لا بالقصد الاول وعلى الله تعالى في الهداية الى الصواب المعول .



بقية اخبار السلطان عبد العزيز ووفاته



قالوا: كان السلطان عبد العزيز بن أبي العباس رحمه الله كبر الشفقة رقيق القلب منقبضا عن الغدر متوقفا في سفك الدماء وكان فارسا عارفا برخص الخيل ويحسن قرض الشعر ويجب سماعه فمن نظمه ، وقد نزل المطر ، يشكر الله تعالى عليه ، قوله :

الله يلطف بالعباد فواجب أن يشكروا في كل حال نعمته
فهو الذي فيهم ينزل غيثه من بعد ما قنطوا وينشر رحمته
توفي رحمه الله يوم السبت ثامن صفر سنة تسع وتسعين وسبع مائة
ودفن مع أبيه بالقلعة فكانت دولته ثلاث سنين وشهرا ومن وزرائه : صالح بن
حمو الياياني ويحيى بن علال بن آمصمود الهسكوري ومن كتابه : يحيى بن
الحسن بن أبي دلامة ومن قضاته: عبد الحليم بن أبي اسحق الزناسني رحمهم الله
تعالى بمنه .



الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله ابي عامر عبد الله
ابن ابي العباس بن ابي سالم رحمه الله تعالى



هذا السلطان شقيق الذي قبله ، أمه : الجوهر المتقدمة . صفته : أدهج العينين حسن الانف لامى العذار . بويغ بعد أخيه عبد العزيز يوم السبت الثامن من صفر سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، وكان التصرف والقبض والإبرام فى هذه المدة كلها للوزراء وتوفى السلطان المذكور بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء الموفى ثلاثين من جمدى الآخرة سنة ثمانمائة ، فكانت دولته سنة وخمسة أشهر سوى أيام ، ومن وزرائه : صالح بن حمو ويحيى بن علال ، ومن قضاته : عبد الرحيم البزناسنى ، ومن حجابيه : أبو العباس أحمد بن على القبائلى وفارح بن مهدى الملح والله تعالى أعلم .

وأما أخبار الغنى بالله ابن الأحمر بالاندلس فإنه كان أسقط رياسة للجهاد من بنى مرين بها ومحا رسمها من مملكته أيام أجاز عبد الرحمن بن أبى يفلوسن للتشغيب على أبى بكر بن غازى بن الكاس حسبا تقدم . وصار أمر الغزاة والمجاهدين اليه وباشر أحوالهم بنفسه واستمر الحال على ذلك الى أن هلك سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، فولى مكانه ابنه أبو الحجاج يوسف وبأيمه الناس وقام بأمره خالد مولى أبيه وتقبض على اخوته : سعد ومحمد ونصر فكان آخر العهد بهم ولم يوقف لهم بعد على خبر ، ثم سعى عنده فى خالد القائم بدولته وأنه أعد السم لقتله وإن يحيى بن الصائغ اليهودى طيب دارهم قد داخله فى ذلك ففتك بخالد وتناوشته السيوف بين يديه لسنة أو نحوها من ملكه ، ثم حبس الطيب المذكور فذبح فى محبسه ، ثم هلك سنة أربع وتسعين وسبعمائة لستين أو نحوها من ولايته .

وقد وقفت لبعض الاصبينولين ، واسمه : متويل باولو القشتلى ، على كتاب موضوع فى أخبار المغرب الأقصى فنقلت منه بعض أخبار لم أجدها الا عنده (الاستمسا - راج - 6)

وهو وإن كان ينقل الغث والسمين والرخيص والثمين إلا أن الناقد البصير يميز حصاه من دره ويفرق بين حشفه وثمره، فمن ذلك أنه حكى عن السلطان أبي الحجاج المذكور ما صورته قال : « كانت مراسلات السلطان المرينى، يعنى السلطان أبا العباس مع السلطان يوسف بن الغنى بالله صاحب غرناطة حسنة فى الظاهر تدل على الموافقة والمجبة وكان المرينى فى الباطن يحب الاستيلاء على مملكة غرناطة ولما لم يمكنه ذلك بالسيف عدل الى اعمال الحيلة فاهدى الى السلطان أبى الحجاج كسى رقيقة أحدها مسمومة فلبسها فهلك لحيته ومع ذلك فلم يذرك المرينى غرضه فانه لم يلبث الا يسيرا حتى توفى أيضا ، اه . ولما توفى أبو الحجاج بوج ابنه محمد بن يوسف وقام بامر القائد أبو عبد الله متحذ الخصاصى من صنائع أبيه، قال ابن خلدون : « والحال على ذلك لهذا العهد ولندكر ما كان فى هذه المدة من الاحداث :

« قفى سنة خمسين وسبعمائة كان الوفاء الذى عم المسكونة شرقا وغربا على ما نبهنا عليه فيما مضى .

وفى سنة خمس وستين وسبعمائة توفى الولي الزاهد أبو العباس أحمد ابن عمر بن محمد بن عاشر الاندلسى نزيل سلا العارف المشهور قال أبو عبد الله بن صنع التلمسانى فى كتابه : « النجم الثاقب فيما لاولياء الله من المناقب » : كان ابن عاشر أحد الاولياء الابدال معدودا فى كبار العلماء مشهورا باجابة الاعتناء معززا بالكرامات مقدما فى صدور الزهاد منقطعا عن الدنيا وأهلها ولو كانوا من صالحى العباد ملازما للقبور فى الخلاء المتصل ببحر مدينة سلا منفردا عن الخلق لا يفكر فى أمر الرزق ، وله أخبار جلية وكرامات عجيبة مشهورة ممن جمع الله له العلم والعمل وألقى عليه القبول من الخلق شديد الهية عظيم الثوار كبير الخشية طويل التفكير والاعتبار ، قصده أمير المؤمنين أبو عثمان وأرتحل اليه سنة سبع وخمسين وسبعمائة فوقف ببابه طويلا فلم يأذن له وانصرف وقد امتلأ قلبه من حبه واجلاله ثم عاود الوقوف ببابه مرارا فما وصل اليه فبعث اليه بعض أولاده بكتاب كتبه اليه يستعطفه لزيارته ورؤيته فأجابه بما قطع رجاءه منه وأياسه من لقائه فاشتد حزنه وقال : « هذا ولى من

أولياء الله تعالى حبيب الله عنا « ١٥ . مناقب الشيخ ابن عاشر وكراماته كثيرة وقد ألف فيها أبو العباس ابن عاشر الحافى من علماء سلا كتابه المسمى «تحفة الزائر فى مناقب الشيخ ابن عاشر» فانظره .

وفى سنة ست وسبعين وسبعمائة وهى السنة التى قتل فيها ابن الخطيب كان الجوع بالمغرب قال أبو العباس ابن الخطيب القسنطينى . المعروف : بـابن قفد فى كتابه «انس الفقير» ما حاصله : «انه رجع من هجرته بالمغرب الاقصى فى السنة المذكورة الى بلده قسنطينة فاجتاز فى طريقه بتلمسان» قال : وفى هذه السنة كانت المجاعة العظيمة وعم الخراب المغرب فاقمت بتلمسان نحو شهر أنتظر تبسر سلوك الطريق فالتجأت الى قبر الشيخ أبى مدين ودعوت الله عنده فوقع ما أملته وارتحلت بعد أيام يسيرة فرأيت فى الطريق من الخير ما كان يتجرب منه من شاهده ، وكان أمر الطريق فى الخوف والجوع بحيث أن كل من تقدم عليه يتعجب من وصولنا سالمين ، ثم عند ارتحالنا من عنده يتأسف علينا حتى ان منهم من يسمعننا ضرب الاكف خلفنا يحسروا علينا حتى انتهى سفرنا على وفق اختيارنا والحمد لله .

وفى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة توفى الشيخ الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمران الفزاري السلاوى المعروف بابن المجراد صاحب «لامية الجمل» و«شرح الدرر» وغيرهما من التأليف الحسان ، قال صاحب «بلغة الامنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسببة فى الدولة المرينية ميين مدرس وأستاذ وطبيب» فى حق الشيخ المذكور : «كان محدثا حافظا راوية له معرفة بالرجال والمغازى والسير وكان رجلا صالحا حسن السيرة صادق اللهجة اتفجع به الناس وظهرت بركته على كل من عرفه أو لازم يجلسه أو قرأ عليه من صغير أو كبير» قال : « وذلك عندنا معروف . بسببة مشهور بين أهلها وانتقل الى بلده سلا وتوفى بها فى السنة المذكورة » قتل : وقبره مشهور بها الى الآن وعليه قبة صغيرة وهو من مزارات سلا خارج باب المعلقة منها عن يمين الخارج على نحو غلوة وأهل سلا يسمونه سيدى الامام السلاوى رحمه الله ورضى عنه

وفى سنة اثنتين وتسعين وسعمائة توفى الشيخ الامام العارف المحقق الزينى. أبو عبد الله محمد بن ابراهيم النفزى المعروف بابن عباد شارح (الحكم العطائية) وأحد تلامذة الشيخ ابن عاشر المذكور آنفاً، قال صاحبه وأخوه فى الله الشيخ أبو زكرياء السراج فى حقه مانصه: «كان حسن السميت طويل الصمت كثير الوقار والحياء جميل اللقاء حسن الخلق والخلق على الهمة متواضعا معظما عند الخاصة والعامة، نشأ ببلدة رندة على أكمل طهارة وعفاف وصيانة وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، ثم اشتغل بعد بطلب العلوم النحوية والادبية والاصولية والفروعية حتى رأس فيها وحصل معانيها، ثم أخذ فى طريق الصوفية والنباحنة عن الاسرار الالهية حتى أشير اليه وتكلم فى علوم الاحوال والمقامات والعلل والآفات وألف فيها تأليف عجيبة وتصانيف بديعة غريبة، وله أجوبة كثيرة فى مسائل العلوم نحو مجلدين، ودرس كتباً وحفظها كلها أوجها» الى أن قال: «ولقى بسلا الشيخ الحاج الصالح السننى الزاهد الورع أحمد بن عاشر وأقام معه ومع أصحابه سنين عديدة قال رحمه الله: «قصدهم لوجدان السلامة معهم»، وتوفى رحمه الله بفاس بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ثالث رجب من السنة المذكورة وحضر جنازته السلطان أبو العباس بن أبى سالم فمن دونه وهمت العامة بكسر نعشه تبركا به رحمه الله ورضى عنه.

.. ومن فوائده التى نقلها عن شيخه ابن عاشر ما ذكره فى رسائله قال: «كنت قد ما خرجت فى يوم مولد النبى صلى الله عليه وسلم صائما الى ساحل البحر فوجدت هناك سيدى الحاج أحمد بن عاشر رحمه الله ورضى عنه وجماعة من أصحابه ومعهم طعام يأكلونه فأرادوا منى الاكل فقلت: انى صائم فنظر الى سيدى الحاج نظرة منكرة وقال لى: «هذا يوم فرح وسرور يستبج فى مثله الصوم كالعيد» فتأملت قوله فوجدته حقا وكأنه أيقظنى من النوم، اه واعلم انه فى آخر هذا القرن الثامن تبدلت أحوال المغرب بل وأحوال المشرق ونسخ الكثير من عوائد الناس ومألوفاتهم وأزيائهم. قال ابن خلدون فى مقدمة تاريخه بعد أن ذكر أن الاحوال العامة للاتفاق والاحيال والاعصار هى أس المؤرخ الذى تبنى عليه أكثر مقاصده ما نصه: «وأما لهذا العهد وهو

آخر المائة الثامنة فقد انقلبت أحوال المغرب الذى نحن شاهده وتبدلت
 بالجملة ، واعتاض من أجيال البربر أهله على القدم بنين طراً فيه من لدن
 المائة الخامسة من أجيال العرب بما كروههم وغلبوهم وانتزعوا منهم عامسة
 الاوطان ، وشاركوهم فيما بقى من البلدان بملكهم وبأسهم ، هذا الى ما نزل
 بالعمران شرقاً وغرباً فى منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذى
 تحيف الامم وذهب باهل الجيل وطوى كثيراً من محاسن العمران ومحاها ،
 وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وقيل
 من حدها وأوهن من سلطانها وتداعت الى التلاشي والاضمحلال أحوالها ،
 واتقص عمران الأرض بانقراض البشر فخربت الأمصار والمصانع ، ودرست
 السبل والمعالم ، وخلت الديار والمنازل وضعت الدول والقبائل وتبدل الساكن
 وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبة ومقدار عثراته ،
 وكأنما نادى لسان الكون فى العالم بالخمول والانقباض فيادر بالاجابة والله
 وارث الارض ومن عليها ، واذا تبدلت الاحوال جملة فكانما تبدل الخلق من
 أصله ونحول العالم بأسره وكأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث ،
 الى آخر كلامه رحمه الله ، فافهم هذه الجملة وتفطن لاحوال الدول التى سردنا
 أخبارها فيما مضى وأحوال التى نسرد أخبارها فيما بعد وتأمل الفرق بين ذلك
 والسبب فيه والله تعالى الموفق للصواب بمنه .



الخبر عن دولة السلطان ابي سعيد عثمان بن ابي العباس

ابن ابي سالم



هذا السلطان هو ثالث الاخوة الاشقاء من بنى أبى العباس الذين ولوا الامير من بعده ولاء. أمه: الجوهر أم أخويه قبله. يبيع بعد صلاة العصر له من يوم الثلاثاء الموفى ثلاثين من جمدى الآخرة سنة ثمانمائة وسنه يومئذ ست عشرة سنة وكان التقضى والايرام وسائر التصرفات فى دولته للوزراء والحجباب والسلطان متفرغ بالاستيفاء لذاته ، ومن أكبر حجابيه : أبو العباس القبائلى الذى نذكر خبره الآن .



حجابه ابي العباس القبائلى ونكبته ومقتله والسبب فى ذلك (*)



بيت بنى القبائلى بيت مشهور فى الوزارة والحجابه والكتابة من لدن الدولة الموحدية بمراكش الى هذا التاريخ ، وكان الرئيس الفقيه أبو العباس أحمد بن على القبائلى كاتباً مشهوراً وحاجباً مذكوراً وكان قد بذل الاقرا ن وتصدر على الاعيان وبلغ من الجاه ونفوذ الكلمة مبلغاً عظيماً ، وكان يحايب بالخطط السلطانية الاقارب والارحام لا يعدل بها عن سواهم فاضطقت عليه القلوب وكثرت فيه السعائيات الى أن تقبذ أمر الله فأوقع به السلطان أبو سعيد وقمة شنعاء كان من خبرها: انه كان للحجابه المذكور ولد اسمه عبد الرحمن وكان من فضلاء وقته ، وكان لعبد الرحمن هذا ولد اسمه على وكان من نجباء الابناء فكان لجدّه أبى العباس لذلك ميل اليه ومحبة وافتان به ، فاتفق أن

(*) انظر ترجمة القبائلى هذا فى «الضوء اللامع» للسخاوى ولابد، بقدا فادج ١ صفحة ٤٧

مرض هذا الحافد ذات يوم فنزل جده أبو العباس من الحضرة بفاس الجديد لعيادته بدار ولده عبد الرحمن من عدوة القرويين من فاس القديم وكانت الدار بزقة الجيلة من الطالعة فبات الشيخ عند حافده تلك الليلة ، وكان منذ ولي خلة الحجابة لم يغب عن دار الملك ليلة واحدة بل كان يأخذ في ذلك بالحزم بحيث يسد أبواب الحضرة ويفتحها ويأمر سائر الأمور السلطانية بنفسه ، فلما أراد الله إنفاذ قدره غطى على عقله وبصره فتساهل في تلك الليلة وبعث ولده أبا القاسم ليقوم مقامه في غلق الأبواب وفتحها مع صاحب السقيف ومساهمه في القيام بالأمور السلطانية أبي محمد عبد الله الطريفي الأتسي ذكره فغلقا الأبواب على العادة ، ولما كان الصباح من الغد تقدم الولد أبو القاسم لاخذ المفاتيح من دار الخلافة فأخرجت إليه وتولى فتح الأبواب وحده دون أن يحضر الطريفي المشارك له في ولاية السقيف ، فلما جاء أبو محمد المذكور ورأى الأبواب مفتحة بدون حضوره أخذه من ذلك ما قدم وما حدث وأسرهما في نفسه حتى إذا كان مساء وحضر الوقت المعهود لغلق الأبواب طلع للحضرة ولد آخر من ولد الحاجب القبائلي يعرف بأبي سعيد فآذره أبو محمد فسد الأبواب في وجهه قبل أن يصل إليه وأمسك المفاتيح عنده واستبد بها فطلب منه أبو سعيد أن يفتح له الباب فتجهمه وامتنع وكأنه أمر دبر بليل ، ثم تقدم القائد أبو محمد المذكور الى السلطان أبي سعيد فأعلمه بما اتفق له مع أولاد الحاجب فأوعز اليه السلطان أن لا يفتح الباب بعد غلقه الا وقت فتحه المعتاد وزاد في الوصية بان لا يفتح ولا يغلّق الا بمحضر السعيد ابن السلطان أبي عامر رحمه الله . ولما رجع أبو سعيد الى والده بعدوة القرويين من فاس أعلمه بما اتفق له مع القائد الطريفي فامتلاء غيظا وقامت قيامته وكانت فيه دالة على السلطان فتخلف عن الحضور ولم يذكر ما قالته الحكماء : (اذا عايت من يملكك فلا تلمه انه يهلكك) ، ثم استعطفه السلطان فأبى أن يعطف ثم بعث اليه براءة بخطه ليزيل ما بصدره من الموجدة فكتب الحاجب جوابها ، وأقسم أن لا يطأ بساطا فيه فارح بن مهدي العليج وكان فارح هذا بعين التجلة من السلطان فلما وقف السلطان أبو سعيد على جواب الحاجب جمى أنفه وأظلمت الدنيا

فى عينيه وأمر بالإيقاع بالحاجب فى الحين فذبح هو وولده عبد الرحمن يوم
الخميس الموفى ثلاثين من شوال سنة اثنين وثمانمائة ، وكان عبد الرحمن
هذا فاضلا شاعرا فمن شعره فى الغزل قوله :

أسمع فى الهوى قول اللواحى وقد أبصرت خشف بنى رياح
غزال خلف الصب المعنى من الوجد المبرح غير صاح
وقد قتلت ولا اثم عليها مراض جفونه كل الصحاح
يقول ولحظه بالعقل يزدى على م تطيل وصفى وامتداحى
فقلت فنون سحر فيك راقت قضت للقلب بالعشق الصراح
جيتك والمقلد والتأبى صباح فى صباح فى صباح

وبقى الحافد أبو الحسن على بن عبد الرحمن المذكور مرتبا فى جملة
الكتاب وكان فاضلا شاعرا أيضا ولما مرض السلطان أبو سعيد فى شعبان سنة
سبع وثمانمائة وصح من مرضه وهنأته الشعراء بقصائد كثيرة فكان من جملتهم
أبو الحسن المذكور فقال :

هنيئا لنا ولكل الانام براحة فخر الملوك الهمام
امام أقام رسوم العـلا وحل من المجد أعلى السنام
به قرت العين لما بدا صحيحا وما ان به من سقام
وهل هو الا كبر الدجـا يوارى قليلا وراء الغمام
ويظهر طورا فيجلو به عن الناس يا صاح ساجى الظلام
أو الليث يكف فى غـيله فتجذر منه السباع احتجام
أمولاى عثمان بحر الندى ومردى العداة ونجل الكرام
لقد رفع الله مقداركم فنفسى القداء لكم من امام
أمولاى عبدك قد ضـره أفول رضاكم وبعد المرام
وأضحى كئيبا لابعادكم مشوقا لتقبيل ذاك المقام
فكن راحما يا امام الـورى عطوفا بمملوكك المستهام
لل الذى ناله يقضى وتشمل منك هبات جسام
فأيـدك الله بالنصر ما ترنم فوق الحصون حمام

حجابه فارح بن مهدي وأوليته وسيرته



قال ابن خلدون : « فارح بن مهدي من معلوجي السلطان يعني أبا العباس وأصله من موالي بني زيان ملوك تلمسان » اه. وقال في « الجذوة » : « هو من موالي السلطان أبي سعيد بن أبي العباس » . ولا منافاة بين الكلامين والله أعلم . ولما قتل أبو العباس القبايلي ولي الحجابة من بعده فارح بن مهدي هذا قال في « الجذوة » : ولم يكن من أهل العلم لكنه كان شيخا مجربا للامور عارفا مجيدا في التدبير قد أعطى الرياسة حقها والخطط مستحقها وكان ممسكا عنانه فلا يعمل مع نفسه ولا يسحب أردانه ولا يوحش سلطانه موسوما عند الخلافة بالامانة ملحوظا لديها بعين المروءة والصيانة . وكان السلطان أبو سعيد يعتنى به لاجل كبر سنه وترتيبه الحرة : أمانة بنت السلطان أبي العباس (*) كانت تبدى له وجهها في حالي صغرها وكبرها فكانت له بذلك مزية لم تكن لغيره . بهذا ذكره التاورتي ولعل فيه تعريضا بالحاجب قبله . ولما تكلم أبو عبد الله محمد العربي الفاسي في كتابه : « مرآة المحاسن » على مدينة تيجساس وصفها بقوله : « انها في شرقي تطاوين على مسيرة يوم منها في موضع كثير الحجارة والصخر في سفح جبل من غربيها وتحته من شمالها جرف كثير الصخر عظيمه على مكسر موج البحر ولها نهر نفاع يجلب اليها منه جدول ولها بيسط تركبه الجداول من كل جهة فتسقى الزرع والكتان والثمار فأهلها في أمن من القحط » الى أن قال : « ولم تزل عامرة الى حدود ثمانمائة فجلا عنها أهلها بسبب جور فارح بن مهدي انوالى عليها من قبل بني مرين فخلت من سكانها وانتقلوا الى القبائل وغيرها ولم يزل سورها مائلا الى الآن » اه : قلت : وفي هذه المدة خربت تطاوين القديمة أيضا فزعم منويل في تاريخه : أن قراصين المسلمين من أهل تطاوين وغيرهم كانت تغبر على سواحل اصبايا وتغنم مراكبها ولما كانت سنة ألف وأربعمائة مسيحية الموافقة لسنة ثلاث وثمانمائة هجرية بعث الطاغية الريكي الثالث شكسوادرة لنزول تطاوين ومراكبها فاتته الى وادي مرتيل وأفسدت قراصين (*) (أمانة المربية التي ينسب اليها البستان) (للمؤلف)

المسلمين التي به ثم نزلت عساكر الاصبنيول للبر فافتحمت مدينة تطاوين بعد أن جلا أهلها عنها وخربتها وعاثت فيها وبقيت خربة نحو تسعين سنة ثم جدد بناؤها على يد الرئيس أبي الحسن علي المنظري الغرناطي كماليتي . وكانت وفاة فارح بن مهدي في الثاني والعشرين من ربيع الاول سنة ست وثمانمائة والله تعالى أعلم .



حجاجة ابي محمد الطريفى وسيرته



لما توفي الحاجب فارح بن مهدي ولى الحجاجة من بعده أبو محمد عبد الله الطريفى وكان من فضلاء الحجاب وهو الذى بنى مسجد السوق الكبير بفاس الجديد وحبس عليه كذا كثيرة فكان ذلك من حسناته الباقية نفعه الله بقصده .



حدوث الفتنة بين السلطان ابي سعيد والسلطان ابي فارس الحفصى والسبب في ذلك



لما توفي السلطان أبو العباس الحفصى صاحب تونس ولى الامر من بعده ابنه أبو درس المذكور فوزع الوظائف من الامارة والوزارة وولاية الاعمال على اخوته فاعتضد بهم ، وكان من جملتهم أخوه أبو بكر بن أبي العباس بقسنطينة فنارعه بها ابن عمه الامير أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء الحفصى صاحب بونة وألح عليه في الحصار فصمد اليه السلطان أبو فارس الحفصى وأوقع به على سيوس وقعة شنعاء انتهت به هزيمتها الى فاس مستصرخا صاحبها ، وهو يومئذ أبو فارس المريني ، فأقام أبو عبد الله بفاس الى سنة عشر وثمانمائة في دولة السلطان أبي

سعيد فاتفق أن فسد ما بين السلطان أبي فارس الجنصى وبين اعراب افريقية من سليم فقدمت طائفة منهم حضرة فاس مستجدين السلطان أبا سعيد على صاحبهم أبي فارس فألقوا عنده الامير أبا عبد الله المنهزم بسيوس كمامر، فعقد له السلطان أبو سعيد على جيش من بنى مرين وغيرهم وبعثه مع العرب فلما انتهى الى بجاية تلقاه اعراب افريقية طائفة وهون عليه المرباط شيخ حكيم منها أمر تونس فرد الجيش المرينى وقصدها بمن انضم اليه من الحشود فأخذ بجاية من أبي يحيى وفر فى البحر، وعقد أبو عبد الله عليها لابنه المنصور ثم زحف الى السلطان أبي فارس فخالفه الى بجاية فافتكها من يد ابنه المنصور ووجه به مع جماعة من كبار أهلها معتقلين الى الحضرة، وعقد عليها لاحد ابن أخيه ونهض لقتال ابن عمه أبي عبد الله المذكور فنزع المرباط عنه الى السلطان أبي فارس لمهد كان بينهما، فانفض جمع أبي عبد الله وقتل واحترق رأسه ووجهه السلطان أبو فارس مع من علقه بباب المحروق احد ابواب فاس اغاظه للسلطان أبي سعيد وذلك سنة اثنتى عشرة وثمانمائة . ثم تحرك السلطان أبو فارس الى جهة المغرب قاصدا أخذ الثار من السلطان أبي (*) سعيد فاستولى على تلمسان ثم قصد حضرة فاس فلما شارفها جنح السلطان أبو سعيد الى السلم فوجه اليه بهدايا جليلة فقبل ذلك أبو فارس وكافا عليه وانكفا راجعا الى خضرته، ولحقته فى طريقه بيعة أهل فاس وانتظم له ملك المغرب وبايعه صاحب الاندلس أيضا قاله صاحب « الخلاصة النقية » وهو الاديب أبو عبد الله محمد الباجى أحد كتاب الدولة التركية بتونس .



(*) كان زحف ابي فارس الى المغرب سنة ٨٢٧ كما عند الزركشى صبعة ١١٠ وهلك ابو سعيد سنة ٨٢٣ وعليه فاز السلطان المرينى الماخوذ منه الثار هو احد الملوك الذين تعاقبوا على مملكة المغرب قبل السلطان عبد الحق كما يعلم تحقيق ذلك فى تاليفنا الموضوع فى تاريخ المغرب فراجعته تستغفد والله اعلم للمؤلف

استيلاء البرتقال على مدينة سبتة أعادها الله



كان جنس البرتقال وهو البردقيز فى هذه السنين قد كثر بعد القلة واعتز بعد الذلة وظهر بعد الخمول وانتعش بعد الذبول فانتشر فى الاقطار وسما الى تملك الامصار فانتهى الى أطراف السودان بل وأطراف الصين على ما قيل ، وألح على سواحل المغرب الأقصى فاستولى فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة على مدينة سبتة أعادها الله بعد محاصرته لها حصارا طويلا ، وسلطان المغرب يومئذ أبو سعيد بن أحمد صاحب الترجمة ، وسلطان البرتقال يومئذ خوان الاول

وذكر منويل فى تاريخه : أن سلطان المغرب يومئذ عبد الله بن أحمد أخو أبى سعيد المذكور وسيأتى كلامه بتمامه .
وذكر صاحب «نشر المائى» : فى كيفية استيلاء البرتقال على سبتة قصة تشبه قصة قصير مع الزباء قال : « رأيت بخط من يظن به التثبت والصدق أن النصرارى جاءوا بصناديق مقفلة يوهمون أن بها سلما وأنزلوها بالمرسى كمادة المعاهدن وذلك صبيحة يوم الجمعة من بعض شهور سنة ثمان عشرة وثمانمائة وكانت تلك الصناديق مملوءة رجالا عددهم أربعة آلاف من الشباب المقاتلة فخرجوا على حين غفلة من المسلمين واستولوا على البلد وجاء أهله الى سلطان فاس مستعرجين له ، وعليهم المسوح والشعر والوبر والتعال السود رجالاتا ونساء وولدانا فانزلهم بملاح المسلمين ثم ردهم الى الفحص قرب بلادهم لعجزه عن نصرتهم حتى تفرقوا فى البلاد الامر لله وحده » قال : « وسمعت من بعضهم أن الذى جرت النصارى على ارتكاب تلك المكيدة هو أنهم كانوا قد قاطعوا أمير سبتة على أن يفوض اليهم انصرفت فى المرسى والاستبداد بغلتها ويذلولوا له خراجا معلوما فى كل سنة فكان حكم المرسى حينئذ لهم دون المسلمين ولو كان المسلمون هم الذين يلون حكم المرسى ما تركوهم يزلون ذلك العدد من الصناديق مقفلة لا يعلمون ما فيها والله أعلم بحقيقة الامر » .

ولما استولى البرتقال على سبتة اعتنى بها وحصنها واستمرت فى ملكتهم مدة تزيد على مائتين وخمسين سنة تم ملكها منهم طائفة الاصبنيول فى سبيل مهادة وشروط انعقدت بينهم بمدينة أشبونة فى حدود الثمانين وألف ، وأخبار السلطان أبى سعيد كثيرة ، وقد أرخ دولته وسيرته الكاتب أبو اسحق ابراهيم بن أحمد التاورتي رحمه الله . وتوفى السلطان المذكور سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، وولى الامر من بعده ابنه عبد الحق الاخير ، كذلك ذكره فى « جذوة الاقباس » . وقد ذكر منولى فى أمر أبى سعيد ووفاته ما يخالف هذا ، قال : « لما كانت دولة السلطان أبى سعيد المرىنى كان المسلمون أهل جبل طارق قد سئموا ملكة ابن الاحمر صاحب غرناطة وتحققوا بان المرىنى أقوى منه شوكة وأقدر على تخليصهم مما عسى أن يآلهم به الاصبنيول من حصار ونحوه ، فبعثوا اليه يخطبون ولايته ويعرضون عليه الدخول فى طاعته ان هو أمدهم بما يدفعون به فى نحر ابن الاحمر فأعجب أبى سعيد ذلك وللحين بعث اليهم أخاه عبد الله بن أحمد المعروف بسيدى عبو ومعه طائفة من الجيش امدادا لهم وكان قصد أبى سعيد بيعث أخيه عبد الله للحصول على احدى القائدين : اما فتح جبل طارق ان كان الظهور له ، أو الاستراحة منه ان كان عليه ، لانه كان يشوش عليه فجاء الاخ المذكور حتى نزل بازاء جبل طارق ففتح أهل البلد الباب وأدخلوه وأدخلوا جنده ، وتحصن قائد الفرناطى وعسكره بقلعة الجبل وطير الاعلام بذلك الى صاحبه ، فبعث اليه جيشا قويت به نفسه فنزل من القلعة وانضم اليه مدده وقتلوا جيش المرىنى فهزموه ، وقبضوا على عبد الله باليد وعلى جماعة من أصحابه وبعثوا بهم أسرى الى صاحب غرناطة ، فعمد صاحب غرناطة الى عبد الله وأنزله فى محل معتبر وأحسن اليه ، فتخلف ظن السلطان أبى سعيد فيما كان يجب لآخيه من التلق وغازله فمل ابن الاحمر معه من الاحسان والابقاء عليه ، ثم ان أبى سعيد دبر حيلة بان بعث من قبله رجلا الى أخيه ليسقيه السم ويستريح منه ، مع أن غوغاء أهل المغرب وقبائله المنحرفة عن السلطان كانوا قد تنسوفوا لقدمه عليهم وقيامهم معه ، فبطلت حيلة أبى سعيد فى السم ولم يحصل

على طائل . ثم ان ابن الاحمر اتفق مع عبد الله على أن يمدّه بالعسكر والمال ويسرّحه الى المغرب ليسنولى على ملكه ويأخذ له بالثار من أخيه ، فقبل عبيد الله ذلك وأمدّه ابن الاحمر وسرّحه الى المغرب ، فلما احل به تبعه عدد وافر من قبائله الذين كانوا مستقلين لوطأة أبى سعيد ، فهض اليه أبو سعيد فكانت الكرة عليه ورجع مفلولا فى يسير من الجند الى فاس فتقبض عليه أهلها وسجنوه وأعلنوا بنصر أخيه عبد الله ، وفتحوا الباب فدخل الحضرة واستولى عليها وتم أمره ، وسجن أخاه أبا سعيد الى أن مات . قال : « ولما استقل عبد الله بأمر المغرب كله هدأت الرعية واستقامت الاحوال ، الا أنه تكدر عيشه بذهاب سبّة التى استولى عليها طاغية البرتقال خوان الاول بعد ما حاصرها أشد الحصار ، وكان ذلك على السلطان من أعظم النحوس ، وتكدر المسلمون غاية لفوات هذه المدينة العظيمة منهم . ثم ثاروا على السلطان عبد الله واخزوته ابرماحهم حتى فاط ، ولما قتل تنازع الملك بعده اثنان من اخوته ، وبعد قتال شديد ولم ينتصف احد منهما من صاحبه اتفق أهل الحل والعقد على أن يولوا عبد الحق بن أبى سعيد » اه كلام منويل . وهذا السلطان عبد الله الذى زاده منويل بين أبى سعيد وعبد الحق لم يذكره صاحب « جذوة الاقباس » ويعد أن يكون هذا الخبر الذى ساقه منويل لا أصل له والله أعلم بحقيقة الامر .

ومن جملة حجاب السلطان أبى سعيد الرئيس أبو فارس عبد العزيز بن أحمد الملياني . قال فى « الجذوة » : « أصله من زرهون وتولى حجابة السلطان المذكور » قال : « ففدر مولاة ومخدومه ، وهك ستره ، وخرّب داره وعبث بحريمه ، وقتل أولاده واخوانه ، ورفع الاذئاب ، وحط الرؤساء ، وكان فساد المغرب على يده ، وقد ذكره للتاورتي فائى عليه . قال فى « الجذوة » : « ووجدت فى طرة ذمه وتقيصه » والله أعلم .

ومن وزراء السلطان أبى سعيد : صالح بن حمو الياباني ، ويحيى بن علّال بن أمصمود الهسكوري ، وقد تقدم ذكرهما ، ومن كتبه : الفقيه الاديب أبو زكرياء يحيى بن أبى الحسن بن أبى دلّامة ، وكان صاحب العلامة عند السلطان المذكور ، وممن شهد له أهل عصره بالبريز فى النظم الفائق . ثم

ابنه محمد من بعده ، ومن قضاته : الفقيه أبو محمد عبد الرحيم بن ابراهيم
اليزناسنى وقد تقدم ذكره ، والله تعالى أعلم .



الخبر عن دولة السلطان عبد الحق بن ابي سعيد بن ابي العباس
ابن ابي سالم المرينى رحمه الله



هذا السلطان هو آخر ملوك بنى عبد الحق من بنى مرين ، وهو أطولهم
مدة ، وأعظمهم محنة وشدة ، وهو أبو محمد عبد الحق بن أبي سعيد عثمان
ابن أبي العباس أحمد بن أبي سالم ابراهيم بن أبي الحسن على بن أبي سعيد
عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق الزناتى المرينى ، أمه عليجة
اصبنيولية على ما ذكره منويل ، وفى أيامه ضعف أمر بنى مرين جدا وتداعى
الى الانحلال وكان التصرف للوزراء والحجاب شأن دولة أبيه من قبله على ما
نذكره .



زحف البرتقال الى طنجة ورجوعهم عنها بالحيلة



قال منويل : « كان لطاغية البرتقال خمسة اخوة نجعان ، فأرادوا أن
يدركوا فخرًا باستيلائهم على ثغر من ثغور المغرب ، يضيفونه الى سبتة
ويوسعون به ما ملكوه من أعمالها ، فركبوا قراصينهم فى ستة آلاف عسكرى
ونزلوا بسبتة . ثم زحفوا الى طنجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة وحاصروها
وضيقوا على أهلها ثم عاجلهم سلطان فاس وسلطان مراكش وأرهبوهم عن
فتحها وأوقفوا بهم وقبضوا على كبير عسكرهم فرناندو وجماعة من أصحابه

وعادوا بهم أسرى الى فاس ، فلما صارت عظماء البرتقال فى يد المسلمين وأسروهم جنحوا الى السلم فسالمهم المسلمون على أن يردوا لهم ستة ويسرحوا لهم كبيرهم وأصحابه الذين معه ، فرضى البرتقال بذلك وانمقد الصلح عليه ثم كان من قدر الله أن هلك كبير البرتقال الذى وقع الشرط عليه فى سجن فاس واستمرت سبنة فى يد العدو وعد ذلك من سوء بخت المسلمين والامر لله وحده .

وقد ذكر صاحب « المرأة » : أن البرتقال استولى على طنجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة وهو غير صواب ، وانما كان الحصار فقط . والله تعالى أعلم .



اخبار الوزراء والحجاب وتصرفاتهم



كان من جملة وزراء السلطان عبد الحق الوزير صالح بن صالح بن حمو اليابانى ، قالوا : وهو الذى أوقع بالفقيه القاضى أبى محمد عبد الرحيم ابن ابراهيم اليزناسنى قتله ذبحا سنة أربع وثلاثين وثمانمائة . ومن وزراء السلطان المذكور الوزير أبو زكرياء يحيى بن زيان الوطاسى . قالوا : وفى سنة ست وأربعين وثمانمائة غزا الوزير المذكور الشاوية ، وكانوا قد تمردوا على الدولة وأعضل داؤهم فقل الوزير المذكور جمعهم وخرب منازلهم ثم كانت وفاته سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ، فله عرب انتقاد على سبيل الذر قعصا بالرماح وحمل قتلا الى فاس فدفن بالقلعة خارج باب الجيسة . وولى الوزارة بعده على بن يوسف الوطاسى ، قالوا : فكانت أيامه مواسم ادياته وصيائه وحفظه أمور الملك ورققه بالرعية مع العدل وحسن الادارة ، ثم توفى بئامسا خامس رمضان سنة ثلاث وسنين وثمانمائة ، وحمل الى فاس فدفن بالقلعة أيضا . وفى هذه السنة أو التى قبلها استولى البرتقال على قصر المجاز وهو المعروف بقصر

مصمودة والقصر الصغير وهو الآن خراب . والله أعلم .



وزار آية يحيى بن يحيى الوطاسى ومقتله ومقتل الوطاسيين معه

والسبب في ذلك



لما توفي الوزير على بن يوسف رحمه الله قدم للوزارة بعده أبو زكرياء يحيى بن يحيى بن عمر بن زيان الوطاسى، قالوا: فكانت ولاية هذا الوزير هي مبدأ الشر ومنشأ الفتنة ، وذلك انه لما استقل بالحجابة أخذ في تغيير مراسم الملك وعوائد الدولة ، وزاد وتقص في الجند وتقص جل ما أبرمه قبله الوزراء ، وعامل الرعية بالعسف ومن جملة ما نقم عليه انه عزل قاضى فاس الفقيه أبا عبد الله محمد بن محمد بن عيسى بن غلال المصمودى وقدم مكانه الفقيه يعقوب التسولى(*)؛ وكان المصمودى من الدين وتحرى المدلة بمكان ، فلما رأى السلطان عبد الحق فعل الوزير واستحوذه على أمور الدولة وتبين له أن الوطاسيين قد التحفوا معه رداء الملك وشاركوه فى بساط العز وكادوا يغلبونه على أمره سطا بهم سطوة استأصلت جمهورهم لإلزام حماه الأجل منهم فتقبض على الوزير يحيى وعلى أخويه أبى بكر وأبى شامة وعلى عمهم فارس ابن زيان وقربيهم محمد بن على بن يوسف وأبى الذبح على جميعهم واستمر البحث عن محمد الشيخ ومحمد الحلو أخوى الوزير المذكور فلم يوجد لذهاب الشيخ فى ذلك اليوم للصيد واختفاء الحلو عند قيام الهيئة، فكان ذلك من لطف الله بهما ، واتصل بهما ما جرى على عشيرتهم وبنى أيهم فذهبا الى منجبتها وكان من أمرهما ما نذكره . وكانت هذه الحادثة الصماء بعد مضى سبعين يوما من وزارة يحيى بن يحيى المذكور ، وصفا للسلطان عبد الحق

(*)راجع «درة البحال» ج ١ ص ٢٢٠ فقد ذكر ان الذى قدم للقضاء بعده هو ابو عبد

الله محمد بن عبد الله المكناسى .

(الاستمنا - رابع - 7)

أمره ورأى أن قد شفا نفسه من الوطاسيين ونقى بساط حضرته من قضهم ،
وأبرأ جسم ملكه من مرضهم والله غالب على أمره .



رياسة اليهوديين هرون وشاويل وما نشأ عن استبدادهما من المحنة والفتنة



قالوا : كان السلطان عبد الحق منذ أوقع بنى وطاس لم تسمح نفسه
بإعطاء منصب للوزارة لاحد ، ثم نما اليه أن العامة وكثيرا من الخاصة قد
تقموا عليه إيقاعه بالوطاسيين ، وأن أذنهم صاغية إلى محمد الشيخ صاحب
آضيلا ، وكان قد استولى عليها بعد فراره حسبما تذكر ، وربما شافهه البعض
منهم بذلك . فولى عليهم اليهوديين المذكورين تأديبا لهم وتشفيا منهم زعموا
فبشرع اليهوديان في أخذ أهل فاس بالضرب والمصادرة على الاموال ، واعتز
اليهود بالمدينة وتحكموا في الاشراف والفقهاء فمن دونهم ، وكان اليهودى
هرون قد ولى على شرطته رجلا يقال له : الحسين لا يآلو جهدا في العسف
واستلاب الاموال ، واستمر الحال على ذلك والناس في شدة .
وفي سنة سبع وستين وثمانمائة انتزع الاصبنيول جبل طارق من يد
ابن الاحمر .



استيلاء البرتقال على طنجة



ثم في سنة تسع وستين وثمانمائة استولى البرتقال على طنجة ، زحفوا
اليها من سبتة في ألوف من العساكر واستولوا عليها واستمرت بأيديهم أكثر
من مائتين وخمسة سنين ثم بذلوا لطاغية التجليز سنة أربع وسبعين وألف
في سبيل المهادة والصهر الذى انعقد بينهما كما سيأتى .

مقتل السلطان عبد الحق بن ابي سعيد والسبب في ذلك



ثم ان اليهودى عمد الى امرأة شريفة من أهل حومة البلدة فقبض عليها والبلدية حومة فاس . قالوا : وكانت بدار الكومى قرب درب جنينة فأنحى عليها بالضرب ، ولما ألتهبها السباط جعلت تتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم فحمى اليهودى وكاد يتميز غيظا من سماع ذكر الرسول ، وأمر بالابلاغ فى عقابها ، وسمع الناس ذلك فاعظموه ، وتمشت رجالات فاس بعضهم الى بعض ، فاجتمعوا عند خطيب القرويين الفقيه أبى فارس عبد العزيز بن موسى الورياكلى وكانت له صلابة فى الحق وجلادة عليه ، بحيث يلقى نفسه فى العظام ولا يبالي ، وقالوا له : « ألا ترى الى ما نحن فيه من الذلة والصغار وتحكم اليهود فى المسلمين والعبث بهم حتى بلغ حالهم الى ما سمعت » فجمع كلامهم فيه وللحين أغراهم بالفنك باليهود وخلع طاعة السلطان عبد الحق وبيعة الشريف أبى عبد الله الحفيد فأجابوه الى ذلك واستدعوا الشريف المذكور فابيعوه ، والتفت عليه خاصتهم وعامتهم ، وتولى كبر ذلك أهل حومة القلقليين منهم ، ثم تقدم الورياكلى بهم الى فاس الجديد فصمدوا الى حارة اليهود وقتلوهم واستلبوهم واصطلموهم نعمتهم واقتسموا أموالهم ، وكان السلطان عبد الحق يومئذ غائبا فى حركة له ببعض النواحي . قال فى «نشر الثانى» : « خرج السلطان عبد الحق بجيشه الى جهة القبائل الهطية وترك اليهودى يقبض من أهل فاس المغارم ، فشدد عليهم حتى قبض على امرأة شريفة وأوجعها ضربا » وحكى ما تقدم ، فاتصل بعبد الحق الخبر وانفض مسرعا الى فاس واضطرب عليه أمر الجند ، ففسدت نياتهم ، وتكرت وجوههم ، وصار فى كل منزلة تنفض عنه طائفة منهم ، فأيقن عبد الحق بالنكبة وعان أسباب المنية . ولما قرب من فاس استبشار هرون اليهودى فيما نزل به فقال اليهودى له : « لا تقدم على فاس لغلبان قدر الفتنة بها وانما يكون قدومنا على مكانسة الزيتون لانها

بلدنا وبها قوادنا وشيعتنا، وحينئذ يظهر لنا ما يكون» فما استسم اليهودى كلامه حتى انتظمه بالرمح رجل من بنى مرين يقال له تيان، وعبد الحق ينظر، وقال: «ومازلنا فى تحكم اليهود واتباع رأيهم والعمل باشارتهم» ثم تعاورته الرماح من كل جانب وخر صريعا للدين والقم . ثم قالوا للسلطان عبد الحق «تقدم أمامنا الى فاس فليس لك اليوم اختيار فى نفسك» . فأسلم نفسه ، وانتهدت محلته ، وفيئت أمواله وحلت به الالهانة، وجاءوا به الى أن بلغوا عين القوادس خارج فاس للجديد ، فاتصل الخبر بأهل فاس وسلطانهم الحفيد فخرج الى عبد الحق وأركبه على بغل بالبردة، وانتزع منه خاتم الملك وأدخله البلد فى يوم مشهود حضره جمع كبير من أهل المغرب وأجمعوا على ذمه وشكروا الله على أخذه ، ثم جنب الى مصرعه فضربت عنقه صبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنة تسع وستين وثمانمائة ودفن ببعض مساجد البلد الجديد ، ثم أخرج بعد سنة ونقل الى القلة فدفن بها وانقرض بمهلكه دولة بنى عبد الحق من المغرب والبقاء لله وحده . (*)

ونقل الثقات أن الشيخ أبى العباس أحمد زروق رحمه الله كان قد ترك الصلاة خلف الفقيه أبى فارس الورياكلى لما صدر منه فى حق السلطان عبد الحق ، وكان يقول : « لا آمن الغندور على صلاتى يعيه بذلك ، والغندور فى لسان المغاربة ذو التخوة والاباية وما أشبه ذلك ، والله يتغمدنا والمسلمين برحمته آمين .

ولنذكر ما كان فى هذه المدة من الاحداث فنقول :

فى سنة سبع وثمانمائة توفى الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عل بن صالح المكودى عالم فاس وأديبها ونحوها صاحب المقصورة وشرح الخلاصة وغير ذلك من التأليف ، قيل : هو آخر من درس كتاب سيويه فى النحو بفاس .

وفى سنة ثمان عشرة وثمانمائة توفى الشيخ أبو عبد الله محمد بن

(*) وكانت دولته منذ تاريخ وفاة والده أبى سعيد ستا واربعين سنة

عمر بن الفتوح للتلمساني ثم المكناسي ، يقال : ان سبب انتقاله من تلمسان أنه كان شابا حسن الصورة ، جميل الشارة ، فمرت به امرأة جميلة فجعل ينظر اليها من طرف خفي فقالت : « اتق الله يا ابن الفتوح يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور » فتأثر لقولها واتعظ وتاب الى الله تعالى ، وجعل من تمام توبته أن يهاجر من الارض التي قارف الذنب فيها فارتحل الى فاس فاقام بها مدة وانتفع الناس به ، ثم انتقل بعدها الى مكناسة فتوفي بها في السنة المذكورة . قالوا : وهو أول من أدخل مختصر الشيخ خليل مدينة فاس والمغرب وفي سنة ست وأربعين وثمانمائة كان الوباء العظيم بالمغرب ، هلك فيه جمع من كبار العلماء والاعيان ، ويسمى هذا الوباء عند أهل فاس بوباء عزونة .

وفي سنة تسع وأربعين وثمانمائة في ذى القعدة منها توفي الشيخ أبو محمد عبد الله العبدوسي مفتي فاس وعالمها الكبير ومحدثها الشهير وكان من أهل الصلاح والخير والايثار . وفي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة في أواخر ذى القعدة منها توفي امام الجماعة بفاس الشيخ أبو عبد الله محمد بن قاسم الاندلسي الاصل المعروف بالقوري ودفن بباب الحمراء منها . وفي سنة تسع وتسعين وثمانمائة في أواخر صفر منها توفي الشيخ العارف بالله المحقق أبو العباس أحمد البرنسي الشهير بزروق وكانت وفاته بمسراته من أعمال طرابلس . والله أعلم .



بقية اخبار بنى الاحمر واستيلاء العدو على غرناطة وسائر الاندلس منها وانقراض كلمة الاسلام منها



كانت دولة بنى الاحمر فى هذه المدة متماسكة . والفتنة بين أعياسها متشابكة ، والعدو فيما بين ذلك يخادعهم عما بأيديهم ويروغهم ويسالمهم تارة ويحاربهم الى أن كانت دولة السلطان أبى الحسن على بن السلطان سعد بن الأمير على ابن السلطان يوسف ابن السلطان محمد الغنى بالله ، فنازعه أخوه أبو عبد الله محمد بن سعد المدعو بالزغل ، قدم من بلاد التصارى وبوسع بمالقة وبقي بها مدة ، وعظم الخطب واشتدت الفتنة ، وشرق المسلمون بداء الخلاف الواقع بين هذين الاخوين ، وتكالب العدو عليهم ووجد السبيل الى تفريق كلمتهم والتمكن من فسخ عهدهم وذمتهم ، وذلك أعوام الثمانين وثمانمائة . ثم انتقاد أبو عبد الله لايبى الحسن فسكنت أحوال الاندلس بعض الشيء ثم خرج عليه ولده أبو عبد الله محمد بن أبى الحسن وأسره التصارى فى بعض الوقعات فراجع الناس طاعة أبى الحسن ثم نزل لأخيه أبى عبد الله الزغل عن الامر لآفة أصابته فى بصره . ثم ان العدو عمده لاسيره أبى عبد الله بن الحسن فوعده ومناه ، وأظهر له من أكاذيبه وخدعه غاية غاية ، وبعثه للتشغيب على عمه طلبا لتفريق كلمة المسلمين وعكس مرادهم وتوصلا الى ما بقى عليه من حصون المسلمين وبلادهم وطالت الفتنة بين العم وابن الاخ وكل عقد كان بين العدو وبينه انحل وانفسخ ، وخبث العامة الذين هم أتباع كل ناعق فى ذلك ووضع ، وكان ذلك من أعظم الاسباب المعينة للعدو على التمكن من أرض الاندلس والتهامها واستئصال كلمة الاسلام منها . ثم ان ابن الاخ استولى على غرناطة بعد خروج العم عنها الى الجهاد فقتل ذلك فى عضده وعطف الى وادى آش فاعتصم بها ، وحاصر العدو مالقة فقاتله أهلها بكل ما أمكنهم حتى اذا لم يجدوا للقتال مساعا نزلوا على الامان ، فاستولى العدو عليها وأواخر شعبان سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ، ثم استولى

بعد ذلك على وادى آش وأعمالها صلحا ودخل فى طاعته صاحبها أبو عبد الله
 العم بعد أن استهوى العدو قواده بالاموال الجزيلة، ثم إن العدو خذله الله إياهم
 أبا عبد الله بن أبي الحسن صاحب غرناطة وعرض عليه الدخول فى الخطة
 التى دخل فيها عمه من النزول له عن البلاد على أموال جزيلة يذلها له ويكون
 تحت حكمه مخيلا فى أى بلاد الأندلس شاء فشاور رعيته فاتفق التائب على
 الامتناع والقتال ، فعند ذلك أهدف العدو حده. وجعل غرناطة وأهلها من
 شأنه بعد أن استولى أثناء هذه الفتن والتضريبات على حصون كثيرة لم تعرض
 لذكرها ، حتى لم يبق له الا غرناطة وأعمالها ، وقد اختصرنا معظم هذه
 الاخبار اذ لم تكن من موضوع الكتاب وانما أئمتنا بهذه النبذة تسميها للفائدة
 وزيادة فى الامتاع . ولما كان اليوم الثانى والعشرون من جمادى الآخرة سنة
 ست وتسعين وثمانمائة خرج العدو بمحلاته الى مرج غرناطة وأفسد الزرع
 ودوخ الارض ، وهدم القرى وأمر ببناء موضع بالسور والخير فاحكمه ،
 وكان الناس يظنون أنه عازم على الانصراف ، فاذا به قد صرف عزمه الى
 الحصار والاقامة وصار يضيق على غرناطة كل يوم ودام القتال سبعة أشهر .
 واشتد الحصار بالمسلمين غير أن النصارى على بعد ، والطريق بين غرناطة
 والبشرات متصلة بالمرافق ، والطعام يأتى من ناحية جبل شلير الى أن تمكن
 فصل الشتاء وكلب البرد ونزل الثلج ، فانسد باب المرافق ، وانقطع الجالب
 وقل الطعام ، واشتد الغلاء ، وعظم البلاء واستولى العدو على أكثر الاماكن
 خارج البلد ، ومنع المسلمين من الحرث والسبب وطاق الحال وبان الاختلال
 وعظم الخطب ، وذلك أول سنة سبع وتسعين وثمانمائة . وطمع العدو فى
 الاستيلاء على غرناطة بسبب الجوع والغلاء دون الحرب والقتال ففر ناس
 كثيرون من الجوع الى البشرات ، ثم اشتد الامر فى شهر صفر من السنة وقل
 الطعام وتفاقم الخطب ، فاجتمع ناس مع من يشار اليه من أهل العلم كآبى عبد
 الله الموافق شارح «المختصر» وغيره وقالوا : « انظروا لانفسكم وتكلموا مع
 سلطانكم » فاحضر السلطان أبو عبد الله بن أبي الحسن أهل دولته وأرباب
 مشورته وتكلموا فى هذا الامر وأن العدو يزداد مدده كل يوم ونحن لئامد لنا وكننا

نظن أنه يقلع عنا في فصل الشتاء فخاب الظن وبنى وأسس وأقام وقرب منا فانظروا لانفسكم وأولادكم . فاتفق الرأي على ارتكاب أخف الضررين ، وشاع أن الكلام وقع بين النصارى ورؤساء الاجناد قبل ذلك في اسلام البلد خوفاً على نفوسهم وعلى الناس ، ثم عددوا مطالب وشروطاً أداروها وزادوا أشياء على ما كان في صلح وادى آس ، منها : أن صاحب رومة يوافق على الالتزام والوفاء بالشرط اذا مكثوه من حمراء غرناطة والماعقل والحصون ويحلف على عادة النصارى في العهد ، وتكلم الناس في ذلك وذكروا أن رؤساء أجناد المسلمين لما خرجوا للكلام في ذلك امتن عليهم النصارى بمال جزيل وذخائر ، ثم عقدت بينهم الوثائق على شروط قرئت على أهل غرناطة فانقادوا اليها ووافقوا عليها وكتبوا البيعة لصاحب قشتالة فقبلها منهم ، ونزل سلطان غرناطة أبو عبد الله عن الحمراء ولا حول ولا قوة الا بالله .

وفى ثاني ربيع الاول من السنة ، أعنى سنة سبع وتسعين وثمانمائة ، استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد ان استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الاعيان رهنًا خوف الغدر ، وكانت الشروط سبعة وستين شرطاً منها: تأمين الصغير والكبير في النفس والاهل والمال ، وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ، ومنها : إقامة شريعتهم على ما كانت ، ولا يحكم على أحد منهم الا بشريعته ، وأن تبقى المساجد كما كانت والأوقاف كذلك ، وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يفصبوا أحداً ، وأن لا يولى على المسلمين نصراني أو يهودى ممن يتولى عليهم من قبل سلطانهم ، وأن يفتك جميع من أسر في غرناطة حيث كانوا وخصوصاً أعياناً نص عليهم ، ومن هرب من أسارى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه لالكة ولا لغيره ، والسلطان يدفع ثمنه لما لكة ، ومن أراد الجواز الى العدو لا يمنع ويجوزون في مدة عينت في مراكب السلطان لا يلزمهم الا الكراء ثم بعد تلك المدة يعطون عشر مالهم والكراء ، وأن لا يؤخذ أحد بذهب غيره ، وأن لا يجبر من أسلم على الرجوع للنجارى ودينهم ، وإن من تنصر من المسلمين يوقف أباماً حتى يظهر حاله ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى فإن أبى الرجوع

الى الاسلام تهادى على ما أراد ، ولا يعاتب على من قتل نصرايا أيام الحرب ولا يؤخذ منه ما سلب من النصارى أيام العداوة ، ولا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى ولا يسفر لجهة من الجهات ولا يزيدون على المغارم المعتادة ، وترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثه ، ولا يطلع نصرايى للصور ولا يتطلع على دور المسلمين ، ولا يدخل مسجدا من مساجدهم ، ويسير المسلم فى بلاد النصارى آمنا فى نفسه وماله ، ولا يجعل علامة كما يجعل اليهود وأهل الدجن ، ولا يمنع مؤذن ولا صائم ولا مصل ولاغبره من أمور دينه ومن ضحك منهم يعاقب ، ويتركون من المغارم ستين معلومة . وان يوافق على كل الشروط صاحب رومية ويضع خط يده وأمثال هذا مما تركنا ذكره .

وبعد انبرام ذلك ودخول النصارى للحمراء والمدينة جعلوا قائدا بالحمراء وحكاما ومقدمين بالبلد ، ولما علم بذلك أهل البشرات دخلوا فى هذا الصلح وشملهم حكمه على هذا الوجه ، ثم أمر العدو بناء ما يحتاج اليه فى الحمراء وتحسينها وتجديد بناء قصورها واصلاح سورها ، وصار الطاغية يختلف الى الحمراء نهارا ويبيت بمحلته ليلا الى أن اطمأن من خوف الغدر فدخل المدينة وتطوف بها وأحاط خبرا بما يرومه منها ، ثم أمر سلطان المسلمين ان ينتقل لسكنى البشرات وانها تكون له فى سكناه بأندرش ، فانصرف اليها وأخرج الاجناد منها ، ثم احتال عدو الله فى نفيه لبر العدو وأظهر أن السلطان المذكور طلب منه ذلك ثم كذب لصاحب المرية انه ساعة وصول كتابي هذا لاسبيل لاحد أن يمنع مولاي أبا عبد الله من السفر حيث أراد من من بر العدو ، ومن وقف على هذا الكتاب فليصرفه وليقف معه وفاء بما عهد له ، فانصرف السلطان أبو عبد الله فى الحين بنص هذا الكتاب وركب البحر فنزل بمليلى واستوطن فاسا وكان قبل ذلك قد طلب الجواز لتاجية مراكن فلم يسعف بذلك ، وحين جوازه لبر العدو لقي شدة وغلاء وبلاء . ثم ان النصارى نكثوا العهد ، ونقضوا الشروط عروة غروة الى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة بعد أمور وأسباب أعظمها عليهم انهم قالوا: ان القسيسين كتبوا على جميع من أسلم من النصارى أن يرجع

مهرًا لدينه ، ففعلوا ذلك وتكلم الناس ولا جهد لهم ولا قوة . ثم تعدوا ذلك الى أمر آخر وهو أن يقولوا للرجل المسلم ان جدك كان نصرانيا فاسلم فترجع أنت نصرانيا . ولما تفاحش هذا الامر قام أهل الليازين على الحكام فقتلوه وهذا كان السبب الاعظم في التنصر ، قالوا: لان الحكم خرج من عند السلطان أن من قام على الحاكم فليس الا الموت الا أن يتنصر فينجو من الموت وبالجملية فانهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة ، وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك ، وامتنعت قرى وأماكن كذلك منها بلقيع واندرش وغيرها فجمع لهم العدو الجموع واستأصلهم عن آخرهم قسلا وسيا الا ما كان من جبل بللقة فان الله تعالى أعانهم على عدوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة وأخرجوا على الامان الى فاس بعيالهم وما خف من أموالهم دون الذخائر .

ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله في خفية ويصلي فتشدد النصارى في البحث عنهم حتى انهم أحرقوا كثيرا منهم بسبب ذلك ومنعوه من حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد ، وقاموا في بعض الجبال على النصارى مرارا فلم يقبض الله تعالى لهم ناصرا الى أن كان اخراج النصارى اياهم جملة أعوام سبعة عشر وألف بعد أن ساكنوهم بغرناطة وأعمالها نحو من مائة وعشرين سنة كانوا فيها تحت ذمة النصارى كما رأيت والامر لله وحده . ولما أجلاهم العدو عن جزيرة الاندلس خرجت ألوف منهم بفاس وألوف آخر بلمسان ووهران وخرج جمهورهم بتونس فتسلط عليهم في الطرقات الاعراب ومن لا يخشى الله تعالى من الاوباش ونهبوا أموالهم وهذا بلاد تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المضرة . وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكرهم وكذلك بتطاوين وسلا وبجبة الجزائر ولما استخدم سلطان المغرب الأقصى ، وهو المنصور السعدى ، منهم عسكرا جرارا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور ، وحصنوا قلعة سلا . وهى رباط الفتاح ، وبنوا بها القصور والحمامات والدور .

قال أبو العباس المقرئ في « نفح الطيب » : وهم الان - يعنى في حدود

الثلاثين وألف - بهذا الحال ، ووصل جماعة منهم الى القسطنطينية العظمى
والى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام وانقضى أمر الاندلس وعادت
نصرانية كما كانت أول مرة ، والله وارث الارض ومن عليها وهو خير
الوارثين .

وفى السنة التى استولى الاصبنيول على غرناطة انكشفت لهم أرض
ماركان التى كانت مجهولة قبل هذا التاريخ لسائر الامم . وذلك أن الحكماء
الاقدمين من اليونان وغيرهم أجمعوا على أن شكل الارض كرة وان الماء قد
غمر أحد جانبيها كله بحيث صارت الارض فيه كأنها بيضة مفرقة فى طست ماء
قد رسب فيه أكثرها وبرز أقلها ، وأجمعوا على أن هذا البارز منها هو المسكون
ببنى آدم وغيرهم من الحيوانات وهو المنقسم الى سبعة أقسام تسمى الاقاليم
ولم يهتدوا الى أن الجانب الآخر منكشف عنه الماء ولا انه مسكون كهذا الجانب
بل جزموا بانه ماء صرف يسمى البحر المحيط ، واستمر هذا الاعتقاد عندهم
ونقله الخلف عن السلف ووضعا فيه التأليف العديدة الى أن كانت سنة سبع
وتسعين وثمانمائة وهى السنة التى استولى فيها الاصبنيول على غرناطة وسائر
الاندلس ، فاتفق أن ظهر فى تلك المدة رجل من فرنج جنوة اسمه كلب بضم الكاف
واللام كانت حرفته الملاحة والسفر فى البحر وكان بعيد المهمة ، مولعا بالشهرة
مغرى بالذكر وحسن الصيت ، فخطر بباله أن جانب الارض الذى أغفل
الحكماء الاولون ذكره وزعموا انه بحر صرف ربما يكون مسكونا كهذا الجانب
وكان جنس البرتقال فى هذه المدة قد كثرت أسفارهم فى البحر وملكوادة
محال من جزائره الخالدات ، فحصل لكلب الجنويزى بعض غيرة ونفاسة
منهم وأراد أن يأتى بأعظم مما فعلوا فعزم على التلجيج فى البحر المحيط والابعاد
فيه عسى أن يظفر بمراده ، فطارح على ملك البرتقال واسمه يومئذ يوحنا
الثانى فى أن يعينه على ما هو بصده ويمده بما يكون سببا فى نيل مقصده ،
فلم يلتفت الى قوله ولا عرج على رأيه ومن قبل ما كان أهل جنوة يحرقونه
وينسبونهم الى التهور بمثل هذه الآراء ، فلما لم يجد عند ملك البرتقال مراده
طارح على ملكة الاصبنيول ، وهى يومئذ ايسابيل الشهيرة الذكر عندهم ،

فأسعفته وهبأت له ثلاث سفائن وشحنتها بالرجال والسلاح والزاد والمال ودفعت ذلك إليه ، فسافر بها كلب في البحر المحيط على سمت المغرب حتى أرسى بعض الجزائر الخالدات فأراح بها أياما ثم سافر على السميت المذكور ملججا مدة من شهرين ، ولما طال السفر على أصحابه الذين معه أرادوا قتله ، وبينما هم في ذلك ظهرت له أرض ماركان فسار حتى أرسى باجفانه على ساحلها في اليوم الثامن عشر من ذى الحجة سنة سبع وتسعين وثمانمائة المذكورة ، فعمر منها على أرض واسعة ذات أقطار ونواحي وجبال وأنهار تفوت الحصر ، حتى قيل : لأنها تساوى نصف هذا المسكون من الأرض أو تزيد ، وإذا فيها خلق كثير من بنى آدم كهذه الا أنهم لم يفقهوا قوله ولا فقه قولهم . فعاد كلب الى ملكة الاصينول بعد أن بنى هنالك حصنا وترك به بعض الجند وساق من تلك الأرض بعض الغرائب من حيوان وغيره ، اثباتا لمدعاه فلما قدم على الملكة بعد مغيه سبعة أشهر وأحد عشر يوما أعظمت قدره ، ونوهت باسمه ، وسرت بما أنى به من ذلك كله ، وعدت ذلك من سعادتها الى ما تسنى لها من الظفر بجزيرة الاندلس والاستيلاء عليها ، وتبين للفرننج حينئذ أن الأرض معمورة من كلا الجانبين لا من جانب الواحد كما اعتقده الافدمون ، فحينئذ تسارعت أجناسهم الى أرض ماركان واقسموها واعتنوا بعمرانها وسموها: الدنيا الجديدة ، فكانت من أعظم الاسباب في اتعاشهم وتقويتهم وضخامة دولهم واتساع خطط ممالكهم ، والامور كلها بيد الله .

ومن جملة ما كان مفقودا بأرض ماركان نوع الخيل وكذا غيرها من الحيوانات الاهلية . ولما رأوا الادمى راكبا على الفرس مسرجا ظنوه قطعة واحدة وأن الفارس وفرسه حيوان واحد خلق على تلك الكيفية الى غير ذلك وأخبار أرض ماركان وكيفية العثور عليها ثم التردد اليها واعمارها بعد ذلك طويلة وملخصها ما ذكرناه ، والله تعالى الموفق بمنه .

وهذا آخر النصف الاول من كتاب الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، قد شرعنا في املائه بمتصف رجب الفرد الحرام من سنة سبع وتسعين ومائتين والفرغنا منه في منتصف

نذى الحجة الحرام فى السنة المذكورة . ونشرع بعون الله تعالى فى الجزء الثانى منه مفتحا بما يكون كالتوطئة لدولة بنى وطاس من أخبار البرتقال على الجملة ، وعلى الله تعالى الكمال بمنه وفضله « (*) »

❦

اخبار البرتقال بالمغرب الاقصى على الجملة



اعلم أن هذا المغرب الاقصى حرسه الله وكلاءه بعين حفظه ، لم يزل بجميع ثغوره وسواحله وأقطاره منذ الفتح الاسلامى الى المائة التاسعة محفوظا الجوانب من طروق أمم الفرنج وغيرهم من أعداء الدين ، محفوظا الاكفاف بالحامية من جنود المسلمين ، مرهوبة شوكة ملوكه عند أمم النصرانية جيلا بعد جيل ، وأمة بعد أمة ، ودولة بعد دولة . لم تكن الفرنج تحدث نفسها بغزو شىء من بلاده ، أو طرق ثغر من ثغوره ، أو الاستيلاء على شىء من سواحله ، ولم يكن أهلها أيضا يتوقعون ذلك منهم ولا يخشونه ، بل هم الذين كانوا يغزون الفرنج فى عقر ديارهم وأعز بلادهم ، ويحامون عن بلاد الاندلس وسواحل افريقية وغيرها متى هاج أهلها هياج من ذلك حسبما تقدمت الاخبار المفصلة عن ذلك ، ولم يلغنا أن جنسا من أجناس الفرنج فيما قبل المائة التاسعة غزا شيئا من أطراف المغرب الاقصى ، أو نفرا من ثغوره بقصد الاستيلاء والتملك ، الا ما كان من مدينة سلا التى دخلها الاصبينول غدرا أيام الفتنة بين يعقوبين ثم خرجوا عنها لمدة يسيرة حسبما مر ، والا ما كان من محاصرة أهل جنسوة لسببته ثم الافلاع عنها كذلك ، ونحو هذا مما لا يعتبر ، فلما دخلت المائة التاسعة ومضى صدرها وتداعت دول المغرب من بنى أبى حفص بافريقية ، وبنى زيان بالمغرب الاوسط ، وبنى مرين بالمغرب الاقصى ، وبنى الاحمر بالاندلس ، وأشرفت على الهرم وحدثت الفتن بين المسلمين ودامت فيهم واشتغلوا بانفسهم دون الالتفات الى جهاد العدو ومطالبته فى أرضه وبلاده على ما كان لهم من العادة قبل ذلك ، وافق ذلك ابتداء ظهور الجلالة وهم الاصبينول (*) ما بين قوسين هو زيادة بخط المؤلف فى الاصل بعد الطبعة الاولى

والبرتقال ، وهم البرطقيز ، بجزيرة اللندلس واستفحال أمرهم ، فكثرت أسفاد البرتقال فى البحر المحيط ودام قلبهم فيه ومرنوا عليه حتى حصلوا على عدة جزائر منه ، واكشفوا بعض الرؤوس الساحلية من أرض السودان وغيرها ثم شروها لتملك سواحل المغرب الاقصى ، فهجموا عليها وجالدوا أهلها دونها حتى تمكنوا منها ونشبو فيها ، فقويت شوكتهم وعظم ضررهم على الاسلام وطمحت نفوسهم للاستيلاء على ما وراء ذلك حسبما تقف عليه مبينا فى مواضعه ان شاء الله .

فاستولوا فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة على مدينة سبتة بعد محاصرتهم لها ست سنين على ما فى بعض تواريخ الافرنج ، ثم فى سنة اثنتين وستين وثمانمائة استولوا على قصر المجاز ، ثم استولوا فى سنة تسع وستين وثمانمائة على طنجة ، ثم فى حدود سنة ست وسبعين وثمانمائة ملكوا آصيلا ، وفى هذا التاريخ نفسه أو قبله ييسر استولوا على مدينة آنفا وبعض سواحل السوس ، ثم فى حدود سنة سبع وتسعمائة نزلوا بأرض الجديدة فيما بين آزمور ويط ونوا بها حصن البريجة وطال مقامهم بها ، ثم فى سنة عشر وتسعمائة استولوا على مدينة العرائش ، ثم بعد ذلك ييسر فى حدود العشر وتسعمائة على مساتقضية تواريخ الفرنج ملكوا حصن آكاير وما اتصل به من سواحل السوس الاقصى ، ثم ملكوا فى حدود اثنتى عشرة وتسعمائة رباط آسفى ثم عطفوا على نعر آزمور فاستولوا عليه فى سنة أربع عشرة وتسعمائة . ثم المعمورة وهى ، المهدية ، ملكوها أيضا فى حدود سنة عشرين وتسعمائة وفى هذا التاريخ نفسه رجعوا الى مدينة آنفا بعد هدمها فبنوها وسكنوها ، وبالجملة فلم يبق من ثغور المغرب الاقصى بيد المسلمين الا القليل مثل سلا ورباط الفتح وفجى المسلمين من هذا البرتقال بالامر العظيم ، ودهوا منه بالخطب الجسيم ، واستحوز عدو الله على بلاد الهبط وضايقهم بها حتى انحازوا الى الامصار المنزوية عن الاطراف والقرى النائية عن السواحل ، وكان ذلك كله فيما بين انقراض دولة بنى وطاس وظهور دولة الشرفاء السعديين ، ولقد ذكر فى « مرآة المحاسن » أن قصر كتامة كان فى صدر المائة العاشرة مقصدا

للتجار وسوقا تجلب اليه بضائع العدو تين وسلعها ، قال : « اذ كان القصر المذكور تغرابين بلاد المسلمين وبين بلاد النصارى تحط به رجال تجار المسلمين من آفاق المغرب وتجار الحربيين من آصيلا وطنجة وقصر المجاز وستة ولانه كان محل عناية سلطان المغرب اذ ذاك محمد الشيخ بن أبي ركرياء الوطاسي ، فان القصر قاعدة بلاد الهبط التي كانت موقد شرارة السلطان المذكور ، ومشب ناره ، وموشج عصيته مع مجاورته لبلاد الحرب ، فكان نظره مصروفا اليه واختصاصه موقوفا عليه وتقبل بنوه من بعده مذهبه فيه » اه كلامه فهذا يدل على ما كان عليه العدو خذ له الله من المضايق للمسلمين في ثغورهم وبلادهم ولله الامر من قبل ومن بعد .

ولما نزل باهل المغرب الاقصى ما نزل من غلبة عدو الدين واستيلائه على ثغور المسلمين ، تباروا في جهاده وقتاله ، وأعملوا الخيل والرجل في مقارعتة ونزاله ، وتوفرت دواعي الخاصة منهم والعامه على ذلك ، وصرقوا وجسوه انزم لتحصيل الثواب فيما هنالك ، فكمن من رئيس قوم قام لنصرة الدين غيرة واحتسابا ، وكمن من ولي عصر أو عالم مصر باع نفسه من الله ورأى ذلك صوابا حتى لقد استشهد منهم أقوام وأسر آخرون ، وبلغ الله تعالى جميعهم من الثواب ما يرجون ، فمن استشهد منهم في سبيل الله سيدي عيسى بن الحسن المصباحي دفين الدعداعة بأرض البروزي من بلاد طليق ، وأبو الحسن على ابن عثمان الشاوي من أصحاب الشيخ أبي محمد الغزواني ، وأبو الفضل فرج الاندلسي ثم المكناسي ، وأبو عبد الله محمد القصري المروفي بسقين قتله النصارى عند ضريح الشيخ أبي سلهم ، وكان قد قصده للزيارة ففتكوا به هنالك ، وكل هؤلاء معدود في أولياء الله تعالى ، ومعن أسر منهم ثم خلصه الله الشيخ أبو محمد عبد الله بن ساسي دفين تانسيفت من أحواز مراکش ، والشيخ أبو محمد عبد الله الكوش دفين جبل العرض من أحواز فاس ، ووالد صاحب «دوحة الناصر» وهو أبو الحسن علي بن مصباح الحسني عرف بابن عسكر ، والشيخ العلامة أبو العباس أحمد بن القاضي المكناسي أحد قضاة سلا وهو صاحب «جذوة الاقتباس» و «المتقى ! المقصور» وغيرهما من التأليف

الحسان أسر وهو ذاهب الى الحج ، وأبو عبد الله محمد بن أبي الفضل التونسي المعروف بخروف نزيل فاس وشيخ الجماعة بها ، هؤلاء كلهم أصابه الأسر ثم خلصه الله بعد حين ، وغير هؤلاء ممن لم يحضرنا ذكرهم ، أجزل الله ثوابهم ويسر بمنه حسابهم ، ولقد ألف الناس في ذلك العصر التأليف في الحز على الجهاد والرغب فيه ، وقال الخطباء والوعاظ في ذلك فأكثروا ، ونظم الشعراء والادباء فيه ونثروا ، فمن ألف في ذلك الباب فآفاد : الشيخ المتقن البارص الصوفي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن جيش التازي ، قال في «الدوحة» : «وقفت له على تأليف ألفه في الحز على الجهاد في سبيل الله فكان مما ينبغي أن يتناول بالدين ، ويكتب دون المداد باللجين ، أودعه نظما ونثرا » ومن نظم في ذلك فآجاده الشيخ الصالح المتصوف المجاهد أبو عبد الله محمد بن يحيى الابهولي ، قال في «الدوحة» : «كان هذا الشيخ ممن لازم باب الجهاد وفتح له فيه ، وله في ذلك أشعار وقصائد زجلية وغيرها » وكان معاصرا للسلطان أبي عبد الله محمد بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بالبرتقال ، فكان اذا جاءه زائرا حظه على الغزو فيساعده على ما أراد من ذلك ، ولما توفي السلطان المذكور ، ودالت الدولة لولده السلطان أحمد ، وغص بالشرفاء القائمين عليه بلاد السوس ، عقد الهدنة مع النصارى المجاورين له ببلاد الهبط وصاحبهم سلطان البرتقال ، فبلغ ذلك الشيخ أبا عبد الله المذكور فآلى على نفسه أن لا يلقى السلطان المذكور ولا يمشى اليه ولا يقبل منه ما كان عينه له والده من جزية أهل الذمة بفاس لقوته وضرورياته ، فمكث على ذلك الى أن حضرته الوفاة ، وكان في النزاع وأصحابه دائرون به فقال له بعضهم : «ياسدي أخبرك أن السلطان أمر بالهزو ونادى به وحض الناس عليه ، والمسلمون في شره لذلك وفرح » . ففتح الشيخ عينيه وتهلل وجهه فرحاً وحمد الله وأثنى عليه ، ففاضت نفسه وهو مسرور بذلك ، ولهذا الشيخ زجلية ومقطعات حسان في الحز على الجهاد ، منها الامية المشهورة التي خاطب بها السلطان أبا عبد الله المذكور ومطلعها :

قل للامير محمد يا طلعة الهلال

لويلة فى السواحل من أفضل الليال
ومنها القصيدة التى مطلعها :

ظهر الرمل مرادى والعسكر يا كرام
نفسى على الجهاد سبى والسلام

ومنها القصيدة التى أولها :

قم للجهاد رعاك الله منتهجاً نهج الرشاد الى الاقوام لو فهموا
من بعد اندلس ما زلت محتدماً لو كان يمكننى فى الليل احترم

الى غير ذلك مما يطول ذكره قال صاحب «الدوحة» : « حدثنى الفقيه
العدل أبو العباس أحمد الدغمورى القصرى ، قال : كان الشيخ أبو عبد الله
يقول : « ما غزونا غزوة قط الا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ،
ويخبرنى بجميع ما يتفق لى ولاصحابى فى تلك الغزوة » ، وله رضى الله عنه
فى شأن الجهاد والرجولية حكاية ظريفة وهى انه غزا مرة غزوة الى الثغور الهبطية
ثم قدم منها مع أصحابه فوجد زوجته فلانة بنت الشيخ أبى زكرياء يحيى بن بكار
قد توفيت وصلى الناس عليها بجامع القرويين ، وامامهم الشيخ غازى بن
الشيخ أبى عبد الله محمد بن غازى الامام المشهور ، فوصل الشيخ أبو عبد
الله ووجد جنازتها على شفير القبر والناس يحاولون دفنها فقال لهم : مهلاً
ثم تقدم وأعاد الصلاة عليها مع أصحابه الذين قدموا معه فبادر الناس اليه
بالانكار فى تكرير الصلاة على الجنازة بالجماعة مرتين ، فقال لهم على البديهة :
« صلاتكم التى صليتم عليها فاسدة ، لكونها بغير امام » ، فقالوا له : « كيف ذلك
ياسيدى ؟ » قال : « لان من شرط الامام الذكورية وهى مفقودة فى صاحبكم
لان الذى لم يقتل سيفاً فى سبيل الله قط ولم يضرب به ولا عرف الحرب
كما كان نبتنا صلى الله عليه وسلم ولم يتعب بالسيرة النبوية فكيف يعد اماماً
ذكراً بل امامكم والله من جملة النساء » اهـ . وحكى أيضاً فى ترجمة الشيخ
أبى محمد عبد الله الورياكلى الذى قال له العلامة ابن مرزوق وقد عزم على
الرحلة الى بلاد المشرق فى طلب العلم : « ليس امامك أحد أعلم منك » ، قال : « فرجع
من هنالك فوجد النصارى قد تغلبوا على طنجة وأصيلا ، فلازم الثغور الهبطية
(الاستقصا رابع - 8)

لأجل الرباط والجهاد فى سبيل الله ، وبث العلم ونشره ، قال : « وكان من عادته أن يشتغل بالتدريس فى فصلى الشتاء والربيع ، ويخرج فى الصيف والخريف فربط فى ثغور القبائل الهبطية الى آخر كلامه ، وأمثال هذا كثير ذكرنا منه هذه النبذة اليسيرة لتقف بها على أحوال القوم وما كانوا عليه من الرغبة فى الجهاد والمثابرة عليه قدس الله أرواحهم وجعل فى دار النعيم غدوهم ورواحهم .

وقد آن أن نشرع فى الاخبار عن دولة بنى وطاس بعد أن نذكر دولة الشريف العمراني الذي بايعه أهل فاس يوم مقتل السلطان عبد الحق بن أبي سعد رحمه الله .



الخبر عن دولة الشريف ابى عبد الله الحفيد وأوليته



هذا الشريف هو أبو عبد الله محمد بن على الادريسي الجوطى العمراني من بيت بنى عمران فرقة من أدارسة فاس ، وهم واسطة عقد البيت الادريسي ، وأوضحهم نسبا ، وأعلامهم حسبا ، قال ابن خلدون : « ليس فى المغرب فيما تعلمه من أهل البيت الكريم من يبلغ فى صراحة نسبه ووضوحه مبلغ أعقاب ادريس رضى الله عنه » قال : « وكبرأؤهم لهذا العهد بنو عمران فاس من ولد يحيى الجوطى بن محمد بن يحيى العدام بن القاسم بن ادريس ابن ادريس ، وهم نقباء أهل البيت هناك والساكنون ببيت جدهم ادريس ولهم البيادة على أهل المغرب كافة » اهـ والجوطى قال فى « المرأة » : « نسبة الى جوطة بـيجين مضموم وواو بد وطاء مفتوحة وهاء تأنيث وهى قرية عظيمة على نهر سبو فى العدو الجنوبية خربت ولم يبق منها الا آثار ، ولها مسيل شتوي يعرف بمخروط جوطة . نزلها السيد يحيى فنسب اليها وقبره هناك معروف » اهـ .

بيعة السلطان ابي عبد الله الحفيد والسبب فيها



كان بنو مرين أيام ولايتهم على المغرب يعظمون هؤلاء الاشراف الادارسة ويوجبون حقهم ويتقربون الى الله تعالى برفع منزلتهم وجبر خواطرهم لما فانهم من رتبة الخلافة التي كانت تكون لهم بطريق الاستحقاق الشرعى ، فكان بنو مرين لما جبلوا عليه من الجنوح الى مراسم الدين واتحاليها يرون فى أنفسهم كأنهم متغلبون مع وجود هؤلاء الاشراف . فلذا كانوا يخضعون لهم ، ويتأدبون معهم ما أمكن ، ولقد حكى أبو عبد الله بن الازرقى : أن الشيخ الكبير أبا عبد الله المقرئ كان يحضر مجلس السلطان أبا عنان لبث العلم وكان نقيب الشرفاء بفاس اذا دخل مجلس السلطان يقوم له السلطان وجميع من فى المجلس اجلالا له ، الا الشيخ المقرئ فانه كان لا يقوم له ، فحرت بين الشريف والفقير المذكور معاتبة ومراجعة فى حكاية مشهورة ، تركناها لعدم تعلق الغرض بها (*) اذ الغرض هو الوقوف على ما كان عليه القوم من الجلة والتعظيم لاهل هذا البيت الكريم ، فلما اضطربت أحوال الدولة المرينية بفاس واجتمع رؤساء فاس الى الفقيه أبى فارس الوردياكللى فى شأن اليهوديين اللذين كانا يحتكمان فى المدينة ويمسكان أهلها ، أجمع رأيهم على مبايعة هذا الشريف الحفيد ، وكان يومئذ بلى نقابة الاشراف بفاس ، فاستدعوه فحضر وبايعوه فى العشر الاواخر من رمضان سنة تسع وستين وثمانمائة ، وتم أمره وكان من قتله للسلطان عبد الحق ما تقدم ذكره والله أعلم .



(*) راجع ذلك فى «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» للشيخ أحمد بابا ص ٢٥٤ طبع فاس

و «نفح الطيب» للمقرئ - ج ٣ - صفحة ١٤٨

فتنة الشاوية ووصولهم الى بلاد الغرب



قد قدما ما كان من أمر الشاوية وفتنتهم في أيام السلطان عبد الحق . ولما كانت أيام الحفيد هذا تزايد ضررهم واستطاع شرهم فزحفوا الى بلاد الغرب من أحواز مكناسة وفاس ، وعائوا وأفسدوا ، ولما تكلم أبو عبد الله محمد العربي الفاسي في «مرآة المحاسن» على الشيخ عبد الوارث البالصوتي وأنه أخذ عن جماعة منهم: أبو النجاء سالم الروداني الشاوي ، والشيخ أبو عبد الله الصغير السقلي ، والشيخ أبو محمد الغزواني ، قال: «وكان الشيخ أبو النجاء أولا يقرأ بالمدزسة العنانية» فلما نزل الشاوية الغرب ، خرج من فاس خائفا يترقب ، وذلك في أيام «الخفيذ» هـ ، وبلاد الغرب تطلق في عرف أهلها على خصوص بسيط ازغاز وما اتصل به الى ساحل البحر والله أعلم .



استيلاء البرتقال على مدينة آنفى وأصيلا



برأيت في بعض تواريخ الفرنج أن استيلاء البرتقال على آنفى كان في حدود أربع وسبعين وثمانمائة ، وانهم هدموها وبقيت كذلك مدة تزيد على أربعين سنة . ثم شرعوا في تحصينها والبناء بها ، ولم يزلوا مقيمين بها الى حدود أربع وخمسين ومائة وألف وفي سنة ست وسبعين وثمانمائة استولوا على أصيلا ، وظفروا فيها بيت مال الوطاسي ، وأسروا ولده محمدا المدعو بالبرتقال ، وابنته وزوجته وجماعة من الاعيان ، وكان الخطب عظيما ، وبقي ولد الوطاسي عند البرتقال سبع سنين ، ثم افككه والده بعد ، وكان يوم أسير، صبيا صغيرا ، وأما مدينة فضالة فلم يقع عليها استيلاء وإنما كانت بها كمابنة خمسة نفر من تجار مادريد قاعدة قشتالة ، نزلوها بقصد التجارة باذن سلطان

الوقت (*) وكانت سلمهم توسق وتوضع من مرساها ، وبنوا بها البناء الموجود اليوم
والله تعالى أعلم .



خلع السلطان ابي عبد الله الحفيد وانقراض امره



قال في «الجدوة» : « لما قامت عامة فاس على السلطان عبد الحق وأقاموا
هذا النقيب من أهل مدينة فاس اماما استمر بها ، وابنه وزير له ، الى سنة خمس
وسبعين وثمانمائة ، فعزل عن الامامة وكان الذي خلعه أبا الحجاج يوسف
ابن منصور بن زيان الوطاسي ، وكان ذلك سبب ذهاب الشريف المذكور
الى تونس لمدة يسيرة من خلعه ، وبقيت حضرة فاس الجديد في يد أخت أبي
الحجاج المذكور وهي الزهراء المدعوة بزهور ، مع قائده السجيري ، إلى أن
تولى الامر أبو عبد الله محمد الشيخ الوطاسي » والله غالب على أمره .



الخبر عن دولة بنى وطاس

وذكر نسبهم وأوليتهم



اعلم ان بنى وطاس فرقة من بنى مرين غير انهم ليسوا من بنى عبد الحق ، ولما دخل بنو مرين المغرب وافتمسوا أعماله حسبا تقدم ، كان لبنى وطاس هؤلاء بلاد الريف فكانت ضواحيها لتزولهم وأمصارها ورعاياها لجبائيتهم ، وكان بنو الوزير منهم يسمون الى الرياسة ويرومون الخروج على بنى عبد الحق ، وقد تكرر ذلك منهم حسبا مر ، ثم أذعنوا الى الطاعة وراضوا أنفسهم على الخدمة ، فاستعملهم بنو عبد الحق فى وجوه الولايات والاعمال واستظهروا بهم على أمور دولتهم ، فحسن أثرهم لديها وتعدد الوزراء منهم فيها ، وذكر ابن خلدون : « أن بنى الوزير هؤلاء يرون أن نسبهم دخیل فى بنى مرين ، وانهم من أعقاب يوسف بن ناشفين اللمتونى لحقوا بالبدو ونزلوا على بنى وطاس ووشجت فيهم عروفتهم حتى لبسوا جلدتهم ، ولم يزل السرو متربعا بين أعينهم لذلك والرياسة شامخة بانوفهم » اهـ ولما كانت دولة السلطان أبى عنان واستولى على بجاية ، عقد عليها لعمر بن على الوطاسى من بنى الوزير هؤلاء فتار عليه أهلها واستلحموه فى خبر مر التنبيه عليه .

ثم لما كانت الدولة الاولى للسلطان أبى العباس بن أبى سالم ، وخلاص ملك مراکش وأعمالها الى ابن عمه الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ، كان من جملة من تحيز اليه وصار فى جملة ، زيان بن عمر بن على المذكور ، فكانت له فى دولته الوجاهة الكبيرة ، والمنزلة الرفيعة ، ثم لما فسد ما بين السلطان أبى العباس والامير عبد الرحمن كان زيان بن عمر فى جملة النازعين الى السلطان أبى العباس ، فاتصل به وصار فى جملة الى أن حاصر

السلطان أبو العباس قصبة مراكش ، وبها يؤمّد الأمير عبد الرحمن ، فابلى زيان بن عمر فى ذلك الحصار وكان أحد الذين باشروا قتل ولدى الإمبر عبد الرحمن .

قال ابن خلدون : « وطالما كان زيان هذا يمتري ثدى نعمتهم ويجر ذيله خيلاء فى جاههم ، فذهب مثلاً فى كفران النعمة وسوء الجزاء ، والله لا يظلم مثقال ذرة » . ثم جاء بعده ابنه أبو زكرياء يحيى بن زيان فولى الوزارة للسلطان عبد الحق كما مر ، ثم جاء بعده ابنه يحيى أيضاً ، وهو الذى قتله السلطان عبد الحق فى جماعة من عشيرته ، وفر أخوه أبو عبد الله محمد الشيخ الى الصحراء وبقي منتقلاً الى أن كان من أمره ما نذكره .



الخبر عن دولة السلطان أبى عبد الله محمد الشيخ بن أبى زكرياء .

الوطاسى رحمه الله



قد تقدم لنا ما كان من إيقاع السلطان عبد الحق بنى وطاس وأفلات محمد الشيخ ومحمد الحلو من النكبة ، وإن الشيخ كان قد خرج للصيد فاتصل به الخبر فذهب على وجهه لا يلوى على شيء ، وإن الحلو اختفى حتى اذا سكنت الهيعة تسلل ولحق بالشيخ فسارا الى جهة الصحراء وجعلا يترددان فيما بينهما وبين البلاد الهبطية حتى ملكا آصيلاً ، وذلك قبل استيلاء البرتقال عليها . ولما ملك الشيخ آصيلاً واستفجل أمره بهاتشوفت اليه الاعيان من أهل فاس والرؤساء من أهل دولة السلطان عبد الحق وصاروا يكاتبونه ويقدمون اليه الوسائل سرا وربما دعوه الى القدوم على أن يذلوا له من الطاعة والنصرة ما شاء . فاستمر الحال على ذلك الى أن قتل عبد الحق وبزيع الخفيد ، فحيثئذ أزهق الشيخ حده ، واستفرغ فى المطالبة جهده ، الى أن استولى على الحضرة وصفا له ملك المغرب

قال في « المرأة » : « لما بايع أهل فاس أبا عبد الله الحفيد قام محمد الشيخ الوطاسي في آصيلا واستمع القبائل واستفحل أمره ، وحاصر فاسا وقتا بعد وقت الى أن دخلت في طاعته في رمضان سنة ست وسبعين وثمانمائة . وخرج عنها الحفيد ودخلها محمد الشيخ المذكور في أوائل شوال من السنة المذكورة وهو مورت الملك لبنيه بها » اه . وقد تقدم لنا أن الذي خلع الشريف من الملك هو أبو الحجاج يوسف بن منصور الوطاسي ، وان حضرة فاس الجديد قيد بقيت بعد ذهاب الشريف الى تونس في يد زهور الوطاسية والقائد السجيري الى أن قدم السلطان محمد الشيخ والله تعالى أعلم .

وقال منويل في أخبار محمد الشيخ هذا ما صورته : « كانت مملكة المغرب الانصبي في غاية الاضطراب والانتكاس حتى طمع في ملكها كل من كانت توسوس له نفسه بذلك ، واستولى ابن الاحمر على جميع الثغور التي كانت لبني مرين بارض الاندلس ولم يترك لهم قيد شبر ، واشرايت آجناس الفرنج للثقل على المغرب ، وفي تلك المدة كان با صيلا محمد الشيخ الوطاسي ، وكان شجاعا مقداما ، وأحسن من نفسه بالقدرة على الاستيلاء على كرسي فاس وتحتية الشريف عنه ، لا سيما مع ما كان الناس فيه من افتراق الكلمة فجمع جنودا صالحا وزحف الى فاس فبرز اليه الشريف والتقوا باحواز مكناسة فوقعت بينهما حرب عظيمة كانت الكرة فيها على الوطاسي، ثم جمع عسكرا آخر وزحف به الى فاس وحاصرها نحو سنتين والشريف فيها مع أرباب دولته ، وفي أثناء الحصار ورد عليه الخبر باستيلاء البرتقال على آصيلا وعلى بيت ماله الذي كان بها وعلى حظاياه وأولاده ، فأفرج عن فاس ورجع مبادرا الى آصيلا فحاصرها ، ولما امتنعت عليه عقد مع البرتقال هدنة وعاد سريعا الى فاس فحاصرها وضيق على الشريف بها حتى خرج فارا بنفسه وأسلمها اليه فدخلها محمد الشيخ وتمت بيعته وتفرغ لتدويخ القبائل التي باحواز فاس وغيرها ، فدخلوا في طاعته واغتبطوا به » اه كلامه .

رياسة بنى راشد من شرفاء العلم بعمارة وبنائهم مدينة شفشاون وما يتبع ذلك



قال فى «نشر المائى»: اختط بعض شرفاء العلم مدينة شفشاون بقصد تحصين المسلمين من نصارى سبتة ، اذ كانوا بعد استيلائهم عليها يتناولون على أهل تلك المداشر فى أواخر دولة بنى وطاس .

وقال فى «المرآة» : «كان ابتداء اختطاط مدينة شفشاون فى الجهة المعروفة عندهم بالعدوة ، وهى عدوة وادى شفشاون ، فى حدود سنة ست وسبعين وثمانمائة ، على يد الشريف الفقيه الصالح الناصح المجاهد أبى الحسن بن أبى محمد المعروف بأبى جمعة العلمى ، واسمه الحسن بن محمد ابن الحسن بن عثمان بن سعيد بن عبد الوهاب بن علال بن القطب أبى محمد عبد السلام بن مشيش ، ومات شهيدا قبل اتمام ما شرع فيه ، بتدبير النصارى دمرهم الله مع أهل النفاق اذ ذاك من أهل الخروب ، وقد جاءهم فى سبيل الجهاد وبينما هو يتعجد من الليل فى مسجد هنالك ، اذ أضرموه عليه نارا فمات رضوان الله عليه ، وقام مقامه فيما كان بسبيله من الجهاد والاستفار له وتجييش الجيوش لابن عمه الامير الجليل ، الفاضل الاصيل ، أبو الحسن على بن موسى بن راشد بن على بن سعيد بن عبد الوهاب الى آخر النسب المتقدم ، فشرع فى اختطاط مدينة شفشاون فى العدوة الاخرى فبنى قصبتها وشيدها وأوطنها باهله وعشيرته ، ونزل الناس بها فبنوا وصارت فى عداد المدن الى أن توفى سنة سبع عشرة وتسعمائة ، وورثها بنوه من بعده ولم يزالوا فيها بين سلم وحرب الى أن أخرجهم منها الشرفاء السعديون عند استيلائهم على بلاد المغرب والله تعالى أعلم .»

ثورة عمرو بن سليمان السيف ببلاد السوس وشي من اخياره



هذا الرجل هو عمرو بن سليمان الشيطمي المغيطي المعروف بالسيف، ويقال له المريدي بضم الميم، وكان ابتداء أمره أنه كان من تلامذة الشيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات، نقل انبات أنه كان يتردد الى الشيخ المذكور، أيام حياته وبأثيه بالوواح فيها كلام كثير منسوب الى الحضر عليه السلام، فلا يقول له في ذلك شيئا غير أنه أثنى عليه مرات كثيرة، ثم لما مات الشيخ المذكور رحمه الله سنة سبعين وثمانمائة ثار عمرو المذكور مبظنا الطلب بثار الشيخ والانتقام من الذين سموه، اذ كان سمه بعض فقهاء عصره، فقتلهم حتى قتلهم، ثم صار يدعو الناس الى اقامة الصلاة ويقايلهم عليها، فانتصر عليهم وشاع ذكره وتمكن ناموسه، ثم تجاوز ذلك الى أن صار يدعو الناس الى نفسه ويقتل المكرين عليه وعلى شيوخه وأصحابه. وسمى اصحابه المريدين، بضم الميم، قال زروق: «وما أحقها بالفتح» وسمى المخالفين له الجاحدين ثم جعل ينفوه بالمغييات ويزعم أنه مأذون، وربما ادعى النبوة. وكان قد أخرج شلو الشيخ الجزولي من قبره وجعله في تابوت وصار يقدمه بين يديه في ججروبه بكتابوت بنى اسرائيل فيتصر على من خالفه، وقيل انه لم يدفنه وانما لبخذه بعينه فوته فكيفنه ونجعله في التابوت، وجمع الجموع، وقاد الجيوش، وسفلك اللباء، واستمرت قنته في الناس عشرين سنة.

قال الشيخ زروق رحمه الله: «بلغني أن شيخنا الفقيه أبا عبد الله القهوري وود عليه سؤال في شأن عمرو بن سليمان السيف فبادرت اليه كي أراء فقال لي: (قد خرج من يدي)، فقلت له: (فما مقتضاه؟)، قال: (مقتضاه انه يقول: ان أحكام الكتاب والسنة ارتفعت ولم يبق الا ما يقول له قلبه). قال زروق: «وشاع من أمره انه يقول: انه وارث النبوة، وان له أحكاما تخصه كما في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام، وان الخضر حي، ونبي مرسل، وانه يلقاه يأخذ عنه، بل يدعى ذلك من هو دونه من تلامذته».

وحكى بعضهم أن عمرا المذكور لما جعل شلو الشيخ فى التابوت ، كان اذا زجج به من حربه وضعه فى روضة عنده بسميها الرباط ، فاذا جبه الليل أطاف الحرس بالروضة يحرسون التابوت من السراق ويوقد عليه كل ليلة فتيلة عظيمة فى مقدار الثوب مغموسة فى نحو مدين من الزيت ليقوى الضوء ويتشع ، وبلغ من كل الجهات الى مسافة بعيدة ، فنكشف الطرق عمسن يأتى عليها ، كل ذلك مخافة أن يؤخذ منه شلو الشيخ فيتصر به عليه .

ويقال : ان ثورة عمرو المذكور وفتنته كانت أثرا من آثار دعوات الشيخ الجزولى رحمه الله ، فقد ذكر تلامذته كالشيخ التابع وغيره : أن الشيخ الجزولى خرج عليهم من آخر الليلة التى قتل فى صبيحتها ، فقالوا له : «ياسيدى الناس يزعمون انك الفاطمى المنتظرة فقال : « ما يبحثون الا عمن يقطع رقابهم ، الله يسلط عليهم من يقطع رقابهم » وكرر ذلك مرارا ، فكانوا يرون أن أثر دعوته ظهر فى عمرو السيف والله أعلم .

وقتل عمرو المذكور سنة تسعين وثمانمائة واختلف فيمن قتله ، فقيل كان عمرو قد تزوج زوجة الشيخ الجزولى وبنته فلما رأنا ما هو عليه من الزندقة والفساد فى الارض قتلناه امتناعا للدين ، ترصدتاه حتى اذا نام عدنا عليه فقتلناه ثم رمنا احدهما وهى بنت الشيخ بنفسها من كوة هناك فى البيت الذى كانوا به فوصلت الى الارض سالمة ونجت ، وبقيت الاخرى ، وهى الزوجة ، بالبيت فدخلوا عليها فقتلوها . وقيل : انما قتله زوجته وربيبته ، وقيل : غير ذلك والله أعلم .

ولما هلك عمرو بالسيف دفن الناس الشيخ الجزولى ، وقيل : هو دفنه بموضع يعرف بتاصروت ثم نقل بعد الى مراکش على ما تذكر ان شاء الله ولما ذكر الشيخ أبو الناس الصنومى فى كتابه الموضوع فى مناقب الشيخ أبى يعزى قصة نقل الشيخ الجزولى الى مراکش ، وانه وجد طريا لم يغير بعد وفاته بنحو سبعين سنة ، قال : « وأعجب من هذا أن عمرا المفيطى السيف زعموا أنه وجد كذلك ، ولعله أدركه بركة هذا الشيخ مع ما كان عليه والفضل بيد الله » اهـ .

وفى سنة احدى وتسعين وثمانمائة استدعى السلطان محمد الشيخ الامام
أبا عبد الله بن غازى من مكاسة الى فاس فولى الخطابة أولا بالمسجد الجامع
من فاس الجديد ثم ولى الامامة والخطابة ثانيا بمسجد القرويين من فاس وصار
شيخ الجماعة بها واستوطنها الى أن مات رحمه الله .

وفى سنة خمس وتسعين وثمانمائة تحرك السلطان محمد الشيخ الى
دبدو ثم عاد الى حضرته . وفيها أيضا فى يوم الخميس السابع من ذى القعدة
توفى الوزير أبو عبد الله محمد الحلو الوطاسى ودفن بالقلة خارج باب
الجيسة .

وفى سنة سبع وتسعين وثمانمائة استولت الرينة إيسابلا صاحبة مادريد
قاعدة بلاد قشتالة على حمراء غرناطة ومحت دولة بنى الاحمر من جزيرة الاندلس
ولم يبق للمسلمين بها سلطان ، وتفرق أهلها فى بلاد المغرب وغيرها أبادى
سبا ، وقد تقدم الخبر عن ذلك مستوفى .



بناء مدينة تطاوين



قال منويل: « لما استولى الاصبنيول على غرناطة خرج جماعة كبيرة من أهلها
الى المغرب فنزلوا فى مرتيل قرب تطاوين ولما نزلوا به لم يقدموا شيئا على
الوفادة على سلطان فاس محمد الشيخ الوطاسى ، فأجل مقدمهم ورحب
بهم ، فقالوا : ان ضاقتنا عندك أن تعين لنا موصعا نبني فيه بلدا يكننا ونحفظ فيه
عيالنا من أهل الريف ، فأجابهم الى مرادهم وعين لهم مدينة تطاوين الحربة منذ تسعين
سنة وولى عليهم كبيرهم أبا الحسن عليا المنظري ، وكان رجلا شجاعا من كبار
جند ابن الاحمر ، وكان قد أبلى معه فى حرب غرناطة البلاء الحسن ثم انتقل
الى المغرب كما قلنا ، ولما عقد له الشيخ الوطاسى على أصحابه رجع بهم الى
تطاوين وشرع فى بناء أسوار البلد القديم ، فجدهد وبنى المسجد الجامع به
واستوطنه هو وجماعته ، ثم أخذ فى جهاد البرتقال بسبته وبلاد الهبط الى أن

أسر منهم ثلاثة آلاف فاستخدمهم في اتمام ما بقى عليه من بناء تطاوين ،
واتصلت الحرب بينهم وبين برتقال ستة كاتصالها بين أهل آزموور وبرتقال
الجديدة » اهـ .

وقوله ان بناء تطاوين كان عقب أخذ غرناطة مخالف لما يقول
أهل تطاوين من أن تاريخ بنائها رمز : « تفاحة » ، وان ذلك كان باعانة الشريف
أبى الحسن على بن راشد ، فيظهر والله أعلم أن أبا الحسن المنطري كان قد
قدم من الاندلس قبل أخذ غرناطة بسنين يسيرة موافق الرمز المذكور ، والله
أعلم .

قدوم ابي عبد الله ابن الاحمر مخلوعا على السلطان محمد الشيخ الوطاسي
رحمهما الله

لما استولى طائفة الاصنيول على حضرة غرناطة وسائر الاندلس ، انتقل
سلطانها أبو عبد الله ابن الاحمر الى حضرة فاس فاستوطنها تحت كنف
السلطان محمد الشيخ بعد أن خاطبه من انشاء وزيره أبى عبد الله محمد
العربى العقيلي بقصيدة بارعة يقول في صدرها :

مولى الملوك ملوك العرب والعجم	رعيا لما مثله يرعى من الذمم
بك استعجنا ونعم الجار أنت لمن	جار الزمان عليه جور منتقم
حتى غدا ملكه بالرغم مستلبا	وأفطع الخطب ما يأتى على الرغم
حكم من الله حتم لا مرد ليه	وهل مرد احكم منه منحتهم

وهى طويلة . ثم وصلها برسالة يقول فيها بعد الحمد لله والصلاة على
نبيه ما نصه .

« أما بعد فإمولانا ، الذى أولانا من النعم ما أولانا ، لا حظ الله لكم
من العزة ارواقا ، ولا أذى لدوحة دولكم أغصانا ولا أوراقا ، ولا زانت
مخضرة العود ، متسمة عن زهرات البشائر متحفة بشمرات السمود ،
مقطورة بسحاب البركات المتداركات دون يروق ولا رعود ، هذا مقام العائذ

بمقامكم ، المتعلق بأسباب ذمامكم ، المرتجى لمواطف قلوبكم ، وعوارف انامكم ، المقبل الارض تحت أفدامكم ، المتلجلج اللسان عند محاولة مفاتحة كلامكم ، وماذا الذى يقول من وجهه خجل وفؤاده وجل ، وقضيه القضية عن التصل والأعذار تجل ؟ بيد أنى أقول لكم ما أقوله لربى ، واجترأى عليه أكثر واحترأى إليه أكبر ، « اللهم لا برىء فاعتذر ، ولا فوى فأنصر » لكنى مستقيل مسعتب مستغفر ، « وما أبرئى نفسى ، ان النفس لأمانة بالسوء » هذا على طريق التنازل والاتصاف بما تقضيه الحال ممن يتحيز الى حيز الانصاف . وأما على جهة التحقيق ، فأقول ما قاله الام ابنه الصديق : « والله انى لا علم أنى ان أقررت بما يقوله الناس والله يعلم أنى منه بريئة لا قول ما لم يكن ، ولئن أنكرت ما تقولون لاتصدقونى . فأقول ما قاله أبو يوسف : « فصر جميل والله المستعان على ما تصفون » على انى لا أنكر عيوبى فانا معدن العيوب ، ولا أجد ذنوبى فانا جبل الذنوب ، الى الله أشكو عجرى وبجرى ، وسقطاتى ، وغلطاتى . نعم ، كل شىء ولا ما يقوله المتقول المشنع المهول ، الناطق بضم الشيطان المسول ، ومن أمثالهم : « سبنى واصدق ، ولا تفتر ولا تخلق » أفمنلى كان يعمل أمهالها ويحتمل من الاوزار المضاعفة أحمالها ، ويهلك نفسه ويحيط أعمالها ؟ عياذا بالله من خسران الدين وإيثار الجاحدين والمعتدين ، « قد ضللت اذا وما أنا من المهندين » وأيم الله لو علمت شعرة فى فودى تميل الى تلك الجهة لقطعتها ، بل لقطفت ما تحت عمامتى من هامتى وفطقتها ، غير أن الرعاع فى كل أوان أعداء للملك وعليه أحزاب وأتوان ، كان أحق أو أجهل من أبى ثروان ، أو أعقل أو أعلم من اشج بنى مروان « رب متهم بئىء » ، ومسر بل بسر بال وهو منه عرى ، وفى الاحاديث صحيح وسقيم ، ومن التراكيب المنطقية منتج وعقيم ، ولكن ثم ميزان عقل تعتبر به أوزان النقل ، وعلى الراجح الاعتماد ، ثم اسافة الاحقاد المتصل المتماذ وللمرجوح الاطراح ، ثم التزام الصراح ، بعد التفض من الراح ، وأكرر ما تسمعه الكذب ، وطبع جمهور الخلق الامن عصمه الله تعالى اليه منجذب ، ولقد قذفنا من الاباطيل باحجار ، ورمينا بما لايرمى به الكفار ، فضلا عن

الفتجار ، وجرى من الامر المقول على لسان زيد وعمر و ما لديكم منه حفظ الجار ، واذا عظم الالكاء ، فعل تكأة التجلد-الالكاء ، أكثر المكثرون ، وجهد في تثيرنا المتثرون ، ورمونا عن قوس واحدة ، ونظمنونا في سلك الملاحة أكفرا أيضا كفرا ؟ ، غفرا اللهم غفرا ، أعد نظرا يا عبد فليس ، فليس الامر على ما خيل لك ليس ، وهل زدنا على أن طلبنا حقنا . حين رام محقه ومحققا فطاردنا في سبيله عداة كانوا لنا غائطين ، فافتق علينا فق لم يمكننا له رتق ، «وما كنا الغيب حافطين» ، وبعد فاسأل أهل الجبل والعقد والتميز والتقد ، فعند جهيتهم تلقى الخبر يقينا ، وقد رضينا بحكمهم يوئنا فيوبقناه أو يبرئنا فيقينا . ايه يامن اشرب الى ملائنا ، وقح حتى في اسلامنا رويدا رويدا ، فقد وجلت قوة وايدا ، ويحك انما طال لسانك علينا وامتد بالسوء البناء لأن الزمان لنا مضغر ولك مكبر ، والامر عليك مقل وعنا مدير ، كما قاله كاتب الحجاج المتبر : وعلى الجملة فهنا صرنا الى تسليم مقالك بخدلا ، وذهبنا فافقرنا بالخطا في كل ورد وصدر فله در القائل :

«ان كنت أخطأت فما أخطأ القدر» وكأننا بمعتسف اذا وصل الى هنا ، وعدم انصافا يلمه الهاء قد ازور متجانفا ، ثم افتر متجانفا وجعل تمثل بقولهم : «اذا غيروا قالوا : مقادير قدرت» وبقولهم : «المرء يعجزه المحال» فيعارض الحق بالباطل ، والحال بالعاطل ، وينزع بقول القائل «رب يسمع هائل وليس تجته طائل» : وقد فرغنا أول أمس من جوابه ، وتركنا الضغن يلصق حرارة الجوى به ، وسلم الآن بما يوسعه تبكيتا ، ويقطعه تسكيتا ، فنقول له : ناندناك الله تعالى هل اتفق لك قط وعرض خروج أمر ما عن القصد منك فيه . والفرض ، مع اجتهداك أثناء في اصدارك ، وايرادك في وقوعه على وفق افتراء حبيك ، ومرادك ، أو جميع ما تراوله بادارتك لا يقع الا مطابقا لارادتك ، أو كل تقصده وتوبه تحزره كما تشاء وتحويه ؟ فلا بد أن يقر اضطرارنا بان مطلوبه يشذ عنه مرارا ، بل كثيرا ما يفات صيده من أشراكه ، ويطلبه فيعجز عن ادراكه ، فنقول : ومسألنا من هذا القيل : أيها التيه النيل ، ثم تسرد له من الاحاديث التوبة ما شئنا ، مما يسائرنا في لغرضنا منه ويمانيها .

قوله صلى الله عليه وسلم : « كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس »
وفوله أيضا : « لو اجتمع أهل السموات والأرض على أن ينفعوك بشيء لم
يقضه الله لك لم يقدروا عليه ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يقضه الله
عليك لم يقدروا عليه » أو كما قال صلى الله عليه وسلم . فاخلق به أن يلوذ
بأكفاف الاحجام ، ويؤم على نفث فيه كأنما الجم بلجام . حيثنذ نقول له ، والحق
قد أبان وجهه وجلاله وقهره بحجته وعلاه . « ليس لك من
الامر شيء » « قل ان الامر كله لله » ، وفي محاجة آدم
وموسى ما يقطع لسان الخصم ، ويرخص عن أنواب أعراضا ما عسى أن يعلق
بها من درن الوسم ، وكيفما كانت الحال ، وان ساء الرأى والانتحال ووقعنا
فى أوجال وأوحال ، فتل عرشنا وطويت فرشنا ونكس لوانا ، وملك مثنوا فتحن
أمنل من سوانا ، « وما فى الشر خيار » ويد اللطاف تكسر من صولة الاغيار ،
فحتى الآن لم نفقد من اللطيف تعالى لطفا ، ولا عدنا أدوات أدعية تعطف
بلا مهلة على جملتنا المقطوعة جمل النعم الموصولة عطف ، والا فلك بغداد دار
السلام ، ومتبوا الاسلام ، المحفوف بفرسان السيوف والافلام ماثبة الخلافة
انعباسية ، ومقر العلماء والفضلاء أولى السير الاويسية ، والعقول الايسية ،
قد نوزلت بالجيوش ونزلت ، وزوولت بالزخوف وزلزلت ، وتحيف جوانبها
الحيف ، ودخلها كفار التثار عنوة بالسيف ، ولا تسل اذ ذاك عن كيف ،
أيام تجلت عروس المنية ، كاشفة عن ساقها مبدية ، وجرت الدماء فى
الشوارع والطرق كالانهار والاودية ، وقيد الاثمة والقضاة تحت ظلال
السيوف المتناظرة بالمعائم فى رفاهم والاردية ، وللنجيع سيول تخوضها
الخيول فتخضعها الى ارساغها ، وتهم ظماؤها بوردها فتتكلم عن تجربها ومساعها ،
فطاح عاصمها ومستعصمها ، وراح ولم يقد ظالمها ومتظلمها ، وحربست
مساجدها وديارها ، واصطلم بالحسام أشرارها وخيارها ، فلم يبق من جمهور
أهلها عين تطرف ، حسما عرفت أو حسبا تعرف ، فلاتك متشككا منوقا ،
فحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند المؤرخين من قفا ، فأين تلك الجحافل
والآراء المدارة فى المحافل ؟ حين أراد الله تعالى بادالة الكفر لم تجد ولا

قلامة ظفر، اذن من سلمت له نفسه التى هى رأس ماله، وعياله وأطفاله اللذان هما من أعظم آماله ، وكل أو جل أو قل ريشه وأسباب معاشه الكفيلة بانتهاضه واتعاشه ثم وجد مع ذلك سبيلا الى الخلاص فى حال مياسرة ومساهلة دون تعصب واعتياص، بعد ما ظن كل النظم أن لامجيد ولا مناص فما أحقه حينئذ وأولاه أن يحمد خالقه ورازقه ومولاه ، على ما أسداه اليه من رفده وخيره ، ومعافاته مما ابلى به كثير من غيره ، ويرضى بكل ايراد واصدار ، تتصرف فيهما الاحكام الالهية والاقدار ، فالدهر غدار ، والدنيا دار مشحونة بالاكدار والقضاء لا يرد ولا يصد ولا يغالب ولا يطالب، والدوائر تدور، ولا بد من نقص وكمال للبدور ، والعبد مطيع لا مطاع ، وليس يطاع الا المستطاع ، وللخالق القدير جلت قدرته فى خليقته علم غيب للإذهان عن مداه انقطاع، ومالى والتكلف لما لا أحتاج اليه من هذا القول، بن يدي ذى الجلالة والمجادة والفضل والطول، فله من العقل الارجح ومن الخلق الاسجح ما لا تذاط معه تمنى بصفرة ، ولا تنفق عنده وشاية الواشى لاعد من نفره ، ولا فاز قدحه بظفره ، والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب ، وتجر براحتها الى المتاعب ، وقديما للإكياس من الناس خدعت ، وانحرفت عن وصالهم أعقل ما كانوا وقطعت ، وفعلت بهم ما فعلت بيسار الكواعب الذى جبت وجدعت ، ولئن رهصت وهصرت فقد نهبت وبصرت ، ولئن قرعت ومعضت لقد أرشدت ووعظت ، وبأويلنا من تنكرها لنا بكرة ، ورميها لنا فى غمرة أى غمرة ، أيام قلبت لنا ظهر المجن ، وغيم أفقها المصمى وأدجن ، فسرعان ما عاينا جبالها منبته ، ورأينا منها ما لم نحسب كما تقوم الساعة بفته ، فمن استعاذ من شئ فليستعذ مما صرنا اليه من الحور بعد الكور ، ولا انحطاط من التجد الى الغور :

فينا نسوس الناس والامر أمرنا اذا نحن فيهم سوقة تنتصف
 قبا لدنيا لا يدوم نعمها قلب تارات بنا وتصرف
 وأبيها لقد أرهقتنا ارهاقا ، وجرعتنا من صاب الاوصاب كاسا دهاقا ،
 ولم نفزع الى غير بابكم المنيع الجنب المفتوح حين سدت الابواب ، ولم نلبس
 غير لباس نعماكم حين خلعنا ما لبسنا !!لك من الانواب ، والى أمة يلجأ
 (الاستمعا راجع - 9)

الطفل لجأ للهفان، وعند الشدائد تمتاز السيوف من الاجفان ، ووجه الله تعالى يبقى وكل من عليها فان ، والى هنا ينتهى القائل ثم يقول : حسبي هذا وكفان . ولا ريب فى اشتغال العلم الكريم على ما تعارفته الملوك بينها فى الحديث والقديم من الاخذ باليد عند زلة القدم، وقرع الانسان وعض النان من الندم، ديناً ينته مع اختلاف الاديان وعادة اطردت على تعاقب الازمان والاحيان، ولقد عرض علينا صاحب فتالة مواضع معبرة خير فيها ، وأعطى من أمانه المؤكد فيه خطه بأيمانه ما يقنع النفوس ويكفيها ، فلم نر ، ونحن من سلالة الاحمر ، مجاورة الصفر، ولا سوغ لنا الايمان الاقامة بين ظهرائى الكفر، ما وجدنا عن ذلك مندوحة ولوشاسعة، وأما المطالب المشاغب حمة شر لنا لا سعة ، وادكرنا أى اذكار قول الله تعالى المنكر لذلك غاية الانكار: « ألم تكن أرض الله واسعة » وقول الرسول عليه الصلاة والسلام المبالغ فى ذلك بأبلغ الكلام: « أنا برىء من مؤمن مع كافر تترأى ناراهما » وقول الشاعر الحاث على حث المطية المتناقلة عن السير فى طريق منجياتها البطية:

وما أنا والتلدز نحو نجد وقد غصت تهامة بالرجال

ووصلت أيضاً من الشرق الينا كتب كريمة المقاصد لدينا ، تستدعى الانحياز الى تلك الجنبات ، وتتضمن مالا مزيد عليه من الرغبات ، فلم نخسر الا دارنا التى كانت دار آبائنا من قبلنا ، ولم نرتض الانضواء الا لمن يجلبه وصل جبلنا ، وبريش نبله ريش نبلنا ، ادلالا على محل اخاء متوارث لاعت كلاله ، وامتالا لوصاة اجداد لا نظارهم وأقدارهم اصالة وجلاله ، اذ قد رويناه عن سلف من أسلافنا فى الايصاء لمن يخلف بعدهم من أخلافنا : أن لا يتغفوا اذا دهمهم أمر بالحضرة المريئية بدلا ، ولا يجدوا عن طريقها فى التوجه الى فريقها معدلا ، فاخترقنا الى الرياض الاربضة الفجاج ، وركبنا الى البحر الفرات ظهر البحر الاجاج ، فلا غرو أن نرد منه على ما يقر العين ويشفى النفس الشاكية من ألم البين ، ومن توصل هذا التوصل وتوصل بمثل ذلك التوصل تطارحا على سدة أمير المؤمنين ، المحارب للمحاربين ، والمؤمن للمستأمنين ، فهو الخليق الحقيق بأن يسوغ أصفى مشاربه ويلغ أوفى مؤثره على توالى الايام والشهور والسنين ، ويخلص من الشور الى الخبور

ويخرج من الظلمات الى النور خروج الجنين ولعل شعاع سعادته يفيض علينا ونفحة قبول اقباله تسرى الينا فتخامرنا أريجية تحملنا على أن نبادر لانشاد قول الشريف الرضى فى الخليفة القادر .

عطفا أمير المؤمنين فأنسا فى دوحة العلياء لا تتفرق
ما بيننا يوم الفخار تضافوا أبدا كلانا فى المعالى معرق
الا خلافة ميزتك فأنسى أنا عاطل منها وأنت مطوق

لا بل الاخرى بنا والاحبى ، والانجح لسعينا والارجى ، أن نعدل عن هذا المنهاج، ويقوم وافدنا بن يدى علاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف المحتاج وينشد ما قال فى الشيرازى ابن حجاج :

الناس يفدونك اضطرارا منهم وأقديك باختيارى
وبعضهم فى جوار بعض وأنت حتى أموت جارى
فحش اجبى وعش لائى وعش لدارى وأهل دارى

ونستوهم من الوهاب تعالى جلت أسماؤه ، وتعاطمت نعمائه ، رحمة تجعل فى يد الهداية أعتنا وعصمة تكون فى مواقف المخاوف جنتنا ، وقبولا يعطف علينا نوافر القلوب ، وصنعا يسنى لنا كل مرغوب ومطلوب، ونسبالة، وطالما بلغ السائل سؤلا ومأمولا ، متابا صادقا على موضوع الندم محمولا ، ثم عزاء حسنا وصبرا جميلا ، عن أرض أورثها من شاء من عباده مقبلا لهم ومدبلا ، وسادلا عليهم من ستور الاملاء الطويلة سدولا ، «سنة الله التى قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا» فليطر طائر الوسواس المرفرف مطيرا «كل ذلك كان فى الكتاب مسطورا» لم نستطع عن مورده صبدورا ، «وكان أمر الله قدرا مقدورا» ، الا وان لله سبحانه فى مقامكم العالى الذى أيدته وأعانه سرا من النصر يترجم عنه لسان من النصل ، وترجم فروع انبشائر الصداقة بالفتوحات المتلاحقة من قاعدته المتأصلة الى أصله فيمثلته يجب اليباد والعياذ ولشبهه يحق الالتجاء والارتجاء ، ولامر ما أثرناه واخترناه ، بعد أن استرشدنا الله سبحانه واستخرناه ، ومنه جل جلاله

نرغب أن يخير لنا ولجميع المسلمين ، ويأوب بنا من حمايته ووقيته الى
مقل منيع وجناح رفيع . آمين ، آمين ، آمين . ونرجو أن يكون ربنا الذي
هو في جميع الامور حسبنا قد خار لنا حيث أرشدنا وهدانا ، وساقنا نوفيته
وحدانا الى الاستجارة بملك حفي ، كريم وفي ، أعز جارا من أبى دواد ،
وأحمى أنفا من الحرث بن عباد ، يشهد بذلك الداني والقاصي والحاضر
والباد ، ان أغاث ملهوفاً فما الأسود بن قنان يذكر ، وان أنعش حشاشه هالك
فما كعب بن مامة على فعله وحده يشكر ، جلسه كجلس القمعاق بن شور ،
ومذاكره كمذاكر سفيان المنتسب من الرباب الى ثور ، الى النحلي بأمهات
الفضائل التي أضادها أمهات الرذائل وهي الثلاث : الحكمة
والعدل والعفة التي تشملها الثلاثة : الاقوال ، والافعال ، والشمائل ،
وبنشأ عنها ما شئت من عزم وحزم وعلم وحلم ، وتيقظ وتحفظ
وإتقاء وإرتقاء ، وصول وطول وسماح نائل ، فنبور حلاه المشرق
يفتخر المغرب على المشرق ، وبمجده السامي خطره في الاخطار وبينه
الذي ذكره في النباهة والنجاة قد طار ، يباهي جميع ملوك الجهات والاقطار ،
وكيفلاء ، وهو الرفيع المنمى والنجار ، الراضع من الطهارة صفو البان الناسي
من السراوة وسط أحجار في ضئفى المجد وبحبوح الكرم ، وسرواه أسرة
المملكة التي أكتافها حرم ، وذؤابة الشرف التي مجادتها لم ترم ، من معشر أى
معشر بخلوا أن وهبوا ما دون أعمارهم ، وجبنوا ان لم يحموا سوى دمارهم .
بنو مرين ، وما ادراك ما بنو مرين « سم العداة وآفة الجزر » « النازلون بكل
معترك » والطيون معاهد الازر ، لهم عن الهفوات انتفاء ، وعندهم من السير
النبوية اكتفاء انتسبوا الى بر بن قيس ، فخرجوا في البر عن القيس ، مالههم
القديم المعروف فد نفد في سبيل المعروف ، وحديثهم الذي نقلته رجال
الزحوف من طريق القنا والسيوف على الحسن من المقاصد موقبوف ،
تحمد من صغيرهم وكبيرهم ، ذابلهم ولدنهم فله آباء أنجيهم ، وأمهات
ولدنهم ، « شم الانوف من الطراز الاول » اليهم في الشدائد الاستناد ،
وعليهم في الازمات المعول ، ولهم في الوفاء والصفاء والاحتفاء والعناية

والحماية والرعاية الخطو الواسع والباع الاطول ، كأنما عناهم بقوله جرول:
 أولئك قوم ان بنو أحسنوا البنا وان عاهدوا وفوا وان عقدواشدوا
 وان كانت النعماء فيهم جزوا بها وان أنعموا لاكدروها ولا كدوا
 وتعذلنى أبناء سعد عليهم — وما قلت الا بالذى علمت سعد
 وبقول الوثيق مبناه البليغ معناه :

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوفه الكريا
 يزحجون عن النزيل كل نازح قاصم ، وليس له منهم عائب ولا واصم ،
 فهو أحق بما قاله فى منقر قيس بن عاصم :

لا يفظنون لعب جارهم وهم لحفظ جوارهم فطن
 حلاهم هذه الغريزة التى ليست باستكراه ولا جعل ، وأمر المؤمنين دام
 نصره قسيمهم فيها حذو النعل بالنعل ، ثم هو عليهم وعلى من سواهم بالوصاف
 المملوكية مستعل ، ارفض مزنيهم منه عن غيث ملث يمحو آثار اللزبة ، وانشق
 غيلهم منه عن ليث ضار منقبض على برائه للوثبة ، ققل لسكان الفلا : لا
 تغرنكم أعدادكم وأمدادكم فلا يالى السرحان المواشى سواء مشى اليها النقر. أو
 الجفلى بل يصدّمهم صدمة تحطم منهم كل عرينين ، ثم يتلع بعد أشلاءهم للعفرة ابتلاع
 الننين ، فهو هو كما عرفوه وعهدوه وألفوه ، وأخو المنايا « وابن جلا وطلاع
 الناياء » مجتمع أشده ، قد احتكت سنه وبان رشده ، جاد مجده ، محتزم
 بحزام الحزم مشمر عن ساعد الجد .

لا يشرب الماء الا من فليب دم ولا يبيت له جار على وجل
 اسدى القلب آدمى الروا ، لابس جلد النمر يزنى العناد والنوى ،
 وليس بشارى عليه دمامة اذا ما سعى يسعى بقوس وأسمهم
 ولكنه يسعى عليه مفاضة دلاص كاعيان الجراد المنظم
 فالنجاه النجاه سامعين له طائمين ، والوجل الوجل لا حقين به خاضعين قبل أن
 تساقوا اليه مقرنين فى الاصفاد ، ويعبى الفداء بنفائس النفوس والاموال
 على الفاد ، حينئذ يعض ذو الجهل والقدامة على يديه حسرة وتندامة ، اذا
 رأى أبطال الجنود تحت خوافق الرايات. والبنود ، قد لفحتهم نار ليست

بذات خمود، وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم عاد وتمود، زعقات
تؤز الكتائب أزا وهمزا، محققا للخيال بعد المد المشع للاعنة همزا، وسلا
للهندية سلا وهزا للخطية هزا، حتى يقول النسر للذئب: «هل تحس منهم من
أحد أو تسمع لهم ركزا»: «ثق خليفة الله بذاك في كل من رام أذى رعيك
أو أذاك، فلك عادة الله سبحانه في ذوى الشقاق والتفاق، الذين يشقون
عصا المسلمين ويقطعون طريق الرفاق، وينصبون حبال البنى والفساد في
جميع النواحي والآفاق، فلن يجعلهم الله عز وجل من الأمنين، أنسى
وكيف وقد أفسدوا وخانوا وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين» و«ولا يهدى
كيد الخائنين» وها نحن قد وجهنا الى كعبة مجدكم وجوه صلوات التقديس
والتعظيم، بعد ما زينا معاطفها باستعطافكم بدر ثناء أبهى من در العقد النظيم
منتظمين في سلك أوليائكم، مشرفين بخدمة عليائكم، ولا فقد عزة ولا عدمها
من قصد مثابكم العزيزة وخدمها، وان الترامى على سنائك لجدير بحرمتكم
واعنائكم، وكل ملهوف نبأ من كنفكم حصنا حصينا عاش بقية عمره
محروسا من الضم مصونا، وقد قيل في بعض الكلام: «من قعدت به نكايه الايام
أقامته اغاثة الكرام»، ومولانا أيدى الله تعالى ولى ما يرفه الينا من مكرمة بكر،
ويصنع لنا من صنيع حافل يخلد في صحائف حسن الذكر، وبروى معنعن
حديث حمده وشكره طرس عن قلم عن بنان عن لسان عن فكر، وغيره من
بنام عن ذلك فيوقف، ويسترسل مع الغفلة حتى يذكر ويوعظ، وما عهد منذ
وجد الا سريعا الى داعي الندى والتكرم بريئا من الضجر بالمطالبة والتبرم،
حافظا للجار الذى أوضى النبى صلى الله عليه وسلم بحفظه، مستفرغا وسعه
في رعيه المستمر ولحظه، آخذا من حسن الثناء في جميع الاوقات والآناء
بحظه.

فهو من دوحة السنا فرع عز	ليس يحتاج مجتنبه لهـ
كفه في الامحال أغزر وبـل	وذره في الجوف أمنع حرز
حلمه يسفر اسمه لك عنه	فنفهم يا مدعى الفهم لغزى
لا تسله شيئا ولا تستلنه	نظرة منه فيك تعنى وتجزى

فنداه هو الفرات الذى فسد عام فيه الانعام عوم الاوز
 وحماه هو المتبع الذى نسر جع عنه الخطوب مرجع عجز
 فدعوا ذهه يزاول قسوى فهو أدرى بما تضمن رمزى
 دام يحيى بكل صنع وممن ويعافى من كل بوس ورجز

وكانا به فد عمل على شاكلة جلاله من مد ظلاله وتمهيد خلالاه وتلقى
 ورودنا بتهلله واستهللاه وتأنيسنا بجميل قبوله وأقباله وإيرادنا على حوض
 كونه المترع بزالاه والله سبحانه يسعد مقامه العلى ويسعدنا به فى بحله
 وأرتحالاه وماتله وحاله ويؤيد جنده المطفر ويؤيدنا بتأييده على نزال عدوه
 واستنزاه وهز الذوابل لاطفاء ذباله وهو سبحانه وتعالى المسؤول أن يريه
 قرة العين فى نفسه وأهله وخدامه وأمواله وأنظاره وأعماله وكافة شؤنه
 وأحواله وأحق ما نصل بالسلام وأولى على المقام الجليل مقام الخليفة
 المولى وأزكى الصلاة والسلام على خاتمة أنبيائه وإرساله سيدنا ومولانا
 محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أصحابه وآله صلاة وسلاما دائمين
 أبدا موصولين بدوام الابد واتصاله ضامين لجدهما ومرددهما صلاح
 فساد أعماله وبلوغ غاية آماله وذلك بمشيئة الله تعالى وإذنه وفضله وإفضاله:
 انتهت الرسالة وما كادت .

ووصل السلطان ابن الأحمر المخلوع بعد نزوله بميلية الى مدينة فاس
 بأهله وأولاده معتذرا عما أسلفه متلهفا على ما خلفه وبنى بفاس بعض
 قصور على طريق بنان الاندلس وتوفى بها سنة أربعين وتسعمائة ودفن
 بأزاء المصلى خارج باب الشريعة وخلف ذرية من بعده قال فى «نشر المائتين»:
 «انقرضوا ولم يبق منهم أحد» . وزعم منويل أنه هلك فى وقعة أبى عقبة ففسى
 حرب الوطاسيين مع السعديين قال : « ولم يحسن هذا الرجل أن يدفع عن
 ملكه فدفع عن ملك غيره »

استيلاء البرتقال على ساحل البريجة وبنائهم مدينة الجديدة صالحها الله سبحانه وتعالى ببنه



قال مؤلفه عفا الله عنه : قد وقعت لبعض البرتغاليين واسمه لويـز مارية على تأليف فى أخبار الجديدة من لدن بنوها الى أن انتزعها المسلمون منهم فاقطعت منه ما أثبتته فى هذه الترجمة . قال هذا المؤلف : لما كانت سنة ألف وخمسمائة واثنين مسيحية قلت : ويوافقها من تاريخ الهجرة سنة سبع وتسعمائة تقريبا بعث سلطان البرتقال ، واسمه منويل ، من دالر ملكه اشبونة عمارة فى البحر للاستيلاء على بعض ثغور المغرب فالتجأهم هيجان البحر وموجه الى ساحل البريجة فيما بين آزموـر وتيط ، وكانت البريجة على ما يفهم من كلامه بناء متخذاً هنالك للحراسة ونحوها كان يسمى برج الشيخ ولا زال مسمى بهذا الاسم الى الآن ، فأرسل البرتقاليون على الساحل المذكور ونزلت طائفة منهم الى البر فتطوفوا بالبريجة وما حولها وأعجبهم المـكان فعزموا على المقام به ، واتفق رأيهم أن يتركوا جماعة هنالك يحفظون المحل ويرجع باقيهم الى ملكهم ليستأذنوه فيما عزموا عليه ، فتركوا اثني عشر رجلاً بالبريجة بعد أن حصنوها وشحنوها بما يحتاجون اليه من عدة وقوت ونحوهما ورجع الباقون الى الملك فآخبروه بشأنهم ، فأذن لهم وبعث معهم جماعة من البنائين والعملة لبنوا لهم ما يتحصنون به ، فقدموا على اخوانهم وشرعوا فى ادارة السور على قطعة من الارض ، فندز بهم أهل تلك البلاد من المسلمين وتسابقوا اليهم على الصعب والذلول ففر النصارى الى البريجة وتحصنوا بها وأفسد المسلمون كل ما كانوا عملوه فى ملك الايام وأحجروهم بحصنهم ، ووضعوا عليهم الرصد الى أن فتر عزمهم وأيسوا من نجاح سعيهم ، فعاد جلهم أو كلهم الى أشبونة وأعادوا الكلام على ملكهم منويل فى شأن البريجة ووصفوا له حسن البقعة وصحة هوائها ومنزلتها من البحر ، ومن قبائل أهل المغرب من أهل تامسنا ودكالة وغيرهم ، وأنها عسى أن تكون سلماً للاستيلاء على غيرها

من بلاد المغرب، لا سيما ودولة المسلمين به يومئذ قد تلاشت وملكهم قد ضعف، فوفر ذلك في نفس الملك واستأنف العزم، وبعث معهم حصّة من العسكر تحصل بها الكفاية وتأتى بها المدافعة والممانعة مع جماعة وافرة من البنّائين والمهندسين، وحملهم ما يحتاجون اليه من آلة وغيرها، فأتوها الى الموضع المذكور بعد سبع سنين من مقدمهم الاول، وتخبنوا غفلة أهل البلاد وشرعوا في بناء حصن مربع على كل ربع منه برج وثيق، وبدأوا في العمل ليلا ونهارا فلم تمض مدة يسيرة حتى فرغوا منه وامتنعوا على المسلمين به. وكان انشاؤهم لهذا الحصن على البريجة القديمة بان جعلوها أحد أرباعه وأضافوا اليها ثلاثة أرباع آخر، وأداروا السور على الجميع، واتخذوا في داخل هذا الحصن مابجلا عظيما لتخزن الماء، وهو النطفية في لسان الجبل، بنوه مربعا بتريع الحصن، مساحة كل ربع منه مائة وثلاثون شبرا وجوانبه وقبوه من حجر النصف العجيب تحت المحكم الوضع والائتام، محمولاً ذلك القبو على ستة أقواس في كل ربع. قال هذا المؤلف: وامتلاء نحو بلكظة من هذا الماكن يسع عشرين بوظة من الماء، ثم شيدوا على أحد أرباع هذا الحصن طريا عظيما مرتفعا جدا، ليس صادق الترييع ولا الاستدارة غير مهندس الشكل، ثم بنوا في أعلاه على أحد جوانبه بناء آخر لطيفا مستديرا صاعدا في الجوير في اليه على مدارج لطيفة، وجعلوا في أعلاه صاريا خارجا من جوفه، وناقوسا للحراسة يشرف الحارس منه على نحو خمسة وعشرين ميلا من سائر جهاته. وجميع هذه البنآت التي ذكرها المؤلف من الحصن وما معه لا زالت قائمة العين والاثر الى الان الا الطرى فانه قد اتخذ في هذه الايام التي هي سنة سبع وتسعين ومائتين وألف مناراً للمسجد الجامع، وذلك أن عامل الجديدة في هذا العصر، وهو الرئيس الفاظل أبو عبد الله محمد بن ادريس الجراي حفظه الله، استأذن الخليفة، وهو السلطان الاعظم المولى الشريف أبو علي الحسن بن محمد العلوي نصره الله، في جعله مناراً لكون المنار القديم قصيرا لا يسمع الناس الاذان، فأذن أعزه الله في ذلك، وهذا العامل اليوم جاد في اصلاحه والزيادة فيه وقد أشرف على النمام، وكذلك

استاذن هذا العامل حضرة السلطان المذكور فى ادارة جدار من داخل سور المدينة يكون سنرة على منازل أهلها ويوتهم ، لان السور المذكور كان مرتفعا على البلد بحيث يكون الصاعد عليه متكشفا على البيوت ، واستأذنه فى اصلاح القبة المشرفة على البحر المعروفة بقبة الخياطين ، وكانت قد تلاشت ، وباتخاذ سجن متسع محكم عن يمين الداخل من باب المدينة المذكورة لانه لم يكن بهاسجن مغبر ، فاجابه الخليفة المذكور الى ذلك كله ادام الله علاه . وقد تم جل ذلك وعادت القبة الى أحسن حالاتها التى كانت عليها أيام البرتقال والله لا يضع أجر من أحسن عملا .

ولترجع الى موضوعنا الذى كنا فيه فنقول : ثم شرع نصارى البرتقال بعد الفراغ من الحصن المذكور فى ادارة سور المدينة على أوثني وجه وأحكمه وذلك انهم عمدوا الى بقعة مربعة من الارض مساحة كل ربع منها ثلاثمائة وخمس وسبعون خطوة ، وجعلوا مركزها الحصن المذكور ثم أداروا بهاس سورين عاديين تثنى الخارج منها نحو خمسة عشر شبرا ، والداخل على نحو الثلاثين منه ، وبينهما فضاء مردوم بالتراب والحجارة الصغيرة ، فصار السوران بذلك سورا واحدا سعته خمسون شبرا ، وهذا فى غير الربع الموالى للبحر ، أما هو فليس فيه ردم وانما هو سور واحد مصمت أضيق مما عداه بسيرا وارتفاع هذه الاسوار من داخل البلد نحو ستين شبرا ومن خارجه نحو السبعين . ثم أداروا خارج السور خندقا فسيحا وجعلوا عمقه أربعة عشر شبرا بحيث بلغوا به الماء واذا فاض البحر ملا ما بين جوانبه . واتخذوا للمدينة ثلاثة أبواب أحدها للبحر وهو باب المرسى ، وقد سد بالبناء فى هذه السنين ، واثنان للبر وجعلوا أمامهما قنطرتين بالعمل الهندسى بحيث ترفعان وتوضعان وقت الحاجة الى ذلك ، فصارت المدينة بهذا كله فى غاية المناعة .

وكان بنو وطاس فى هذه المدة أشغل من ذات التحين مع برتقال ستة وبنجة وسائر بلاد الهبط ، فلذا تأتى لهؤلاء النصارى أن يفعلوا ما فعلوه فى هذه المدة اليسيرة ، وجعلوا داخل المدينة خمس حارات وسموا كل حارة باسم كبير من قدمائهم على عادتهم فى ذلك ، واتخذوا بها أربع كنائس ،

واتخذوا المخازن والأهراء للاختزان وسائر المرافق ومن جعلتها هرى كان يسع ستمائة فنيكة من الحب وأوطنوها بأهلهم وعيالهم ، وكان فيها جماعة من أشرفهم وذوى بيوتاتهم من أهل أشبونة وغبرها ، وكانوا يعدون فيها أربعة آلاف نفس ما بين المقاتلة والعيال والذرية ، وكانوا يأملون الاستيلاء منها على مراكش فضيب الله رجاءهم ، ثم ذكر هذا المؤلف ما كان يقع بين المسلمين ونصارى الجديدة من الحروب والغارات مما لعلنا نشير الى بعضه فى محله ان شاء الله .



استيلاء البرتقال على سواحل السوس وبنائهم حصن فوتى قرب أكادير وما قبل فى ذلك



ذكر بعض المؤرخين من الفرنج أن استيلاء البرتقال على أكادير كان فى مدة ملكهم منويل المذكور آنفاً وان ذلك كان على حين غفلة من أهل تلك البلاد .

قال منويل : « لما علم طاغية البرتقال منويل أن مرسى أكادير جيدة لمناعتها وكثرة تجارتها بسبب مجاورتها لقبائل السوس أراد الاستيلاء عليها وكان يظن أن ذلك لا يتأتى له لخصائصها وكثرة القبائل المجاورين لها ، ثم خاطر وبعث إليها جيشاً فاستولوا عليها على حين غفلة من أهلها وحصنوها وبنوا بها دوراً وبرجاً جيداً وأخذوا فى التجارة بها مع أهل السوس ، وكثرت أرباحهم . ثم لما ضعفت شوكتهم خرجوا عنها وعن أسفى وآزمور ، قلت مراده بأكادير حصن فوتى القريب منه ، والا فأكادير إنما بنى بعد هذا التاريخ بكثير كما سيأتى . ثم مقتضى ما ذكره أن يكون زمان استيلائهم عليه موافقاً أو قريباً لزمان استيلائهم على البريجة ، ومقتضى ما نقله فى « النزهة » عن ابن القاضى أن يكون استيلائهم عليه فى حدود سنة خمس وسبعين وثمانمائة فانه لما وصف حال السلطان محمد الشيخ السعدى الآتى ذكره ان شاء الله

قال : « وكان له بخت عظيم فى الجهاد فتح حصن النصارى بسوس بعد أن أقاموا به اثنتين وسبعين سنة » ١٥ . وكان فتحه إياه فى حدود سبع وأربعين وتسعمائة ، والظاهر أنهم استولوا على بعض حصون السوس فى التاريخ الاول وعلى بعضها فى الثانى ، والله أعلم .

¶

وفاة السلطان محمد الشيخ الوطاسى رحمه الله

رحمه الله

ذكر ابن القاضى فى « الجذوة » : « أن وفاة السلطان المذكور كانت سنة عشر وتسعمائة » قال : « ومن حملة وزرائه أخوه الناصر بن أبى زكرياء » والله أعلم . وولى الامر من بعده ابنه محمد البرتقالى على ما نذكره .

¶

الخبر عن دولة السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسى

المعروف بالبرتقالى رحمه الله

رحمه الله

لما توفى السلطان محمد الشيخ بوع ابنه محمد البرتقالى فى التاريخ المتقدم وكان نصارى سبنة وطنجة وآصلا قد استحوذوا على بلاد الهبط وضائقوا المسلمين بها حتى الجأهم إلى قصر كتامة ، فكان هو الثغر يومئذ بين بلاد المسلمين وبلاد النصارى كما مر ، وكان السلطان محمد هذا قد عنى بجهادهم وترديد الغزو اليهم والإجلاب عليهم حتى شغل بذلك عن البلاد المراكشية وسواحلها ، فكان ذلك سببا لظهور الدولة السعيدية بها سنة خمس عشرة وتسعمائة على ما نذكره ان شاء الله .

استيلاء البرتقال على ثغر آسفى حرسه الله



قال منويل : « كان البرتقال قد تشوفوا للاستيلاء على آسفى ، وكان أهلها فيهم شجاعة أكثر من غيرهم من أهل الثغر ، فرحفوا اليها وجرى بينهم وبين أهلها قتال شديد هلك فيه عدد كبير من البرتقال ، وعظم عليهم أن تمتنع منهم بلدة صغيرة ليس لها حامية سوى أهلها ، ثم طاولوها بالحصار حتى قل القوت عند أهل آسفى وأشرفوا على الهلاك ، فحينئذ شارطوا البرتقال وأسلموها اليهم على الامان . فاستولوا عليها وحصنوها غاية لتوقعهم كربة المسلمين عليهم ، فكان كذلك فانهم زحفوا اليهم بعد ثلاث سنين من أخذها ووقع بينهم وبين البرتقال حرب شديدة ، كانت صفوف المسلمين تترادف فيها كأمواج البحر ، وقتل قواد عسكر البرتقال وكبارهم ، ثم قدمت عليهم شكوا دره من مادرة بالسكرو والزاد فقويت نفوس البرتقال وارتحل المسلمون عنها بعد أن أشرفوا على الفتح ، وتبعهم البرتقال ليتنهزوا فيهم الفرصة فكر المسلمون عليهم واستلبوهم . وهذا أول حصار كان على آسفى .

ثم بعد سنين قلائل زحف المسلمون اليها أيضا ومعهم عدد من المدافع ، وقتلوا قتالا صعبا وزحفوا الى السور فهدموا منه ثلثة كبيرة واشتد القتال عليها بما خرج عن العادة ، ثم رحل المسلمون من غير فتح وأعرضوا عنها مدة لم يحدثوا أنفسهم بالقتال ، وعمرت آسفى بالنصارى وانتقل اليها التجار وبنوا بها الدور ، وكانوا يسقون منها الحب ويحملونه فى السفن الى بلادهم ، ولعل ذلك لهدنة كانت لهم مع المسلمين .

ثم عادت للمسلمين بعد نحو ثلاث وعشرين سنة وقال الشيخ أبو عبد الله محمد العربى الفاسى فى «مرآة المحاسن» ما نصه : «قرأت بخط شيخنا أبى عبد الله القصار أن صاحب آسفى أخرج الشيخ أبا عبد الله محمد بن سليمان الجزولى منها فدعا عليهم ، فسئل منه العفو ، فقال : «أربعين سنة» فأخذها النصارى بعدها « اه . وهذا يقتضى ان استيلاءهم عليها كان فى حدود عشر وتسعمائة ،

لان وفاة الشيخ الجزولى رحمه الله كانت فى سنة سبعين وثمانمائة كما مر .
وعند الفرنج ما يقتضى أن استيلاءهم عليها كان بعد ذلك بستين أو ثلاث .
والله أعلم .

iii

زحف السلطان ابى عبد الله البرتقالى الى آصिला



قال منويل : « لما أفضى الامر الى السلطان محمد بن محمد الشيخ
الوطاسى أراد أن يأخذ بئاره من البرتقال الذين أسروه لسبع سنين ،
فزحف الى آصिला فى حدود أربع عشرة وتسعمائة وحاصرها وطلال قتاله
عليها ثم افتحمها المسلمون عليهم اقتحاما واقتلوا فى وسط الازفة والاسواق يومين
ثم جاء المدد الى البرتقال من طنجة وجبل طارق فقويت نفوسهم وخسرج
المسلمون عنهم ، لكن ما خرجوا حتى هدموها وأحرقوها ولم يتركوا لهم
بها الا الخربات ، ثم جد البرتقال فى اصلاحها وأقاموا بها برهة من الدهر الى
أن رجعت للمسلمين » .



استيلاء البرتقال على ثغر آزمور حرسه الله



قال منويل : « بعث طاغية البرتقال أربع عشرة وتسعمائة الى ثغر
آزمور شكوا دره فيها ألفان من العسكر وأربعمائة خيالة ، فدافعهم زيان
الوطاسى ابن عم السلطان ، ونشبت مراكب البرتقال فى الساحل ، وتكسر
جلها وعاث فيها المسلمون ، ورجع الباقي مفلولا . ثم بعد أربع سنين بعث اليها
الطاغية منويل شكوا دره فيها عشرون ألفا من العسكر وألفان وتسعمائة خيالة
فاتتهوا الى آزمور وحاصروها بحرا وزحفوا اليها من الجديدة برا ، ووقع حرب
شديدة بينهم وبين أهل آزمور وأهل البادية . ثم انهزم المسلمون وخرجوا

من باب تركه لهم البرتقال قصدا « قال : « لانه يقال فى المثل : الفار منك فى الحرب اجعل له قنطرة من فضة يعبر عليها » .

وقال فى «الزهوة» : «كان نزول النصارى بآزمور سنة أربع عشرة وتسعمائة « قال : « وفى هذه السنة بنى النصارى حجر باديس . وفى أواخر المحرم منها أخذ النصارى - يعنى الاصنيول - مدينة وهران ونكبوا أهلها ، فما منهم الا أسير أو قتل الى أن أعادها الله للإسلام على يد الاتراك فى حدود العشرين ومائة وألف « اه .

قلت : أهل آزمور يزعمون أن استيلاء البرتقال على مدينتهم كان متكررا وسيأتى ما يفهم منه ذلك والله أعلم .

ومن أخبار السلطان أبى عبد الله ما وقعت عليه فى تاريخ البرتقالين من أن السلطان المذكور كتب لطايعتهم منويل يطلب منه أن يتقدم بالوصاية لأصحاب قراصينه البحرية أن لا يتعرضوا لمركبين له كان قد عزم على بنهم الى الجزائر ثم منها الى تونس . وكان الطاغية لم يجه أو أبطل بالجواب ، فكرر اليه الكتاب ثانيا فى القضية المذكورة ، وسرد هذا المؤرخ نص الكتابين معا مترجمين بلغته ، وذكر أن تاريخ الاول منهما الثالث والعشرون من جمدى سنة عشرين وتسعمائة ، وتاريخ الثانى الثامن والعشرون من ذى القعدة من السنة . اه .



استيلاء البرتقال على ثغر المعمورة لأمره الله



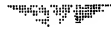
قال فى «نشر المائى» : «ان الذى اختط حصن المعمورة هو المهدي الشيعى على يد بعض عماله ، وزعم بعض الفرنج أن المعمورة من بناء يعقوب المنصور الموحدى « قال : « ولما كان زمن منويل البرتقالى بلغه أن مينا المعمورة جيدة ، وبلادها نفاعا ، فبعث اليها طائفة من جنده ، فوصلوا الى ساحلها ونزلوا فى البر المقابل لها ونوا هناك برجاً لحصارها ، ثم أردفهم ملكهم المذكور

بعمارة تشتمل على مائتي مركب مشحونة بثمانية آلاف من المقاتلة » قال :
 « وكان خروج هذه العمارة من مدينة اشبونة في اليوم الثالث عشر من يونيه
 العجمي سنة ألف وخمسمائة وخمس عشرة مسيحية ، قلت : يوافقها من
 تاريخ الهجرة تقريبا سنة احدى وعشرين وتسعمائة ، فوافقت مينا المعمورة
 في الثالث والعشرين من يونيه المذكور وحاصروها وألحوا عليها بالقتال أياما
 وبلغ الخبر بذلك الى السلطان أبي عبد الله البرتغالي فبعث أخاه الناصر
 صريخا في جيش كفيف ، فوصل سادس اغشت من السنة المذكورة ، وقاتل
 البرتغال قتالا شديدا . وهزمهم هزيمة قبيحة ، ثم كانت لهم الكرة على المسلمين
 فهزموهم واستولوا على المعمورة وثبت قدمهم بها وحصنوها بالسور الموجودة
 بها الان واستمروا بها نحو خمس سنين ثم استرجعها المسلمون منهم في دولة
 السلطان المذكور والله تعالى أعلم ، وفي السنة التي استولوا على المعمورة رجعوا الى
 موضع مدينة آفني فشرعوا في بنائها ، ومن يومئذ سميت الدار البيضاء ، وبقوا
 بها مدة طويلة الى زمن السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل على ما زعم منويل -



اخبار السلطان ابي عبد الله البرتغالي مع الشيخ ابي محمد الغزواني

رضى الله عنه



أصل الشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني دفين حومة القصور من
 مراكش من غزوان ، قبيلة من عرب تامسنا ، وكان في ابتداء أمره يقرأ
 العلم بمدرسة الوادي من عودة الاندلس بفاس ، فحصل له ارادة فسافر
 الى مراكش ولازم الشيخ التابع وتخرج به . ثم انتقل الى بلاد الهبط فنزل
 بها على قبيلة يقال لهم بنو فنكار ، واجتمع عليه الناس واشتهر أمره ، وعظم
 صيته ، فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله وكان يومئذ ببلاد الهبط قد خرج
 اليها بقصد الغارة على نصارى آصيلا ، وكان معه في هذه الحركة الشيخ أبو عبد

الله محمد بن غازى - الامام المشهور - ، فتوهم السلطان المذكور من أمر الشيخ الغزوانى وخشى على الدولة عاقبة أمره ، وأغراه به مع ذلك الفقيه ابن عبد الكبير البادسى السفينى الأصل . وكان هذا الفقيه يصحب السوالة والعمال ويخرج فى بعوثهم قاضيا ، فكثرت سعايته بالشيخ حتى وفر ذلك فى نفس السلطان فبعث اليه فحضر وأمر بالقبض عليه بالموضع المعروف بتاجناوت ، وجعله فى سلسلة وبعث به الى فاس ، وتقدم فى شأنه الى ابن شقرون صاحب شرطه بقصبة فاس القديم ، وكان الشيخ ابن غازى قد مرض فى هذه الغزوة وأمر السلطان بحمله الى منزله من فاس ، فلما وصل الى قرب عقبة المساجين اسد به الحال وأمر أصحابه أن يريحوا به هنالك ، فبينما هو كذلك اذ مر به الشيخ الغزوانى فى سلسلته فسأل الموكلين به أن يعوجوا به على الشيخ ابن غازى كى يعود ويؤدى حقه ، فلما وقف عليه طلب ابن غازى منه الدعاء فدعا له بخير وانصرف ، فلما غاب عنه قال ابن غازى لأصحابه : « احفظوا وصيتى فانى راحل عنكم الى الله تعالى بلا شك » قالوا له ياسيدى : « ما عندك بأس » فقال : « ان الله وعدنى أن لا يقبض روحى حتى يرى وليا من أوليائه » وقد أرايه الساعة فدلنى ذلك على انقضاء الاجل » فحملوه من حينه الى منزله فكان آخر العهد به . هكذا ساق هذا الخبر صاحب « للدوحة » فى ترجمتى الشيخين المذكورين .

وكانت وفاة ابن غازى أواخر جمادى الاولى سنة تسع عشرة وتسعمائة وقال صاحب « المرآة » عن بعض شيوخه بعد أن ذكر سعاية ابن عبد الكبير بالشيخ الغزوانى ما نصه : « فحرك الشيخ الغزوانى لزيارة ضريح الشيخ أبى سلهم فعرض له العروسى قائد القصر الكبير وناولته كتاب السلطان يأمره فيه بتقديم الشيخ الى فاس دار الملك اذ ذاك ، فقال له الشيخ : « طاعة السلطان واجبة » وقال للزائرين معه : « بلغت النية » فتوجه الشيخ الى فاس من ذلك المكان وكلما بات فى منزل ذهب جماعة من الذين معه فلم يصل معه الا القليل . وكان الشيخ أبو البقاء عبد الوارث البالصوتى اذ ذاك ساكنا بفاس ، ولم يكن صحب الشيخ قبل ذلك ، فلما دخل الشيخ حضرة فاس لقيه أبو البقاء المذكور فلمسلم (الاستمعا رابع 10)

عليه ، فشد الشيخ يده على يده فلم يرسلها حتى عاهده على الرجوع ، فلم يأنفصل عنه اشترى خبزا وغنبا وحمل ذلك الى الشيخ وأصحابه فوجدهم عند القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله اليفرنى المكناسى ، وهو مؤلف « المجالس المكناسية » ، فوجدهم فى المسجد القريب من دار القاضي المذكور بدرب السعود ، فناولهم ما معه ووجد الشيخ موكلا به وأصحابه يدخلون ويخرجون . ثم دخل القاضي على الشيخ بالمسجد فقال له : « ما هذا الذى يذكر عنك ؟ » قال أبو البقاء : « فتكلمت أنا وقلت : ان هذا الرجل قد نزل بلدا عظيمة المناكر وأخذت أعداء مناكرها ، وصار هذا السيد ينهائم عن ذلك ، فهدى الله على يده من هدى وشئت من أبي » فقام القاضي وركب الى دار السلطان ، ثم رجع الى منزله فبات ومن الغد ركب الى دار السلطان أيضا ومعه الشيخ الغزوانى ، فلما اطمان بهم مجلس السلطان وكان فيه صاحب تازا ، وهو أبو العباس أحمد ابن الشيخ أخو السلطان المذكور ، سكت الجميع وتكلم كاتب السلطان وامام صلاته . قال صاحب « المرأة » : « ولم يسم لنا » . فقال للشيخ : « ما هذا الذى يذكر عنك ؟ » فقال له الشيخ : « أنت لا تتكلم حتى تتغسل من جنباتك فاستشاط الكاتب غضبا ، فقال له أخو السلطان : « هؤلاء القوم يعنون الجناية غير ما تعنيه العامة » - يشير الى ما فى الحكم - فقال له السلطان : « من أين تعرف هذا؟ » فقال له : « من سيدى محمد بن عبد الرحيم بن ينجيش » ففرح السلطان بمعرفة أخيه ذلك وقال للشيخ : « نحن نريد قربك وأن تكون معنا فى هذه المدينة » فقال له : « على بركة الله » فانتقل الى فاس القديم وبنى خارج باب القليعة داخل باب الفتوح وأقام هنالك ما شاء الله ، قيل سبع سنين الى أن كانت سنة تعذر فيها المطر وأخذ الناس فى استخراج السواقي للحرث فأخرج الشيخ من وادى اللبن ساقية لم يكن فى سواقي السلطان وغيره مثلها ، فبعث اليه أخوه السلطان ، وهو الناصر . الملقب بالكديد بالكاف المعقودة والدال المشددة على لغة العامة ، وقال له : « نحن أحق بتلك الساقية » فقال له الشيخ : « خذها » وأخذ فى الرحيل الى مراكش ولما توجه لتلقاها أخذ خفيفه فى يده وجعل يشير به من جهة فاس الى جهة مراكش ويقول :

«أيا يأسلطنة الى مراكش» ، قال صاحب المراجعة : « هذا حديث شيخنا أبي عبد الله النيجي » قال « وآخيف معروف وهو نوع من البرانس السود ومعنى أيا بلغة عامة المغرب : سيري معي » : وموضع بني فنكار أظنه تاصروت فإن بها رسما منسوباً إليه الى الآن ، وانه منزله الذي كان يأوي إليه ، وما زالت آثاره هنالك ، والدار التي بنى باب القليعة هي المتصورة الى تليمة الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الهروي المعروف بالطالب ، ولعل سنة اخراج السواقى هي سنة ست وعشرين وتسعمائة ، فانه قد تعذر فيها المطر وحدث الغلاء الكبير المؤرخ بسنة سبع وعشرين وتسعمائة ، وكأنه أشار الى انتقال السلطنة عن بني وطاس ملوك فاس الى الشرفاء السعديين ملوك مراكش يومئذ والله أعلم .



نهوض السلطان أبي عبد الله البرتقالي الى مراكش ومحاصرته أبا العباس الاعرج السعدي بها



قد تقدم لنا أن ظهور الدولة السعدية ببلاد السوس كان في سنة خمس عشرة وتسعمائة ، وما زال أمرهم في الزيادة الى أن كانت دولة أبي العباس الاعرج منهم ، فاستفحل أمره وبعد صيته ، وفك بنصاري السوس فكاتبه أمراء هنتاة أصحاب مراكش ودخلوا في طاعته ، فانتقل اليها وملكها في حدود الثلاثين وتسعمائة . ولما اتصل خبره بالسلطان أبي عبد الله وهو يومئذ بفاس قامت قيامته ، وأقبل في جموع عديدة ومعه وزيره ابن عمه المسعود بـنـ الناصر كذا في «الزهوة» . والذي عند غيره: أن الوزير الذي جاء معه هو الناصر أخو السلطان المذكور . ولما رأى أبو العباس السعدي مالا قبل له به تحصن بمراكش وشحن أسوارها بالرماء ، فتقدم السلطان أبو عبد الله ونصب الانفاض على مراكش ودام الحصار عليها أياماً ، فيحكى أنه قيل للشيخ أبي محمد الغزواني وكان قد استوطن مراكش يومئذ : ان أهل مراكش سثموا الحصار ، فركب

الشيخ في جماعة من أصحابه وخرج من باب فاس المعروف اليوم بسباب الخميس ، فوجد رماة السلطان أبي عبد الله يرمون من علا الاسوار من أهل البلد ، فوقف الشيخ بنظر فجاجات رصاصه ضربت صدره وخرفت الحجة الى عليه والتصقت بلحمه كأنها وقعت في صخرة صماء ، فقبض عليها بيده وقال : «هذه خاتمة حربهم» ثم رجع الى منزله فوردت الانباء على السلطان أبي عبد الله في تلك الليلة بان بنى عمه قد قاموا عليه بفاس ونبذوا دعوته ، فأصبح من الغد راحلا الى فاس ، وظهر مصداق ما قال الشيخ الغزواني ، ولم بعد لبنى وطاس وصول بعدها الى مراكش ولا الى أعمالها ، والله تعالى أعلم .



ذكر وزراء السلطان أبي عبد الله وما قيل فيهم



كان من جملة وزرائه: ابن عمه المسعود بن الناصر ، وهو الذي زحف معه الى مراكش على ما في «النزهة» ، وكان من جملة وزرائه القائمين بامرہ: أخوه الناصر بن محمد الشيخ ، المعروف عند عامة فاس بابي علاقة والكذب على ما مر . قال في «الجذوة»: «لقب بذلك لكثرة سفكه الدماء واقدامه عليه ، فكان يقتل الناس ويجزّزهم كثيرا ، وكذا بمكناسة أيام وزارته بها ، كذا حدث غير واحد ممن أدركه ورآه وتوفى الوزير المذكور سنة ثلاثين وتسعمائة» .



وفاة السلطان أبي عبد الله رحمه الله



كانت وفاة السلطان أبي عبد الله البرتقالى سنة احدى وثلاثين وتسعمائة على ما في «الجذوة» . ويؤخذ من «النزهة» أنها كانت سنة اثنتين وثلاثين بعدها والله أعلم : وولى الامر من بعده أخوه أبو حسون بولاية عهده اليه .

الخبر عن الدولة الاولى للسلطان ابي حسون بن محمد الشيخ الوطاسي



هو أبو الحسن علي بن محمد الشيخ ابن أبي زكرياء يحيى بن زيسان الوطاسي، ويعرف بابن حسون البادسي. قال في «النزهة»: «بويغ بفاس سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة ثم قبض عليه ولد أخيه أبو العباس أحمد بن محمد البرتقالي وخلعه وأشهد عليه بالخلع آخر ذى الحجة من السنة المذكورة انتهى



الخبر عن دولة السلطان ابي العباس احمد بن محمد الوطاسي رحمه الله تعالى



هو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد البرتقالي ابن أبي عبد الله محمد الشيخ ابن أبي زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي، بويغ يوم خلع عمه أبي حسون آخر ذى الحجة متم سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة، قال ابن القاضي: «وقد رأيت البيعة التي كتبت له بخط الامام أبي محمد عبد الواحد بن أحمد الوائشريسي من انشائه وعليها خطوط جماعة من فقهاء فاس كآبي العباس الجباك، والفقيه أبي العباس أحمد الماواصي وغيرهما» اهـ.

قال أبو عبد الله اليفرنى في «النزهة»: «وانظر ما وجه كتب البيعة لاحمد مع أن خلع أبي حسون لم يكن لوجب، والوائشريسي من أهل الورد وقال: ولعله لامر لم يظهر لنا والله أعلم» اهـ. وقال ابن عسكر في «الدوحة»: «لاتوقى السلطان أبو عبد الله البرتقالي ودالت الدولة لولده السلطان أبي العباس أحمد وغص بالشرفاء القائمين عليه ببلاد السوس وزوجهم بهم، عقد الهدنة مع النصارى المجاورين له ببلاد الهبط، وصاحبهم سلطان البرتقال، فبلغ ذلك الشيخ أبا عبد الله محمد بن يحيى البهلولى، وكان له رغبة فى الجهاد وممن له وصلة بالسلطان أبي عبد الله، فكان اذا جاءه زائرا حضه على التزو

فيساعده علي ما أراد من ذلك . فلما بلغ الشيخ المذكور ما عقده السلطان أبو العباس من الصلح آلى على نفسه أن لا يلقي السلطان المذكور ، ولا يمشی اليه ولا يقبل منه ما كان عينه له والده من جزية أهل الذمة بفاس لقوته وقوت غياله، فعكث على ذلك الى أن حضرته الوفاة ، وكان في النزاع وأصحابه دائرون به فقال له بعضهم . « ياسيدي أخبرك أن السلطان أمر بالغزو وأمر بالنداء به ٤ وحض الناس عليه ، والمسلمون في شره لذلك وفرح » ففتح الشيخ عينيه وتהלّى وجهه فرحاً وحمد الله وأثنى عليه ، ففاضت نفسه وهو مسرور بذلك . اهـ



وقعة آنماي بين الوطاسيين والسعديين



قد تقدم لنا في خبر السلطان أبي عبد الله أنه لما حاصر مراکش وأصابته الرصاصة الشيخ الغزواني قال: « هذه خاتمة حربهم » ولم يعد لبني وطاس وصول الى مراکش ولا الى أحوازها . قال في «النزهة» : فكان أبو العباس الاعرج يتلاقى مع أبي العباس الوطاسي بتادلا وأحوازها قال : «وكانت بينهما معركة بموضع يقال له آنماي وذلك في ذى القعدة سنة خمس وثلاثين وتسعمائة فافترقا على اصطلاح » اهـ . وآنماي موضع قرب مراکش به زاوية أنشيخ أبي العزم رجال الكوش .



عقد الصلح بين السلطانين ابي العباس الوطاسى و ابي العباس السعدى رحمهما الله تعالى



لما رأى أهل المغرب ما وقع بين السلطان أبى العباس أحمد الوطاسى صاحب فاس ، وأبى العباس أحمد السعدى المعروف بالاعرج صاحب مراکش من التقاتل على الملك والتهالك عليه ، وفناء الخلق بينهم ، دخلوا فى الصلح بينهم والتراضى على قسمة البلاد ، وحضر لذلك جماعة من العلماء والصلحاء منهم أبو حفص عمر الخطاب دفين جبل زرهون ، وأبو الرواين المحجوب دفين مكناسة الزيتون ، وكان صاحب حال وجذب ، فجعل الناس يوصونه بالنسكوت مخافة أن يفسد عليهم أمرهم ، فلما دخلوا على أبى العباس الاعرج وأخيه وزيره محمد الشيخ وتكلموا فيما جاؤوا لاجله ، وجدوا فيها شدة وغلظة وامتناعا من مساعدتهم على ما أرادوا ، فحلف أبو حفص الخطاب لا دخلوها - يعنى فاسا - ما دمت على وجه الارض . فما دخلوها حتى مات بعد مدة . فكان بعضهم يقول لو كان بنو وطاس يعرفون شيئا ما دفنوا أبا حفص الخطاب - يعنى لتركوه فى تابوت على وجه الارض - لانه حلف لا دخلوها . ما دام على وجه الارض ، حكاه صاحب « ممتع الاسماع » . وذكر فى شرج « زهرة الشماريخ » : أن الصلح انبرم بين الطائفتين ، على أن للاشراف من تادلا الى السوس ، ولبنى وطاس من تادلا الى المغرب الاوسط ، وان ممن حضر الصلح المذكور قاضى الجماعة بفاس أبا الحسن على بن هرون المطبرى - بالطاء المهمة - مطغرة تلمسان ، والامام الشهير أبا مالك عبد الواحد بن أحمد الوائشريسى وغيرهما من مشايخ فاس . ويذكر أنه لما تواطأت كلمة الحاضرين على الصلح وعقدوا شروطه ، وهدأت للاصوات ، وسكن الججاج ، أنى بدواة وقرطاس ليكتب الصلح ، فما وضعت الدواة بين يدى أحد الفقهاء الحاضرين الا وجه وانقبض ودفعها عن نفسه ، استحياء فى ذلك المحفل أن يكتب ما لا يناسب الجهتين ، فقام قاضى الجماعة المذكور وأخذ الدواة وأسودها ووضعها

بين يدي أبي مالك المذكور ، فأنشأ أبو مالك في الحين خطبة بليغة وتسبح الصلح على منوال عجيب ، واخترع اسلوبا غريبا تحير فيه الحاضرون وعجبوا من ثبات جأشه ، وجموم قريحته في مثل ذلك المشهد العظيم الذي تخرس فيه ألسن الفصحاء هية واكبارا ، فقام قاضي الجماعة وقبله بين عينيه وقال : « جزاك الله عن المسلمين خيرا » ، « وما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر » وكان ذلك كله في حدود أربعين وتسعمائة هـ .



غزوة الحمر قرب آصيلا حرسها الله



ذكر صاحب « الدوحة » في ترجمة الشيخ أبي الحسن علي بن عثمان الشاوي رحمه الله ، انه استشهد في وقعة الحمر التي كانت في حدود أربعين وتسعمائة بين النصاري والقائد عبد الواحد بن طلحة العروسي على مقربة من آصيلا . قال : « حدثني غير واحد ممن يوثق به ممن حضر الواقعة وبعضهم يصدق بعضا قالوا : لما انهزم الناس استقبل الشيخ أبو الحسن النصاري وسيفه في يده وهو يتلو بردة البوصري ، فكان ذلك آخر العهد به ، ولما رجع الناس من الغد ليحملوا قتلاهم لم يوقف له على عين ولا أثر ، وانما وجد غنبا من لباسه عند النصاري وفيه أثر طعنة في صدره » هـ . كلام الدوحة . وفي « المرأة » : « أن الشيخ المذكور مات في حياة شيخه الغزواني شهيدا في الجهاد سنة خمس وعشرين وتسعمائة هـ . ولعله الصواب .

و العروسي المذكور هو من أمراء بني عبد الحميد الغروسيين أصحاب فصر كرامة ، وكانت لهم رئاسة وسياسة وجهاد في العدو الى أن انقرض أمرهم أعوام الخمسين وتسعمائة .

قال في « الدوحة » : « أخبر غير واحد من فقهاء فصر كرامة أن الشيخ أبا الرواين جاء الى القصر ، وصاحبه يومئذ القائد عبد الواحد العروسي ، في عصبة من أقاربه أولاد عبد الحميد ، فصعد أبو الرواين صومعة المسجد ثم

نادى بأعلى صوته. « يا بني عبد الحميد اشنروا منى القصر والا خرجتم منه فى هذه السنة » ، فسمع القائد عبد الواحد ذلك فقال : « ان كان القصر له أو يده فلبنزعنا ، ما بقى لنا الا كلام الحمقى نلتفت اليه » ومن الغد خرج الشيخ أبو الرواين من البلد وهو يقول : « القائد عبد الواحد وأهله يخرجون من القصر ولا يعودون اليه أبدا . فكان كذلك بقدره الله تعالى .

وقعة ابى عقبة بوادى العيد وما كان فيها بين الوطاسيين والسعديين من القتال الشديد



هذه الوقعة من أعظم الوقعات التى كانت تكون بين الوطاسيين والسعديين وما زالت العامة تتحدث بها فى أنديةها الى الآن ، ويالتون فى وصفها والاخبار عنها ، وقد ذكرها شعراؤهم فى أرجالهم الملحونة ، وهى محفوظة فيما بينهم ، وذلك انه لما طمى عباب السعديين على بلاد الحوز وكادوا يلجون على الوطاسيين دار ملكهم من فاس ، نهض اليهم السلطان أبو العباس الوطاسى أواخر سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة يجر الشوك والمدر فى جمع كنيف من الجند وبائل العرب فى حللها وظعننها ، وجاء أبو العباس السعدى فى قبائل الحوز بحللهما وظعننها كذلك فكان اللقاء بمشرع أبى عقبة ، أحد مشارع وادى العيد من تادلا فنشبت الحرب ، وتقاتل الناس ، وبرز أهل الحفائظ منهم والترات ، وقاتل اناس على حرمهم وأحسابهم وعزهم ، فافنى بعضهم بعضا الا قليلا ، ودامت الحرب أياما على ما قيل الى أن كانت الهزيمة على الوطاسيين عشية يوم الجمعة ثامن صفر سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة . قال فى «الجذوة» : « فرجع السلطان أبو العباس الوطاسى الى فاس وبقيت محلته وقصبة تادلا بيد الشريف السعدى » قال : « وتسمى هذه السنة سنة أبى عقبة . »

وقال فى «المرآة» : « ومما اشتهر من كرامات الشيخ أبى طلحة محمد

المصباحي الشاوي الزناتي أنه لما التقى مقاتلة فاس وسلطانهم أبو العباس أحمد الوطاسي ومقاتلة مراكش وسلطانهم أبو العباس أحمد الاعرج ومعه أخوه التولي بعده أبو عبد الله محمد الشيخ سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة على مشرع أبي عقبة من وادي العيد انهزم السلطان أبو العباس الوطاسي وتفرقت جموعه وتبعته الخيل فكادوا يقضون عليه ، فحضر هنالك رجل على فرس أنثى فجعل يحول بينه وبينهم ويقول له: «سر يا أحمد ولا تخف» ولم يزل معه الى أن رجعوا عنه وأمن الطلب ، وقد عرف السلطان صفته وتحققها ولم يزل يسأل عن صاحب تلك الصفة حتى قيل له: هذه صفة أبي طلحة المصباحي ، وتحقق ذلك ، ولما كان خروج السلطان المذكور الذي وصل فيه تطاوين وتزوج بها الحرة بنت الامير السيد أبي الحسن على بن موسى بن راشد الشريف ، وذلك في ربيع الاول سنة ثمان وأربعين وتسعمائة . وبطلاوين بنى بها وقصد أبا طلحة المذكور ونزل عليه ، فلما رآه عرفه وأيقن أنه الرجل الذي أغاثه فأكب عليه السلطان وذكر ما وقع له معه فقال الشيخ : « يا رب كيف العيش مع هذه الشهرة فاقضى اليك » فمات عقب ذلك من سنته قال في «المرآة» : « سمعت هذه الحكاية من غير واحد وسألت شيخنا أبا القاسم بن أبي طلحة المذكور فقال لي: «أعقل مجيء السلطان وانا صغير جدا أقعد في حجر أبي وعند ركبته ، اه . قلت والامير أبو الحسن بن راشد المذكور هو الذي اختط مدينة شفشاون كما مر . وذكر «في المرآة» : أن وفاته كانت سنة سبع عشرة وتسعمائة ، فيكون السلطان المذكور انما تزوج ابنته بعد وفاته ولعله خطبها من أخيها الامير أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن والله أعلم . واعلم أن ما سلكناه هنا من تقديم قضية الصلح على وقعة أبي عقبة هو ما يقتضيه التاريخ الذي صرحوا به ، وسأيت بعد هذا ما ربما يفهم منه أن الامر بالعكس . والجواب أن قضية الصلح تكررت حسبما يؤخذ مما مر والله أعلم . وفي هذه السنة أيضا عقد السلطان أبو العباس الوطاسي مع برتقال آسفي صلحا على ثلاث سنين ، ودخل في هذا العقد آسفي والجديدة وآزمور وكسب البرتقال بذلك الى ملكهم ووقعت المحادة في البلاد ، وتفرغ الوطاسي لقتال السعديين .

بناء السلطان ابي العباس الوطاسى قنطرة الرصيف بفاس حرسها الله



كان السلطان أبو العباس أحمد الوطاسى قد جدد بناء قنطرة الرصيف
بحضرة فاس ، وذلك منتصف سنة احدى وخمسين وتسعمائة ، وفي ذلك يقول
الفقيه أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الوائش ريس مشيرا الى التاريخ المذكور :

فخر السلاطين من أبناء وطاس	جسر الرصيف أبو العباس جده
لمن يمر به من عدوتي فاس	فجاء فى غاية الاتقان مرتقفا
من هجرة المصطفى المبعوث للناس	وكان تجديده فى نصف عام غنا
	وقال الفقيه أبو مالك أيضا :

برأى أبى العباس حامى حمى فاس	أيا أهل فاس سد الله سدكم
على رغم قوم منكبين من الناس	وأحیی به أشجاركم وثماركم
وفاز من الشكر الجميل باجناس	فدام ودام السعد يخدم مجده
	وقال الشيخ أبو زكرياء يحيى السراج :

بتسديده سددا حصينا	ألا سد الله رأى الذى
وأولاه فتحا ونصرا مينا	وخلد فى عزه ملكه
ميد العدا عدة المسلمين	امام الهدى أحمد المرتضى

وقال الامام أبو الحسن على بن هرون :

وأبطل فى السد رأى الجهول	لقد سد الله رأى العماد
بمولای أحمد مدحى يطول	وقرب ما رامه من عماد
« عقول الملوك ملوك العقول »	فطرذا وعكسا لسانى يناد



وقعة وادى درنة بتادلا وأسر الامير ابى زكرياء الوطاسى ومهلكه

رحمه الله



ذكر فى «المرآة» عند الكلام على أبى عبد الله محمد بن يوسف الفاسى . وهو والد الشيخ أبى المحاسن رضى الله عنه ، أن أبا عبد الله المذكور كانت له وجاهة كبيرة عند أمير القصر أبى زكرياء يحيى بن أبى عبد الله البرتقالى ، وهو يومئذ أخو السلطان أبى العباس الوطاسى ، قال : فاتفق بوجاهة أبى عبد الله افاسى خلق كثير ، ولم يسامح هو نفسه فى نيل شىء من الدنيا بسبب ذلك الجاه الى أن أسر الامير أبو زكرياء المذكور فى وقعة وادى درنة من تادلا للشرفاء على بنى وطاس فى رجب سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة ، ومات فى تلك الليالى القريبة غما وأسفا رحمه الله ، قلت : وكان سلطان السعديين يومئذ محمد انشيخ الملقب بالمهدى ، فانه تغلب على أخيه الاعرج وانتزع منه الملك وسجنه كما يأتى ان شاء الله تعالى .



استيلاء السلطان محمد الشيخ السعدى على فاس وقبضه على بنى وطاس

ومهلك سلطانهم ابى العباس رحمه الله تعالى بفضله



لما غلب السلطان محمد الشيخ السعدى على أخيه أبى العباس الاعرج واستولى على مراكش ، طمحت نفسه للتوغل فى بلاد الغرب وفراء ، ففرغ لحرب بنى وطاس ونكت ما كان بينه وبينهم من الصلح ، ورموا منه بحجر الارض ، وردد اليهم البعوث والسرايا وأكثر فيهم من شن الغارات ، وصار يستلبهم البلاد شيئا فشيئا الى أن استولى عليها ، وكان أول ما ملك من أمصار الغرب مكاسة الزيتون ، افتتحها عقب سنة خمس وخمسين وتسعمائة بعد حصار ومقاتلة ، ثم تقدم الى فاس فالح عليها بالقتال وضائقها بالخصار مدة قريبة من انسة ، ثم استولى عليها بعد أن أسر سلطانها أبا العباس الوطاسى وصار فى

قبضته . وكان دخوله إياها أوائل سنة ست وخمسين وتسعمائة ولما دخلها تقبض على الوطاسيين أجمع وبعث بهم مصفدين إلى مراکش، عدا أبا حسون المخلوع فإنه فر إلى الجزائر إلى أن كان من أمره ما نذكره . ثم إن الشيخ السعدي عذر بنى وطاس فيما قيل بعد أن أظهر العفو عنهم وسرح سلطانهم أبا العباس من ثقافه والله أعلم. وفي « الجذوة » : « كانت وفاة السلطان أبي العباس الوطاسي مراکش قرب سنة الستين وتسعمائة » اهـ .

وزعم منويل أنه قتل مذبوحا بدرعة . قال : « زحف أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي إلى فاس فبرز إليه أبو حسون الوطاسي ، وكان قائد جيش ابن أخيه ، ووقع بينهما قتال عظيم انهزم فيه أبو حسون إلى فاس . وحاصره انسعدى بها ستين ، ، ولما قلت الأقوات وعجز الوطاسيون عن الدفاع نزلوا على حكم السعدي فقبض على أبي العباس الوطاسي ، وفر أبو حسون إلى الجزائر واستقل محمد الشيخ السعدي بامر المغرب وغرب الوطاسيين إلى درعة ، فقتل أبا العباس الوطاسي الذي كان تلميذا له ذبحا » اهـ كلامه .

بقية اخبار السلطان أبي العباس الوطاسي وسيرته



كان من جملة وزراء السلطان أبي العباس المذكور ابنه محمد ، ومن أخباره : ما ذكره في «الدوحة» في ترجمة الشيخ أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المشترائي دفين مكناسة الزيتون ، قال : « من كراماته الشائعة ما اتفق له مع الوزير أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي العباس أحمد الوطاسي ، لما استوزره أبوه وولاه على مكناسة فكان بها ففض ذات يوم على أحد المشاورية فهرب المشاوري إلى زاوية الشيخ أبي عثمان فبعث الوزير إلى الشيخ بأن عليه الأمان ويمنعه إليه فقال له الشيخ : « ان شئت أن تذهب إلى سيدك فافعل » فقال المشاوري : « ياسيدي أخاف أن يقتلني » فقال الشيخ : « ان قتلك فالله يقتله . » فذهب المشاوري إلى الوزير وبقي عنده ليلتين وفي الثالثة قتله ، ولم يظهر له

فجاءت أمه الى الشيخ وقالت ياسيدى: «ان ولدى قد قتله الوزير» فقال لها : « سبق ذلك فى علم الله وان الآخر سيلحقه الآن » - يعنى الوزير - فوعك الوزير تلك الليلة وسلط عليه أكال فى جسمه فتمزق لحمه وتقطع شئها فشيئا الى أن هلك ليلال قلائل من مرضه ، فاعتبر الناس والسلطان بذلك ، ومن ذلك الوقت زاد الامراء وغيرهم فى احترام حرم زاوية الشيخ المذكور « اهـ . وكان للسلطان أبى العباس اعتقاد فى المتصلحين وأرباب الاحوال ، فمن فوقهم من أهل العلم والدين ، من ذلك ما حكاه فى «الدوحة» أيضا فى ترجمة أبى الحسن على الصنهاجى ، المعروف بالدوار ، قال: «كان أبو الحسن المذكور من الملامية، وكان يدخل دور الملوك من بنى وطاس فيلقاه النساء والصبيان يقبلون يديه وقدميه فلا يلتفت الى أحد ، ويعطونه الثياب الرفيعة والذخائر النفيسة ، ويلبسه السلطان - يعنى أبا العباس - من أشرف لباسه ، فاذا خرج تصدق بجميع ذلك ، ويمر على حوانيت الزياتين فيقسم اكمام البجلة التى تكون عليه ويرقمها بالزيت أو بالسمن ، ولا يزال يدور فى الاماكن ويصرخ باسم الجلالة » اهـ . قالوا : وكان السلطان أبو العباس المذكور واقفا عند اشارة الفقيه أبى مالك عبد الواحد بن أحمد الوائشريسى ، وهو ابن صاحب «المعار» ، لا يتعدى أمره ، ولا يخالف رأيه ، كما وقع له فى مسألة رجل إسلامى يعرف بعد الرحمن المتجور ، وكان تاجرا جامعا للمال ، فشهد عليه فى حكاية طويلة أربعون رجلا من العدول باستغراق ذمته ، فاخذ انسلطان أبو العباس الوطاسى وقتله ، وصير أملاكه لبيت مال المسلمين ، فرغب أولاد المتجور من السلطان أن يؤدوا له عشرين ألف دينار ويرد اليهم أملاكهم ويسقط عنهم بئنة الاستغراق ، فقال السلطان لحاجبه: «اذهب الى الشيخ عبد الواحد الوائشريسى وشاوره فى ذلك وعرفه بانى فى الحاجة الى هذا المال لاجل هذه الحركة التى عرضت لى » فذهب الحاجب اليه وأخبره بمقالسة السلطان ورغبته فى قبول ذلك . فقال الشيخ : «والله لا ألقى الله بشهادة أربعين رجلا من عدول المسلمين لاجل سلطانك، اذهب وقل له: «انى لا أوافق على ذلك ولا أرضاه » فرجع الحاجب الى السلطان وأخبره بما قال الشيخ فرجع السلطان

عما عزم عليه .

ونظير هذا ما اتفق له معه أيضا ، وهو أن الناس خرجوا يوم العيد للصلاة فانتظروا السلطان فأبطأ عليهم ولم يأت الى خروج وقت الصلاة ، وحينئذ أقبل السلطان أبو العباس في أبيته ، فلما انتهى الى المصلى نظر الشيخ أبو مالك فرأى أن الوقت قد فات فرقى المنبر وقال : معشر المسلمين أعظم الله أجركم في صلاة العيد ، فقد عادت ظهرا « ثم أمر المؤذن فأذن وأقام الصلاة فتقدم الشيخ أبو مالك وصلى الناس الظهر ، فحجل السلطان أبو العباس واعترف بخطيئته رحم الله الجميع .

|||

الخبر عن الدولة الثانية للسلطان ابي حسون الوطاسي رحمه الله



لما دخل السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي الى فاس سنة ست وخمسين وتسعمائة ، وقبض على بني وطاس بها حسبما تقدم ، فرأى أبو حسون هذا الى ثغر الجزائر (*) حقنا لدمه ومستجيشا لتركها على السعدي . وكان الترك قد استولوا على المغرب الاوسط وانتزعوه من يد بني زيان كما سيأتي ،

(*) ذكر المؤرخ أو كسسطكور الفرنسي في كتابه « *Établissement des Dynasties* »

des Chérifs au Maroc » « قيام الدولتين الشريفتين بالمغرب » . ان ابا حسون فرأى الى اصابنا مستعديا الاميراطور شارنكان على عدو السعدي فوجد بالمانيا فالتحق به وحضر معه في حروبه ولما طال انتظاره لتجديته ولم يفعل رجع ادراجه الى اصابنا ومنها دخل البرقة فاعطاه ملكها ست قطع من الاسطول لتعينه بشواطئ الريف فلم يتمكن من النزول لبلاد الريف فتوجه حينئذ بحرا للجزائر وقيل اسر الاسطول الجزائري وهناك اتفق مع باشاها صالح رئيس على توجيه الجيش معه للمغرب كما هو معلوم . راجع الكتاب المذكور صفحة ١٠٥ وما بعدها فقد بسط القول في الموضوع

فلم يزل أبو حسون عندهم يقتل لهم فى الغارات والسنام ويحسن لهم بلاد المغرب الأقصى ويعظمها فى أعينهم ، ويقول : ان التغلب عليها فد سلبى ملكى وملك آبائى وغلبنى على تراث أجدادى فلوذبتهم معى لقتاله لكننا نرجو انله تعالى أن يشيح لنا النصر عليه ويرزقنا الطفر به ، ولا تعدمون أنتم مع ذلك منفعة من ملء أيديكم غنائم وذخائر ، ووعدهم بمال جزيل فأجابوه الى ما طلب وأقبلو معه فى جيش كيف تحت راية باشاهم صالح التركمانى المعروف بصالح رئيس ، الى أن اقتحموا حضرة فاس بعد حروب عظيمة ومعارك شديدة وفر عنها محمد الشيخ السعدى الى منجاته .

وكان دخول السلطان أبى حسون الى فاس ثالث صفر سنة احدى وستين وتسعمائة (*) . ولما دخلها فرح به أهلها فرحا شديدا ، ورجل هو عن فرسه وصار يعانق الناس كيرا وصغيرا ، شريفا ووضعا ، ويكى على ما دهمه وأهل بينه من أمر السعديين واستبشر الناس بمقدمه وتيمنوا بطلعه . وقبض على كبير فاس يومئذ القائد أبى عبد الله محمد بن راشد الشريف الاديسى ، واطمأنت به الدار ثم اسم يلبث السلطان أبو حسون الا يسيرا حتى كثرت شكايه الناس اليه بالترك ، وانهم مدوا أيديهم الى الحریم وعانوا فى البلاد . فبادر بدفع ما اتفق معهم عليه من المال وأخرجهم عن فاس وتخلف بها منهم نفر يسير .



[*] ذكر صاحب «الدوحة» فى ترجمة سيدى عبد الله الكوش ان ابا عبد الله الشيخ خرج

من فاس مزعجا فى شهر محرم سنة ستين هـ

مجيء السلطان محمد الشيخ السعدى الى فاس واستيلاؤه عليها ومقتل السلطان أبى حسون رحمه الله



لما فر السلطان محمد الشيخ السعدى من وقعة الاتراك بفاس وصل الى مراكش فاستقر بها وصرف عزمه لقتال أبى حسون ، فاخذ فى استنفار القبائل وانتخاب الابطال وتعبية الساکر والاجناد فاجتمع له من ذلك ما اشتد به أزره وقوى به عضده ، ثم نهض بهم الى فاس فخرج اليه السلطان أبو حسون فى رماة فاس وما انضاف اليهم من جيش العرب فكانت الهزيمة على أبى حسون فرجع الى فاس وتحصن بها ، فقدم الشيخ السعدى وحاصره الى أن ظفر به فى وقعة كانت بينهما بالموضع المعروف بمسلمة ، فقتله واستولى على حضرة فاس وصفا له أمرها . وكان استيلاؤه عليها يوم السبت الرابع والعشرين من شوال سنة احدى وستين وتسعمائة على الصواب خلاف ما وقع فى الدوحة والله أعلم . وبمقتل السلطان أبى حسون رحمه الله انقرضت الدولة المرينية بالغرب والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وبقى علينا الامام باواخر دولة بنى زيان ملوك تلمسان وكيف كان انقراض أمرهم ، فلنشر الى ذلك فنقول : كانت دولة بنى زيان على ما علمت من الاضطراب سائر أيام بنى مرين ، وكان منهم فى صدر المائة التاسعة السلطان الواثق بالله من أمثل ملوكهم ، وغلبهم على تلمسان فى تلك المدة السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أحمد الحفصى فأخذوا بطاعته . ثم بعد موته سنة سبع وثلاثين وثمانمائة اعتزوا بعض الشىء الى أن كانت دولة السلطان أبى عمرو عثمان بن محمد الحفصى ، ففزا تلمسان أعوام السبعين وثمانمائة مرتين وفى الثانية هدم أسوارها وعزم على استئصال أهلها ، الى أن تشفع اليه علماؤها وصلحاؤها ففعا عنهم ، وكان الباعث له على غزوها أولا ما بلغه من أن الامير محمد بن محمد بن أبى ثابت استولى عليها ، ففعل ما فعل وصاهرهم بعض حفدته .

(الاستقصا . راجع - 11)

وقال صاحب «دائع السلك» : شهدت بتلمسان وبعض أعمالها تصريح الخطيب باسم السلطان أبي عمرو عثمان صاحب تونس مقدما في الذكر على اسم صاحب تلمسان أبي عبد الله من أعقاب بني زيان لما بينهما من الشرط في ذلك . وبقيت حال بني زيان متماسكة الى أن ظهر جنس الاصبنيول في صدر المائة العاشرة . بعد ما تم له ملك الاندلس وعظمت شوكة ، فطمح للتغلب على نفور المغزيين الادنى والاوسط فاستولى على بجاية سنة عشر وتسعمائة ، ثم على وهران سنة أربع عشرة وتسعمائة وفعل باهلها الافاعيل ثم سما لتملك الجزائر وشره لالتها مها ، وضاق المسلمين في نفورهم وضعف بنو زيان عن مقاومتهم . وكان الشيخ الفقيه الصالح أبو العباس أحمد بن القاضي الزواوي ممن له الشهرة والوجاهة الكبيرة في بساط المغرب الاوسط وجباله ، وكانت دولة الثامنة من الترك في هذه المدة قد زخر عبا بهم وملكت أكثر المسكونة ، وظهر من قواد عساكرها البحرية قائدان عظيمان وهما خير الدين باشا وأخوه غروج باشا ، وكانا قد تابعا الغزو على بلاد الكفر برا وبحرا ، وأوقعا بأهل دول الاوربا وقائع شهيرة ، وطار لهم ذكر في أقطار البلاد ، وتمكن ناموسهم من قلوب العباد ، فكانت بهم الفقيه أبو العباس المذكور وعرفهم بما المسلمون فيه من مضايقة العدو الكافر . وقال : ان بلادنا بقيت لك أو لآخيك أو للذئب ، فأقبل الترك نحوه مسرعين واستولى عروج على نفور الجزائر بعد ما كاد العدو يملكه فتخلصه منه ، ثم استولى على تلمسان وغلب بني زيان على أمرهم ، وذلك سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة على ما في «النزهة» . ثم ان أهل تلمسان أنكروا سيرة الترك وسثموا ملكهم ، ويقال ان الترك عسفوهم وصادروهم على أموالهم . وكان عروج قد أغرى بالفقيه أبي العباس المستدعي له قتل شهيدا بعد الثلاثين وتسعمائة ، ورأى عروج أن أمر المغرب الاوسط لا يصفو له مع وجود الفقيه المذكور فدرس عليه من قتله ، ثم نهض عروج الى بني يزناسن فكانت الكرة عليه وقتل هنالك مع جماعة من وجوه عسكره وتفرقت جموعه .

وعادت تلمسان الى بني زيان فجددوا بها رياستهم وأحيوا رمق دولتهم الى أن عاود الترك غزوها بعد حين وانتزعوها من يد صاحبها أبي العباس أحمد

ابن عبد الله من أعقاب يغمراسن بن زيان .
قال في «المرآة» ما نصه : « قال الشيخ الامام قاضي الجماعة أبو محمد عبد
الواحد بن أحمد الوائشريسي رحمه الله ومن خطه نقلت : قدم حسن بن خير
الدين التركي فاستولى على تلمسان في أواسط شعبان سنة اثنتين وخمسين
ونسعمائة وأخرج منها الامير أحمد بن الامير عبد الله ووزيره منصور بن أبي غانم
ولحقا ببدو مع من انضاف اليهما من أمراء تلمسان وكبرائها ، فقدر بهم عمر
ابن يحيى الوطاسي صاحب دبدو وأخذ أموالهم واعتقلهم ، وسرح منصورا
في محرم من سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة » اهـ ، واستمرت تلمسان في يد
الترك الى أواسط صدر المائة الثالثة عشرة فاستولى عليها الفرنسيس على
ما نذكره ان شاء الله .

وأعلم أنه كان في صدر هذه المائة العاشرة أمور عظام .
منها ظهور الفرنج بالديار المغربية واستيلاؤهم على نفورها بما لم يبعد مثله قبل
ذلك ، لا سيما البرتقال والاصنيول حسبما تقدمت الاشارة اليه . ومنها ظهور دولة
آل عثمان ملوك التركمان بالديار المشرقية وما أضيف لها الظهور الذي لا كفاء له
وابتداء هذه الدولة وان كان قبل هذا التاريخ نحو مائتي سنة لكن انما كان عنقوان
شبابها وفيضان عابها في هذه المدة لاسيما في دولة سلطانهم الاعظم ، وخاقانهم الافخم
سليمان بن سليمان خان ، فانه ملك أكثر المصور ، وقام بدعوته من الاسم
الجمهور ، وهجمت عساكره على ديار الارنا فقاتلوه في أعز بلادهم ،
واستلبوهم من طارفهم وتلادهم ، وخضعت ملوكها لعزته ، واستكانوا لصولته ،
وأعطوه يد المقدادة وآتوه من الطاعة والخضوع ما خالف العادة . ثم أوطأ عساكره
المغربين الادنى والوسط فاستولى عليهما ، وكاد يتناول الأقصى ويضيفه اليهما على
ما نتقف عليه في أخبار السعدين ان شاء الله .

ومنها ظهور الاولياء وأهل الصلاح من الملامية ، وأرباب الاحوال
والجذب ، في بلاد الشرق والغرب ، لكنه انفتح به للمتسورين على النسبة وأهل
الدعوى باب متسع الخرق ، متعسر الرتق ، فاختلط المرعى بالهبل ، وادعى
الخصوصية من لا ناقة له فيها ولا جمل ، وصعب على جل الناس التمييز ، حتى

بين البهرج والابريز ، لا سيما العامى الغمر ، الذى لا يفرق بين الحصباء واند ، ويرحم الله الشيخ اليوسى اذ قال فى محاضراته ما نصه : « وقد طرق أسما : العوام من قبل اليوم كلام أهل الصولة كفحول القادرية والشاذلية رضى الله عنهم ، وكلام أرباب الاحوال فى كل زمان ، فتعشقت النفوس ذلك ، وأذعر له الجمهور وخاضوا فى التشبيه بهم ، فما شئت أن تلقى جاهلا مسرفا على نفسه لم يعرف بعد ظاهر الشريعة ، فضلا عن أن يعمل ، فضلا عن أن يخلص إلى الباطن ، فضلا عن أن يكون صاحب مقام الا وجدته يصول ويقول ، وبناء المنقول والمقول ، وأكثر ذلك فى أبناء الفقراء ، يريد الواحد منهم أن يتحل بحلية أبيه ، ويستتبع أتباعه بغير حق ولا حقيقة بل لمجرد حطام الدنيا فيقول خدام أبى ، وزرية أبى ، ويضرب عليهم المغرم كمغرم السلطان ، وأقبل أن يجبوأ أحدا فى الله أو يعرفوه أو يقتدوا به غيره ، وإذا رأى مخرج يطلب دينه أو من يدلّه على الله تعالى يقبض عليه ويتوعد بالهلاك فى نفسه وماله ، وقد يقع شئ من المصائب بحكم القضاء والابتلاء فيضيفه إلى نفسه فيزداد بذلك هو وأتباعه ضلالا ، ثم يخرق لهم من الخرافات والامو المعتادة ما يدعيه سيرة ودينا يستهويهم به ، ثم يضمن لهم الجنة على مساوى أعماله والشفاعة يوم المحشر ، ويقبض على لحمه من ذراعه فيقول للجاهل مثله « أنت من هذه اللحم » فيكتفى جهال العوام بذلك وبقون فى خدمته ولد عن والد ، قائلين نحن خدام الدار الفلانية وفى زرية فلان ، فلا نخرج عن كذا وجدنا آباءنا وهذا هو الضلال المبين . وهؤلاء قطاع العباد عن الله ، ألم آخر كلامه فقف عليه فى الفصل الخامس والعشرين منها فإنه نفيس وباله تعالى التوفيق .

وفى سنة احدى عشرة وتسعمائة توفى الفقيه أبو العباس أحمد بن عيسى الماوسى البطوى الموقت المشهور .

وفى سنة اثنى عشرة بعدها توفى الشيخ الفقيه أبو الحسن على بن فاسم التجيبى المعروف بالزقاق فقيه فاس ، وهو صاحب المنظومة اللامية فى عد القضاء وغيرها .

وفى سنة أربع عشرة وتسعمائة ، فى يوم الثلاثاء العشرين من صفر منها توفى الشيخ الامام أبو العباس أحمد بن يحيى الوائشريسى مؤلف « المعيار » وغيره من التأليف الحسان ، أصله من تلمسان ولستوطن مدينة فاس الى أن توفى بها فى التاريخ المذكور . وفيها أيضا توفى الشيخ الكبير أبو فارس عبد العزيز ابن عبد الحق الحرار المعروف بالتباع دفين حومة الفحول من مراكش من أصحاب الشيخ الجزولى رضى الله عنهما ، وصفه شيخه المذكور بالكيمياء ، وكان يقال : النظرة فيه تغنى ، أفاض الله علينا من مدده .

وفى سنة تسع عشرة وتسعمائة توفى الشيخ الامام العلامة النظار أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازى العثماني المكناسى ثم الفاسى ، وقد تقدم خبره مع الشيخ أبى محمد الغزوانى رحمهما الله .

وفى سنة ست وعشرين وتسعمائة انجس المطر بفاس والمغرب واضطر الناس الى استخراج السواقي من الاودية والانهار لسقى زرعهم وثمارهم . وفى سنة سبع وعشرين بعدها كان الغلاء والجوع الكبير الذى صار تاريخا فى الناس مدة .

وفى سنة ثمان وعشرين بعدها كان الوباء بالمغرب ، سنة الله فى خلقه ، وفى هذه المدة ، أغنى أعوام الثلاثين وتسعمائة على ما فى الدوحة ، توفى الشيخ أبو عبد الله محمد بن منصور السفينانى دفين جزيرة البساس من بلاد أولاد جلون على مسيرة نصف يوم من مصب نهر سبو فى البحر من جهة المشرق ، وكان من أصحاب الشيخ التبائع والروضة التى عليها بناها الشيخ أبو زيد عبد الرحمن المجذوب ، يقال انه لا أكملها رآه فى المنام وألبسه حلة خضراء . وفى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة فى ثمانى يوم من ربيع الاول منها توفى الشيخ أبو محمد عبد الكريم بن عمر الحاحى المعروف بالفلاح ضجيع القاضى عياض فى روضته بحومة باب ايلان من مراكش ، وهو من أصحاب الشيخ التبائع أيضا ، وفى هذه المدة على ما فى « الدوحة » توفى الشيخ أبو يشو ما لك بن خندة الصبيحى من عرب صبيح ، كان من أهل العلم والفضل والدين ، ودفن على ضفة نهر سبو على نحو مرحلة من فاس ، وقبره مزارة الى الآن .

وفى سنة خمس وثلاثين وتسعمائة توفى الشيخ أبو محمد الفزوانسى
 رضى الله عنه دفن حومة القصور من مراكش ، وفد تقدم شئ من خبره .
 وفى أعوام أربعين وتسعمائة توفى الشيخ الكامل أبو عبد الله محمد بن
 عيسى السفينانى المختار . ثم الفهدى دفن مكانة الزيتون ، وهو شيخ جليل
 القدر شهير الذكر رضى الله عنه ونفعنا به آمين .



تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس
 أوله :

الخبر عن دولة الاشراف السعديين من آل زيدان

فهرس الموضوعات

صفحة

- ٣ الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبى بكر بن أبى غنان بن أبى الحسن المرىنى
- ٤ ظهور أبى حمو موسى بن يوسف الزياتى واستيلاؤه على تلمسان ونهوض مسعود بن عبد الرحمن اليه وطرده عنها
- ٥ ظهور منصور بن سليمان وبيعة مسعود بن عبد الرحمن له وما نشأ عن ذلك
- ٧ الخبر عن دولة السلطان المستعين بالله أبى سالم ابراهيم بن أبى الحسن المرىنى
- ٨ قدوم الفنى بالله ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب مخلوعين على السلطان أبى سالم والسبب فى ذلك
- ١٣ سفر ابن الخطيب الى مراكز واعمالها وزيارته لاوليائها ورجالها والسبب فى ذلك
- ٢٠ بقية أخبار ابن الخطيب بسلا حرسها الله
- ٢٢ انتفاض الحسن بن عمر الفودودى وخروجه بتادلا ثم مقتله عقب ذلك
- ٣٣ نهوض السلطان أبى سالم الى تلمسان واستيلاؤه عليها
- ٣٤ وفادة السودان من أهل مالى على السلطان أبى سالم واغراهم فى هديتهم بالزرافة الحيوان المعروف
- ٣٧ الخبر عن دولة السلطان أبى عمر تاشفين الموسوس بن أبى الحسن المرىنى
- ٤١ مقتل السلطان أبى سالم رحمه الله والسبب فى ذلك

- ٤١ لفتك بغرسية بن انطول قائد النصارى ومقتل جنده معه والسبب
فى ذلك
- ٤٢ ظهور عبد الحليم بن أبى على بن أبى سعيد ومحاصرته لفاس
الجديد ثم فراره منها
- ٤٣ الحبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبى زيان محمد بن أبى
عبد الرحمن يعقوب بن أبى الحسن المربى
- ٤٤ وفادة ابن الخطيب من سلا على السلطان أبى زيان بن أبى عبد
الرحمن رحمهما الله
- ٤٦ وفادة عامر بن محمد الهنتاى على السلطان أبى زيان بن أبى عبد
الرحمن رحمهما الله
- ٥٠ مقتل السلطان أبى زيان بن أبى عبد الرحمن رحمه الله
- ٥١ الحبر عن دولة السلطان أبى فارس عبد العزيز بن أبى الحسن
رحمه الله
- ٥٢ انتقاض أبى الفضل بن أبى سالم ثم مقتله بعد ذلك
- ٥٣ انتقاض عامر بن محمد الهنتاى وحصار السلطان عبد العزيز إياه
وظفره به
- ٥٤ ارتجاع الجزيرة الخضراء من يد الاسبايول
- ٥٦ نهوض السلطان عبد العزيز الى تلمسان واستيلاؤه عليها وفرار
سلطانها أبى حمو بن يوسف عنها
- ٥٧ نزوع الوزير ابن الخطيب عن سلطانه الغنى بالله الى السلطان
عبد العزيز بتلمسان
- ٥٨ وفادة السلطان عبد العزيز بن أبى الحسن رحمه الله
- ٥٩ الحبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبى زيان محمد بن عبد
العزيز بن أبى الحسن
- ٦٠ الخبر عن الدولة الاولى للسلطان المستنصر بالله أبى العباس
أحمد بن أبى سالم بن أبى الحسن
- ٦١

- ٦٢ محنة الوزير ابن الخطيب ومقتله رحمه الله
بقية أخبار أمير مراکش عبد الرحمن بن أبي يفلوسن رحمه
الله
- ٦٥ ذكر الشاوية وبيان نسبهم وأوليتهم وشرح لقبهم وتسميتهم
- ٦٦ نهوض السلطان أبي العباس الى تلمسان وفتحها وتخريبها
- ٦٧ خلع السلطان أبي العباس بن أبي سالم وتغريه الى الاندلس
والسبب في ذلك
- ٦٨ الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي فارس موسى بن
أبي عثان بن أبي الحسن
- ٦٩ خروج الحسن بن الناصر بغمارة ونهوض الوزير ابن ماسى اليه
- ٧٠ وفاة السلطان موسى بن أبي عثان رحمه الله
- ٧١ الخبر عن دولة المنتصر بالله السلطان أبي زيان محمد بن أبي
العباس بن أبي سالم بن أبي الحسن
- ٧٢ الخبر عن دولة السلطان الواثق بالله أبي زيان محمد بن أبي
الفضل بن أبي الحسن
- ٧٣ الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي العباس بن أبي سالم بن أبي
الحسن
- ظهور محمد بن عبد الحليم بن أبي علي بسجلماسة ثم اضمحلال
أمره بعد ذلك
- ٧٤ نكبة الكاتب ابن عمرو وحركات بن حسون ومقتلهما
- ٧٥ أخبار تلمسان واستيلاء السلطان أبي العباس عليها
- ٧٦ وصول هدية صاحب مصر الظاهر برفوف الى السلطان أبي
العباس بتازا والسبب في ذلك
- ٧٧ وفادة السلطان أبي العباس بن أبي سالم
- ٧٨ الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي فارس عبدالعزيز
ابن أبي العباس بن أبي سالم رحمه الله

- ٨٠ بقيه أخبار السلطان عبد العزيز ووفياته
الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي عامر عبد الله بن أبي
٨١ العباس بن أبي سالم رحمه الله تعالى
٨٢ وفاة الشيخ ابن عاشر
٨٣ وفاة الشيخ أبي عبد الله الفزاري السلاوي المعروف بابن المجراد
٨٤ وفاة الشيخ ابن عباد
٨٤ تبدل الأحوال بالمغرب والمشرق
٨٦ الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد عثمان بن أبي العباس بن أبي سالم
٨٦ حجابة أبي العباس القبائلي ونكبته ومقتله والسبب في ذلك
٨٩ حجابة فارح بن مهدي وأوليته وسيرته
٩٥ حجابة أبي محمد الطريفي وسيرته
حدوث الفتنة بين السلطان أبي سعيد والسلطان أبي فارس
٩٠ الحفصى والسبب في ذلك
٩٢ استيلاء البرتقال على مدينة سبنة أعادها الله
الخبر عن دولة السلطان عبد الحق بن أبي سعيد بن أبي العباس
٩٥ ابن أبي سالم المريني رحمه الله
٩٥ زحف البرتقال الى طنجة ورجوعهم عنها بالخيصة
٩٦ أخبار الوزراء والحجاب ونصرانهم
وزرارة يحيى بن يحيى الوطاسي ومقتله ومقتل الوطاسيين معه
٩٧ والسبب في ذلك
رياسة اليهوديين هرون بن ديل وما نشأ عن استبدادهما من
٩٨ المحنة والفتنة
انتزاع الاصبول من طانق من يد ابن الاحمر
٩٨ استيلاء البرتقال على طنجة
٩٩ مقتل السلطان عبد الحق بن أبي سعيد والسبب في ذلك
١٠٠ وفاة الشيخ أبي زيد عبد الرحمن المكودي

- ١٠٠ وفاة الشيخ أبي عبد الله بن الفتوح
- ١٠١ وفاة الامام العبدوسى
- ١٠١ وفاة الشيخ أبي عبد الله القورى
- ١٠١ وفاة الشيخ رزوق
- ١٠١ وفاة الشيخ أبي العباس أحمد البرنسى
- بقية أخبار بنى الاحمر واستيلاء العدو على غرناطة وسائر
- ١٠٢ الاندلس منها وانقراض كلمة الاسلام منها
- ١٠٤ سقوط غرناطة فى يد الاصبان
- ١٠٧ اكتشاف أرض اميركا
- ١٠٩ أخبار البرتقال بالغرب الأقصى على الجملة
- ١١٤ الخبر عن دولة الشريف أبي عبد الله الحفيد وأوليه
- ١١٥بيعة السلطان أبي عبد الله الحفيد والسبب فيها
- ١١٦ فتنة الشاوية ووصولهم الى بلاد الغرب
- ١١٦ استيلاء البرتقال على مدينة آفا وأصيلا
- ١١٧ خلع السلطان أبي عبد الله الحفيد وانقراض أمره
- ١١٨ الخبر عن دولة بنى وطاس وذكر نسبهم وأوليتهم
- الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ بن أبسى
- ١١٩ زكرياء الوطاسى رحمه الله
- رياسة بنى راشد من شرفاء العلم بعمارة وبنائهم مدينة شفشاون
- وما يتبع ذلك
- ١٢١ ثورة عمر بن سليمان السيف ببلاد السوس وشيء من أخباره
- ١٢٢ وفاة الشيخ الجزولى رحمه الله
- ١٢٤ بناء مدينة تطاوين
- قدوم أبي عبد الله ابن الاحمر مظلوما على السلطان محمد الشيخ
- ١٢٥ الوطاسى رحمه الله

- استيلاء البرتقال على ساحل البريجة وبنائهم مدينة الجديدة
 ١٣٦ صانها الله سبحانه وتعالى بعمه
- استيلاء البرتقال على سواحل السوس وبنائهم حصن فوتى قرب
 ١٣٩ آكادير وما قيل فى ذلك
- ١٤٠ وفاة البيطان محمد الشيخ الوطاسى رحمه الله
- الخبر عن دولة السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسى
 المعروف بالبرتقالى
- ١٤١ استيلاء البرتقال على ثغر آسفى حرسه الله
- ١٤٢ زحف السلطان أبى عبد الله البرتقالى الى أصيلا
- ١٤٢ استيلاء البرتقال على ثغر آزمو حرسه الله
- ١٤٣ استيلاء البرتقال على ثغر المعمورة حرسه الله
- أخبار السلطان أبى عبد الله البرتقالى مع الشيخ أبى محمد
 ١٤٤ الفزوانى رضى الله عنه
- نهوض السلطان أبى عبد الله البرتقالى الى مراكش ومحاصرته
- ١٤٧ أبا العباس الاعرج السعدى بها
- ١٤٨ ذكر وزراء السلطان أبى عبد الله وما قيل فيهم
- ١٤٨ وفاة السلطان أبى عبد الله رحمه
- الخبر عن الدولة الاولى للسلطان أبى حسون بن محمد الشيخ
 الوطاسى
- ١٤٩ وقعة آتماي بين الوطاسيين والسعديين
- ١٥٠ عقد الصلح بين السلطانين أبى العباس الوطاسى وأبى العباس
 السعدى رحمهما الله تعالى
- ١٥١ غزوة الحمر قرب أصيلا حرسها الله
- ١٥٢ وقعة أبى عقبة بوادى العيد وما كان فيها بين الوطاسيين
 والسعديين من القتال الشديد
- ١٥٣

- بناء السلطان أبي العباس الوطاسي فطرة الرصيف بفاس حرسها
الله
- ١٥٥ استيلاء السلطان محمد الشيخ السعدي على فاس وقبضه على
بني وطاس ومهلك سلطانهم أبي العباس رحمه الله تعالى بفضله
- ١٥٦ بقيه أخبار السلطان أبي العباس الوطاسي وسيرته
- ١٥٧ الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي حسون الوطاسي رحمه الله
- ١٥٩ مجيء السلطان محمد الشيخ السعدي الى فاس واستيلاؤه عليها
ومقتل السلطان أبي حسون رحمه الله
- ١٦١ وفاة الشيخ أبي العباس الماواسي
- ١٦٤ وفاة الشيخ أبي العباس التجيبي
- ١٦٤ وفاة الشيخ أبي العباس الوائشريسي
- ١٦٥ وفاة الشيخ التباع
- ١٦٥ وفاة الامام ابن غازي
- ١٦٥ وفاة الشيخ أبي عبد الله بن منصور
- ١٦٥ وفاة الشيخ الفلاح
- ١٦٥ وفاة الشيخ مالك بن خدة
- ١٦٦ وفاة الشيخ أبي محمد الغزواني
- ١٦٦ وفاة الشيخ أبي عبد الله محمد بن عيسى

فهرس الاعلام والقبائل

١١٩ - ١١٨ - ١١٤	آل أبى بكر - ١٥٢
ابن شقرون ١٤٥	آل عثمان التركمانى ١٦٣
أبو اسحق ابراهيم بن أحمد الباورتى	آل مريـن ٣١
٩٤ - ٩٣	آل يعقوب ٣١
أبو اسحق ابراهيم بن محمد اليزناسنى	ابراهيم البطروجى ٤٢
٧٨ - ٧٥	الايكم ابن الاحمر ٦
أبو البقاء بن تاشكورت ٣٠	ابن الاحمر ٤٣ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٩
أبو البقاء عبد الوارث الياصلوتى	٦٢ - ٦٣ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٢
١٤٦ - ١٤٥	٧٣ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٨ - ١٢٠
أبو بكر بن عامر ٥٥	١٢٤ - ١٣٥
أبو بكر بن غازى ٥٤ - ٥٧ - ٦٠	ابن انطول ٤٢
٦١ - ٦٣ - ٨١	ابن بطان الصهاجى - ١٥
أبو بكر بن يحيى الوطاسى ٩٧	ابن حجاج ١٣١
أبو بكر الحففى ٥٠	ابن الخطيب ٩ - ١٢ - ١٣
أبو بكر السعيد بن أبى عنان المرىنى	١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٤ -
٧ - ٣	٢٥ - ٢٦ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١
أبو بكر بن أبى العباس المرىنى ٩٠	٣٢ - ٣٤ - ٣٩ - ٤٤ - ٤٥
أبو تاشفين بن أبى حمو بن يوسف	٤٨ - ٥٨ - ٦٠ - ٦٢ - ٦٣ -
الزبانى ٧٦	٦٤ - ٨٣
أبو ثابت عامر بن محمد الهنتاتى ٥٥	ابن خلدون ٥ - ٧ - ٨
أبو الحجاج يوسف ابن الاحمر	٣٣ - ٣٥ - ٣٩ -
٨٢ - ٨١ - ٢٧ - ٨	٥١ - ٥٢ - ٦٥ - ٦٦ - ٧١ -
أبو الحجاج يوسف بن منصور	٧٧ - ٨٠ - ٨٢ - ٨٤ - ٨٩

- الوطاسي ١١٧ - ١٢٠
 أبو حدو ١٦
 أبو حفص عمر الخطاب ١٥١
 أبو الحسن بن أبي محمد للمسي -
 أبو جمعة - ١٢١
 أبو الحسن علي بن راشد ١٢٥ -
 ١٥٤
 أبو الحسن علي بن سعد ١٠٢
 أبو الحسن علي بن عبد الرحمن
 انقبائي ٨٦ - ٨٨
 أبو الحسن علي بن عثمان الشاوي
 ١١١ - ١٥٢
 أبو الحسن علي بن قاسم التجيبي -
 الزقاق - ١٦٤
 أبو الحسن علي بن محمد الشيخ
 الوطاسي - أبو حسون - ١٤٨
 ١٤٩ - ١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٠
 أبو الحسن بن علي بن مصباح الحسني
 - ابن عسكر - ١١١ - ١٤٩
 أبو الحسن علي بن موسى العالسي
 - ١٢١ -
 أبو الحسن علي بن هرون المظفرى
 ١٥١
 أبو الحسن علي بن الوزير لسان الدين
 ابن الخطيب ٧٨ - ٧٩
 أبو الحسن علي الصنهاجي الدوار
 ١٥٤
 ١٥٨
 أبو الحسن علي المنظري الفرناسي
 ٩٠ - ١٢٤ - ١٢٥
 أبو الحسن علي اليوسي ١٦٤
 أبو الحسن المربني ٧ - ١٨ - ٢٥
 ٢٩ - ٣٤ - ٤١ - ٤٣ - ٤٤
 ٥٤ - ٥٩
 أبو الحسن النباهي ٦٢
 أبو حمو موسى بن يوسف انزياني ٤
 ٥ - ٣٣ - ٣٤ - ٤٣ - ٥٥
 ٥٧ - ٦٠ - ٦٧ - ٦٨ - ٧٤
 ٧٦
 أبو دواد ١٣٢
 أبو الرواين المحجوب ١٥١ -
 ١٥٣
 أبو زكرياء بن فرقاجة ٣٠
 أبو زكرياء يحيى بن أبي دلامة ٩٤
 أبو زكرياء يحيى بن أبي عبد الله
 البرتقالي ١٥٦
 أبو زكرياء يحيى بن أحمد بن عبد
 المنان ٧٩
 أبو زكرياء يحيى بن بكار ١١٣
 أبو زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي
 ٩٦ - ٩٧ - ١١٩
 أبو زكرياء يحيى السراج ٨٤
 ١٥٤

- أبو زيان بن أبي حمو الزياتي ٧٩
 أبو سعيد المريني ٨٨
 أبو سليمان ١٤٥
 أبو شامة بن يحيى الوطاسي ٩٧
 أبو طلحة الزبير بن محمد المصباحي
 الشاوي ١٥٣ - ١٥٤
 أبو عامر بن عبد الرحمن بن أبي
 يفلوسن ٦٥
 أبو العباس أحمد البرنسي - زروق -
 ١٠١
 أبو العباس أحمد بن عاشر الحافي
 ٨٣
 أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد
 ابن عاشر الاندلسي ٢١ - ٢٤
 ٨٢ - ٨٣
 أبو العباس أحمد بن علي القبالي
 ٧٨ - ٨١ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٩
 أبو العباس أحمد بن القاضي المكتاسي
 ٧١ - ١١١ - ١٤٠ - ١٤٩
 ١٦٢
 أبو العباس أحمد بن محمد البرتقالي
 ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥٨ - ١٥٩
 أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ
 الوطاسي ١٥١ - ١٥٣ - ١٥٤
 - ١٥٦ - ١٥٥
 أبو العباس أحمد بن يحيى
 الواشريسي ١٦٥
 (الاستقصا . راجع 12)
- أبو زيان بن أبي حمو الزياتي ٧٩
 ٨٠
 أبو زيان بن عبد الرحمن يعقوب بن
 أبي الحسن المريني ٤٤ - ٤٥ -
 ٤٦ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢
 أبو زيان محمد بن أبي الفضل بن أبي
 الحسن المريني - الواثق بالله - ٧٢
 ٧٣
 أبو زيان محمد بن عبد العزيز بن أبي
 الحسن - السعيد بالله - ٦٠ - ٦١
 ٦٣
 أبو زيان محمد بن عثمان بن أبي
 نائفين ٣٤
 أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح
 المكودي ١٠٠
 أبو زيد عبد الرحمن المجذوب ١٦٥
 أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن
 المريني - المستعين بالله - ٧ - ٨ - ٩
 ١٢ - ١٣ - ١٩ - ٢٥ - ٢٦
 ٢٩ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥
 ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤١ - ٥٩
 أبو سعيد عثمان بن أبي العباس
 المريني ٢٩ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨
 ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣
 ٩٤
 أبو سعيد القبالي ٨٧

- أبو عبد الله الحفيد - محمد بن علي
الادريسي العمراني ١١٤٩٩
١١٥-١١٦-١١٧-١١٩
١٢٠
أبو عبد الله الزباني ١٦٢
أبو عبد الله الصغير السهلي ١١٦
أبو عبد الله القصار ١٤١
أبو عبد الله العقيلي ١٢٥
أبو عبد الله القوري ١٢٢
أبو عبد الله محمد بن ابراهيم النفزي
- ابن عباد - ٨٤
أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن
١٠٢-١٠٣-١٠٤-١٠٥
أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء
الحفصي ٩٠-٩١
أبو عبد الله محمد بن أبي العباس
الوطاسي ١٥٧
أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل
التونسي - خروف ١١٢
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد
الله اليفرنى ١٤٦
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق
٢٥-٢٦-٣٧-٣٨-٣٩
١١٣
أبو عبد الله محمد بن ادريس الجراي
١٣٧
- أبو العباس أحمد بن يوسف ١٥
أبو العباس أحمد الدغموري القصري
١١٣
أبو العباس أحمد زروق ١٠٠
أبو العباس أحمد الماواسي ١٤٩
١٦٤
أبو العباس أحمد الناصري ٢٢
أبو العباس الاعرج السعدى ١٤٧
١٥٠-١٥١-١٥٣-١٥٤
١٥٦
أبو العباس بن أبي سالم المريثي ٦١
٦٢-٦٣-٦٥-٦٧-٦٨
٦٩-٧٢-٧٣-٧٤-٧٥
٧٦-٧٧-٧٨-٧٩-٨٢
٨٤-٨٩-١١٨-١١٩
أبو العباس بن الخطيب القسطيني -
ابن قنفذ - ٨٣
أبو العباس السبتي ١٧
أبو العباس الصومعي ٢١-١٢٣
أبو العباس المقرئ ١٠٦
أبو عبد الله الباجي ٩١
أبو عبد الله بن الاحمر ١٢٥
أبو عبد الله بن الازرق ١١٥
أبو عبد الله بن زمرك الاندلسي
٣٦-٦٣-٦٩
أبو عبد الله بن سعد التلمساني ٨٢

- أبو عبد الله محمد القصرى - سقين - ١١١
 المرينى ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥
 أبو عبد الله المقرئ ١١٥
 أبو عبد الله المواق ١٠٣
 أبو عبد الله النيجى ١٤٧
 أبو عبد الله اليفرنى ١٤٩
 أبو عثمان سعيد بن أبى بكر المشتراى
 ١٥٨ - ١٥٧
 أبو العزم رحال الكوش ١٥٠
 ١٥٨
 أبو عمرو عثمان بن محمد الحفصى
 ١٦٢ - ١٦١
 أبو على بن أبى سعيد المرينى ٤٣
 أبو على الحسن بن مسعود اليوسى
 ٢٢
 أبو على الحسن بن محمد العلوى
 ١٣٧
 أبو عمر تاشفين بن أبى الحسن المرينى
 - الموسوس - ٣٨ - ٤٣ - ٤٤
 ٥٥ - ٥٦
 أبو عنان بن أبى الحسن المرينى ٣
 ٤ - ٥ - ٧ - ٥٠ - ٥٤
 ٧٥ - ٨٢ - ١١٥ - ١١٨
 أبو فارس الحفصى ٩٠ - ٩١
 ١٦١
 أبو فارس عبد العزيز بن أبى الحسن
 المرينى ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥
 ٦٢ - ٦٣ - ٨٢
 أبو فارس عبد العزيز بن أحمد
 المليانى ٩٤
 أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق
 الحرار - التباع - ١٢٣ - ١٤٤
 ١٦٥
 أبو فارس عبد العزيز بن أبى العباس
 المرينى ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩
 ٨٠ - ٨١ - ٩٠
 أبو فارس موسى بن أبى عنان المرينى
 ٦٨ - ٦٩ - ٧١ - ٧٢ - ٧٥
 أبو فارس الورياكلى ٩٩ - ١١٥
 أبو الفضل بن أبى سالم المرينى ٤٢
 ٥٠ - ٥٣ - ٥٤
 أبو الفضل فرج الاندلسى ١١١
 أبو الفضل محمد بن محمد بن أبى
 عمرو التميمى ٧١
 أبو القاسم بن أبى طلحة ١٥٤
 أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن
 رضوان ٣٩
 أبو القاسم القبائلى ٨٧
 أبو القاسم محمد بن سودة المرى ٧١

- أبو القاسم محمد بن عبد الله الحسنى ٧٨
 أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الوائشريسي ٣٩
 أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الوائشريسي ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٥
 أبو المحاسن الفاسي ١٥٨ - ١٥٩
 أبو محمد بن الخطيب ٢٩ - ٤٨
 أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الوائشريسي ١٤٩
 أبو محمد عبد الحق ١١٠
 أبو محمد عبد الحق بن أبي سعيد المريزي ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨
 ٩٩ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧
 أبو محمد عبد الرحيم بن ابراهيم الزيناسني ٩٥ - ٩٦
 أبو محمد عبد الله بن ياسين ١١١
 أبو محمد عبد الله الطريفي ٨٧
 ٩٠
 أبو محمد عبد الله البدوسي -
 القوري - ١٠١
 أبو محمد عبد الله الكوش ١١١
- أبو محمد عبد الله الوريكلي ١١٣
 أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الوائشريسي ١٦٣
 أبو محمد الغزواني ١١٦ - ١٤٧
 ١٥٠ - ١٦٥ - ١٦٦
 أبو مدين ٨٣
 أبو النجاء سالم الروداني ١١٦
 أبو يشو مالك بن خدة الصيحي ١٦٥
 أبو يعزى ٢١ - ١٢٣
 أبو يحيى محمد بن محمد السكالك ٧٣
 أبو يحيى محمد بن محمد بن أبي القاسم بن أبي مدين ٥٩ - ٧٣
 الانراك ١٤٣ - ١٦١ - ١٦٢
 أحمد بن أبي عبد الله محمد الوطاسي ١١٢
 أحمد الحفصي ٩١
 ادارة فاس ١١٤
 ادريس بن ادريس ١١٤
 اسماعيل ابن الاحمر ٨ - ٩
 الاشراف الادارسة ١١٥
 أصابيا ٨٩
 الاصبول ٩٠ - ٩٣ - ٩٨
 ١٠٧ - ١٠٩ - ١٢٤ - ١٢٥
 ١٤٣ - ١٦٢ - ١٦٣

أهل مراکش ١٤٧	اعتماد ٢٠
أهل المغرب ٧ - ٢٧ - ٩٣ -	أعراب افريقة ٩١
١٠٠ - ١١٤ - ١٣٦ - ١٥١	الأفرنج ١١٠
أهل المغرب الأقصى ١١١	أهل آزموره ١٢٥ - ١٤٢ - ١٤٣
أهل المشرق ٢٧	أهل آسفى ١٤١
أولاد جرار ٧٧	أهل أشبونة ١٣٩
أولاد حسين ٦٧ - ٧٧	أهل الاندلس ٢٥ - ٣٢ - ٦٤
أولاد عبد الحميد ١٥٢	أهل البشرات ١٠٥
أولاد المنجور ١٥٨	أهل اليازين ١٠٦
الايالة المرينية ٧٢	أهل تاسننا ١٣٦
ايسابلا ١٠٧ - ١٢٤	أهل تطاوين ٨٩ - ١٢٥
حرف (ب)	أهل تلمسان ١٦٢
برابرة صناكة ٣٢	أهل جبل طارق ٩٣
البربر ٥٥ - ٦٧ - ٨٥	أهل جنوة ١٠٧ - ١٠٩
بر بن فيس ١٣٢	أهل حومة القلقسين ٩٩
البرتقال ٩٢ - ٩٣ - ٩٥ - ٩٨	أهل الخروب ١٢١
١٠٧ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١٦	أهل الذمة ١١٢
١١٩ - ١٢٠ - ١٢٤ - ١٢٥	أهل الريف ١٢٤
١٣٦ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤١	أهل سلا ٨٣
١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٥٤	أهل السوس ١٣٩
١٦٣	أهل الصفيحه ٧٠
بنو الاحمر ٦٢ - ٧٣ - ١٠٢	أهل غرناطة ١٠٤
١٠٩	أهل فاس ٩١ - ٩٨ - ٩٩
بنو أبى الحسن ٧	١٠٠ - ١٠١ - ١١٤ - ١١٧
بنو أبى حفص ١٠٩	١٢٠
	أهل مالى ٣٤ - ٣٥

بنو وطلح ٩٨ - ١٠٩ - ١١٠	بنو أبي العباس ٨٦
١١٨ - ١١٩ - ١٣٨ - ١٤٧	بنو اسرائيل ١٢٢
١٤٨ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٦	بنو توجين ٣٤
١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩	بنو جابر ٣٢
بنو يزناسن ١٦٢	بنو راشد ١٢١
البيت الادريسي ١١٤	بنو زغبة ٥
	بنو زيان ٣٣ - ١٠٩ - ١٥٩
	١٦٢

حرف (ت)

تاشفين المريني ٥٥	بنو عامر بن رغبة ٤ - ٣٣ - ٥٧
تاملاط - أم موسى بن أبي عثمان	٨٥
٦٩	بنو عبد الحق ٩٥ - ١١٨
تبان المريني ١٠٠	بنو عبد الحميد العروسيون ١٥٢
الترك ٧٧ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦٢	١٥٣
١٦٣	بنو عبد الواد ٦٠
	بنو فرنكار ١٤٤ - ١٤٧
	بنو القبائلي ٨٦

حرف (ج)

جوهر - أم السلطان المستنصر بالله	بنو مرين ٤ - ٥ - ٦ - ٢٥ - ٣١
عبد العزيز بن أبي العباس - ٧٩	٤٢ - ٤٣ - ٥٠ - ٥٢ - ٦٠
٨١ - ٨٦	٦٢ - ٦٣ - ٧٤ - ٨١ - ٨٩
الجراكسة ٧٧	٩١ - ٩٥ - ١٠٠ - ١٠٩ -
الجلالة ١٠٩	١١٥ - ١١٨ - ١٢٠ - ١٣٢
	١٦١
	بنو منقل ٥ - ٣٣ - ٣٥ - ٥٧
	بنو الوزير ١١٨

حرف (ح)

الحوث بن عباد ١٣٢

الحبشة ٢٦

الحرّة ابنة أبي محمد السبائي ٦١

الحرّة ابنة الأمير أبي الحسن على

١٥٤

حركات بن حسون ٧٥

حسان بن أبي سعيد الصيحي ٦٦

حسن بن خير الدين باشا ١٦٣

الحسن بن علي الوردني ٣٢

الحسن بن عمر الفودودي ٤ - ٣

٥ - ٧ - ٨ - ٣٢ - ٣٣ -

الحسن بن محمد بن أحمد بن مرزوق

٨

الحسن بن الناصر ٧٠ - ٧١

الحسن بن يوسف الورتاجيني ٣٢

الحسين الشرطي ٩٨

حمو الزبائي ٨١

حرف (خ)

خالد ٨١

الخضر ١٢٢

خليل - الشيخ - ١٠١

خوان الاول ٩٢ - ٩٤

خير الدين باشا ١٦٢

حرف (د)

دكالة ١٣٦

دول الاروبا ١٦٢

دولة ابن الاحمر ٧

الدولة الاندلسية ١٧

دول بني الاحمر ١٢٤

دولة بني زيان ١٦١

دولة بني وطاس ١١٤ - ١٢١

الدولة السعدية ١٤٧

دولة الشرفاء الادارسة ١١٠

دولة الشريف العمراني ١١٤

الدولة المرينية ٦٢ - ٨٠ - ٨٦

١١٥ - ١٦١

الدولة الموحدية ٨٦

الديار المشرقية ١٦٣

حرف (ذ)

ذوي حسان ٣٥

حرف (ر)

رضوان الحاجب ٧ - ٩

الرضي - الشريف - ١٣١

رقية ابنة أبي عنان ٧١

الروم ٢٦

الريكي الثالث ٨٩

حرف (ز)

الزباء ٩٢

زناتة ٦٧

زروق ١.٢٢

زهو الوطاسية ١١٧ - ١٢٠

زيان بن عمر بن علي الوطاسي ٦٥

١١٨ - ١١٩ - ١٤٢

حرف (س)

السجيري ١١٧ - ١٢٠

سعد بن محمد الغني بالله بن الاحمر

٨١

السعديون ١٣٥ - ١٤٧ - ١٥٣

١٥٤ - ١٥٦ - ١٦٠ - ١٦٣

السعيد بن أبي عامر المريني ٨٧

السعيد بن عثمان ٤٤

سفيان الثوري ١٣٢

سليمان بن داود ٣ - ٤ - ٦ - ٣٨

٤١ - ٤٢ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤

سليمان بن سليمان خان ١٦٣

سليمان بن وقصار ٣٨ - ٤١ -

٤٢

سليم بن عبد الرحمن ٦٥

سويد ٤ - ٦٦

سيويه ١٠٠

حرف (ش)

الشادلية ١٦٤

الشاوية ٩٦ - ١١٦

شاويل اليهودي ٩٨

الشرفاء السعديون ١٢١

شعيب بن ميمون بن داود ٣٨

الشيرازي ١٣١

حرف (ص)

صالح التركماني - صالح رئيس -

١٦٠

صالح بن حمو الياباني ٨١ - ٩٤

٩٤

صغير بن عامر بن ابراهيم ٤

صالح بن صالح بن حمو الياباني ٩٦

صبح ٦٦

صنهاجة ١٥

حرف (ط)

طلحة بن حسان ٦٦

حرف [ظ]

الظاهر برفوق - الملك الظاهر - ٧٧

حرف [ع]

- عائشة ابنة القائد فارح العليج ٦٠
 عامر بن عبد الله بن ماساي ٥
 عامر بن محمد الهنتاني ٣-٤-٦
 ١٧-١٨-٤٢-٥٣-٥٤-٥٥-٥٦
 العباس بن عمر بن عثمان الوصافي ٧٣
 العباس بن المقداد ٧٠
 عبد الحق بن أبي سعيد بن أبي العباس ٩٤-٩٣
 عبد الحليم بن أبي اسحق الزياتي ٨٠
 عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد ٧٤-٥١-٤٤-٤٣
 عبد الرحمن بن أبي العباس القبائلي ٨٨-٨٧-٨٦
 عبد الرحمن بن أبي غنات ٣
 عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ٥١-٦٠
 ٦١-٦٢-٦٣-٦٥-٦٧
 ٦٩-٨١-١١٨-١١٩
 عبد الرحمن المنجور ١٥٨
 عبد الرحيم بن اسحق الزياتي ٨١
 عبد العزيز بن أبي العباس أحمد
- الحفصي ٧٩
 عبد الله بن أحمد المري - عبو -
 ٩٢-٩٣-٩٤
 عبد الله بن اسمعيل ١٤٤
 عبد الله بن كندوز العبد الوادي ٦٦
 عبد المهيمن بن أبي سعيد الحضرمي ٦٩
 عبد المومن بن أبي سعيد ٧٤
 عبد المومن بن أبي علي ٥١-٥٣
 عبد الواحد بن طلحة العروسي ١٥٢
 ١٥٣
 عبد الوارث الياصوتي ١١٦
 عثمان بن وزنمار ٤
 العثمانيون ١٦٢
 عسيلة - أم السلطان الوراق بالله بن
 أبي زيان ٧٢
 العرب ٥-٦-٣١-٣٣-
 ٣٤-٥٧-٦٧-٧٤-٨٥-
 ٩١-١٦١
 عرب أنكاد ٩٦
 عرب تامسنا ٣١-١٤٤
 عرب بني مقل ٦٧
 عرب جشم ٣٢
 عرب السوس الأقصى ٣٥
 عرب سويد ٥٧
 عرب صبيح ١٦٥

غمارة ٧١

حرف [ف]

فارح بن مهدى العلج ٨١ - ٨٧

٨٩ - ٩٠

فارس بن عبد العزيز بن محمد ٥٥

فتح الله السدراتى ٣٨

فرناندو ٩٥

الفرنسج ١٠٨ - ١٠٩ -

١٢٠ - ١٣٩ - ١٤٢ - ١٦٣

فرقاجة ٣٠

فضة - أم السلطان أبى زيان المرىنى ٤٤

حرف [ق]

القاسم بن أبى مدين ٥٩ - ٧٣

القادر العباسى ١٣١

القادرية ١٦٤

قبائل الحوز ١٥٣

قبائل العرب ١٥٣

قبائل السوس ١٣٩

قبائل صناكة ٥٤

القبائل الهبطية ٩٩ - ١١٤

القصة بشفشاون ١٢١

القنقاع بن شور ١٣٢

قمر - أم السلطان أبى سالم ٧

القهر دور ٦

عروج باشا ١٦٢

عرب المغرب الاقصى ٦٧

عسيلة أم السلطان الوائق بالله المرىنى

٧٢

عرب هلال ٤

على بن ادريس ٦٥

على بن حسان ٦٦

على بن هرون ١٥٥

على بن يوسف الوطاسى ٩٦ - ٩٧

عمرو بن سليمان الشيطلى الميظلى

- السيف - ١٢٢ - ١٢٣

عمر بن عبد الله الفودودى ٣٧

٣٨ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤

٤٥ - ١٥ - ٥٨

عمر بن عبد الله اليابانى ٤٥ - ٥٠

٥٢ - ٥٣

عمر بن على الوطاسى ١١٨

عمر بن يحيى الوطاسى ١٦٣

عياض القاضى ١٦٥

عيسى بن الحسن المصباحى ١١١

حرف [غ]

غازى بن أبى عبد الله محمد بن غازى

١١٣

غرسية بن انطول ٣٨ - ٤٢

غزوان ١٤٤

٦٢ - ٦٣ - ٦٩ - ٧٠
محمد بن عريف ٥٧

محمد بن علي بن يوسف الوطاسي ٩٧
محمد بن الغني بالله ابن الاحمر ٨١
محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي ٧٥

محمد بن موسى بن محمود الكردي ٧٨
محمد بن يوسف ابن الاحمر ٨٢
محمد بن يوسف بن علال الصنهاجي
٧٦ - ٧٨
المرايط ٩١

مريم ٥٢
مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي ٣
٥ - ٨ - ٣٨ - ٤١ - ٥٠ -
٥١ - ٦١ - ٦٢ - ٦٨ - ٦٩
٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤
مسعود بن الناصر ١٤٧ - ١٤٨
المعتصم بن أبي عنان المريني ٣
المعتد بن عباد ٣ - ١٩
مغراوة ٣٤
منسا زاطة ٣٥
منسا سليمان ٣٤ - ٣٥
منسا موسى ٣٤
المنصور ٢٠
المنصور بن أبي عبد الله ٩١
المنصور بن أبي غانم ١٦٣

فيس بن عاصم ١٣٣
قيصر ٩٢

حرف [ك]

كعب بن مامة ١٣٢
كلنب ١٠٧ - ١٠٨

حرف [ل]

لويز ماريا ١٣٦

حرف [م]

مبارك بن ابراهيم بن عطية ١٣ -
٤٤ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٦
محمد بن أبي زكرياء يحيى بن أبي
الحسن بن أبي دلالة ٩٥
محمد بن أبي ثابت ١٦١
محمد بن الاحمر - الغني بالله - ٨
١٢ - ١٧ - ٣٢ - ٥٨ - ٦١
٨٨
محمد بن أحمد الابكم ٧٣
محمد بن أحمد بن أبي سالم ٧١
محمد بن الزرقاء ٣٨
محمد بن عبد الحليم بن أبي علي بن
أبي سعيد ٧٤
محمد بن عثمان بن أبي تاشفين ٣٣
محمد بن عثمان بن الكاس المجدولي

- منصور بن أحمد بن محمد التميمي ٧٣
 ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨
 التجليز ٩٨
 منصور بن زيان الوطاسي ١١٧
 منصور بن سليمان ٤ - ٥ - ٦ -
 ٧ - ٨
 منقر ١٣٣
 منويل ١٣٦ - ١٣٩ - ١٤٣
 ١٣٩ - ١٤٣
 منويل بن باولو القشتلي
 ٨١ ٨٩ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤
 ٩٥ - ١٢٠ - ١٣٥ - ١٣٩ -
 ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٤ - ١٥٧
 المهدي بن عبد الرحمن بن ماسي ٧٠
 المهدي الشيعي ١٤٣
 الموحدون ١٦
 موسى ١٢٢
 موسى بن أبي سعيد ٦٦
 موسى بن أبي عنان ٦٨ - ٦٩ -
 ٧١ - ٧٢ - ٧٥
 ميمونة - أم السلطان أبي عمر تاشفين
 الموسوس - ٤١
 حريف [ن]
 الناصر بن أبي زكرياء ١٤٠ -
 ١٤٤
 الناصر بن محمد الشيخ - الكديد -
 ٧٣ - ٨٠ - ٨١ - ٩٤
 يحيى بن موسى ٧٢
 مروان اليهودي ٩٨ - ٩٩
 هنتاة ٣ - ١٨ - ٥٥
 حريف [و]
 الوطاسيون ٩٧ - ٩٨ - ١٣٥
 ١٥٣ - ١٥٧
 ونزار بن عريف السويدي ٦٨
 حريف [ي]
 الياسمين - أم السلطان أبي بكر بن
 أبي عنان المريني ٣
 يحيى بن أبي دلامة ٨٠
 يحيى بن أبي زكرياء ١١٩
 يحيى بن الحسن بن أبي دلامة التسولي
 ٧٨ - ٨٠
 يحيى بن الصائغ اليهودي ٨١
 يحيى بن عبد الرحمن ٤٢ - ٤٣
 يحيى بن علال ٨١
 يحيى بن علال بن آصمود الهسكوري
 ٧٣ - ٨٠ - ٨١ - ٩٤
 يحيى بن موسى ٧٢

- | | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| بعيش بن على بن فارس الياباني ٧٣ | يحيى بن ميمون ٥٤ |
| يغمراسن بن زيان ٦٦ - ١٦٣ | يحيى الجوطي ١١٤ |
| يوخنا الثاني ١٠٧ | يعقوب بن أبي حدو ١٦ |
| يوسف بن أبي حمو ٧٦ - ٧٧ - | يعقوب بن حسان ٦٦ |
| ٨٠ | يعقوب بن عبد الحق ٦٦ |
| يوسف بن تاشفين ١١٨ | يعقوب بن المنصور الموحدى ١٤٣ |
| يوسف بن على بن غانم ٧٧ | يعقوب التسولي ٩٧ |
| يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ٢٩ | يعيش بن عبد الرحمن بن ماساي ٧١ |
| اليونان ١٠٧ | يعيش بن على بن أبي زيان ٦ |

فهرس الاماكن

أرض السوس ٦٦	حرف [أ]
أرض ماركان ١٠٧-١٠٨	آزمور ٦٥-١١٠-١٣٥
أشبونة ٩٣-١٣٥-١٤٤	١٣٩-١٤٢-١٤٣
أشيلية ٤٤	آسفى ١٦-١٣٩-١٤١
أغمات ١٩-٢٠	١٤٣-١٥٤
أفريقية ٤-١٠٩	آصلا ٩٨-١١٠
اندرش ١٠٥-١٠٦	١١١
الاندلس ٦-٧-٩-١٢	١١٣-١١٦
١٤-٢٠-٢١-٢٧-٢٨	١١٩-١٢٠
٤٢-٤٣-٤٤-٥١-٥٦	١٤٠-١٤٢-١٤٤-١٥٢
٥٨-٥٩-٦١-٦٢-٦٣	آكادير ١١٠-١٣٩
٦٨-٦٩-٧٠-٧٢-٧٣	أكرسيف ٣٣
٧٥-٨١-٩١-١٠٢	آنفا - الدار البيضاء - ١٣-١١٠
١٠٣-١٠٧-١٠٩-١٢٥	١١٦-١٤٤
١٣٥-١٦٢	آنكاد ٥
حرف [ب]	آنماى ١٥٠
باب الجيسة بفاس ٣٩-٩٦	أبو عقبة بوادى العيد ١٥٤
١٢٤	أرض الاندلس ٥٨-٦٢-١٠٢
باب الحمراء بفاس ١٠١	١٢٠
باب الخميس بمراكش ١٤٨	أرض البروزى ١١١
باب الشريعة ١٣٥	أرض الجديدة ١١٠
باب فاس بمراكش ١٤٨	أرض السودان ١١٠

جبل بلنقة ١٠٦	تاصرورت ١٢٣ - ١٤٧
جبل بنى جابر ٥٤	تالمغت ٤٩
جبل درن ٥٠ - ٥٤	نامسنا ٩٦ - ٦٧ - ١٥
جبل الزعفران ٣٩	تانسيفت ١١١
جبل زرهون ١٥١	تاووبرت ٦٧
جبل شلير ١٠٣	تطاوين ٨٩ - ٩٠ - ١٠٦ -
جبل الصفيحة ٧٠	١٢٤ - ١٢٥ - ١٥٤
جبل طارق ٥٨ - ٦٣ - ٩٣ -	تلمسان ٤ - ٥ - ٦ - ٣٣ - ٣٤
٩٨ - ١٤٢	٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ -
جبل العلم ٢١	٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٤ - ٧٦
جبل العرض بفاس ١١١	١٠١ - ١٠٦ - ١٥١ - ١٦١
بطوية ٦١ - ٦٣ - ٦٧	١٦٢ - ١٦٣
جبل غمارة ٧٠	تونس ٧٠ - ٧٤ - ٩٠ - ٩١
جبل القتح ٧٢	١٠٦ - ١١٧ - ١٢٠ - ١٤٣
جبل مغيلة ٧٣	١٦٢
جبل هتانة ٣ - ١٨	تيجاس ٨٩
الجزائر ١٤٣ - ١٥٧ - ١٥٩	تيط ١١٠ - ١٣٦
١٦٢	
الجزائر المخالدات ١٠٨	حرف [ث]
جزيرة الاندلس ١٠٦ - ١٠٨	التغور الهبطية ١١٣
١١٠ - ١٢٤	
جزيرة السباس ١٦٥	حرف (ج)
الجزيرة الخضراء ٥٦	جبال غمارة ٧ - ٧٠
الجديدة ١٢٥ - ١٣٦ - ١٣٩	جبال المصامدة ٥٠
جنوة ١٠٧	جبال الكاي ٣
جوطة ١١٤	

حرف (ح)

- حجر باديس ١٤٣
حصن تاجحمومت ٦٨
حصن تازروت ٦٨
حصن عامر ٦
حصن فوتنى ١٣٩
حصن مرادة ٦٨

الحمراء - حمراء غرناطة - ٨ - ٧٢

١٠٤ - ١٠٥ - ١٢٤

حومة ايلان بمراكش ١٦٥

حومة البلدة بفاس ٩٩

حومة القصور بمراكش ١٤٤ - ١٦٦

حومة القلقلين بفاس ٩٩

حرف (خ)

خدق القصب ٣٩

حرف (د)

المدار البيضاء ١٤٤

دار الكومي ٩٩

دبدو ١٢٤ - ١٦٣

درب جنياره ٩٩

درب السعود ١٤٦

درعة ١٥٧

الدعاة ١١١

الدنيا الجديدة ١٠٨

ديار الاروبا ١٦٣

ديار الاندلس ١٧

الديار المغربية ١٦٣

حرف «ر»

الرباط - رباط الفنج - ٢٠ - ١٠٦

١١٠

رباط آسفى ١١٠

رباط شالة ٢٥

رندة ٨٤

رومة ١٠٤ - ١٠٥

الركن ٦٩

رياض الغزلان ٣٩ - ٥١

حرف «ز»

زرهون ٩٤

زنقة الجيلة ٨٧

حرف «س»

سبنسة ٤٤ - ٥٦ - ٥٨ -

٦٣ - ٦٩ - ٧٢ - ٧٣ -

٧٥ - ٨٣ - ٩٢ - ٩٤ -

٩٥ - ٩٦ - ٩٨ - ١٠٩ - ١١٠

١١١ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٣٨

حرف «ط»

الطالعة ٨٧
طرابلس ١٠١
طريف ٤١
طنجة ٧٣-٦٣-٦١-٤٥
٩٥-٩٦-٩٨-١١٠
١١١-١١٣-١٣٨-١٤٠
١٤٢

حرف «ع»

العرائش ١١٠
عدوة ١٠٤-٧٢-١٣
عدوة الاندلس ١٤٤
عدوة القرويين ٨٧
عدوة وادي شفشاون ١٢١
عقبة المساجين ١٤٥
عين القوادس بفاس ١٠٠

حرف «غ»

غرناطة ٩٣-٨٢-٦٣-٥٨
١٠٧-١٠٤-١٠٣-١٠٢
١٢٥-١٢٤

حرف «ف»

فاس ٣٢-٢١-٨-٤-٣

١٤٠

سبو ٤٣

سجلماسة ٥٣-٥١-٤٣-٣
٦١-٦٢-٦٥-٧٤
سلا ٢٤-٢٢-٢١-٢٠-١٣
٣٢-٤٥-٤٦-٤٩-٥٨
٨٢-٨٣-٨٤-١٠٦-١٠٩
١١٠-١١١
السودان ٩٢

السوس ١٤٧-١٤٠-٥٥

السوس الاقصى ١١٠

سبوس ٩١-٩٠

حرف «ش»

شالة ٣٠-٢٥-٢١
الشاوية ٦٧-٦٦
اشام ١٠٧
شفشاون ١٢١
شلف ٦٨

حرف «ص»

الصحراء ٣٥-٣٣-٢٦-٥-١١٩

صحراء السوس ٥٥

الصين ٩٢

١١٦-١٠٤-٨	قستانة	٥٣-٥١-٤٣-٣٥-٣٤
٩	القصة بغرناطة	٦١-٦٠-٥٩-٥٨-٥٥-٥٤
٥٢-٣٨-٣٧	القصة بفاس	٦٩-٦٨-٦٧-٦٥-٦٢
١٤٥		٧٩-٧٨-٧٣-٧٢
١١٩-٦٥-٥٣	قصة مراكش	٩١-٩٠-٨٧-٨٤
٦٨-٦٧	قصر تازروت	٩٩-٩٧-٩٦-٩٥-٩٤
١٥٦-١٥٣-١٥٢	القصر	١٠٦-١٠٥-١٠١-١٠٠
١٩٥	القصر الكبير	١١٦-١١٥-١١٢-١١١
١٤٠-١١٠-٧١	قصر كنامة	١٢٥-١٢٤-١٢٠-١١٩
- ١١٠-٩٦	قصر المجاز	١٤٦-١٤٥-١٤٤-١٣٥
١١١		١٥٠-١٤٩-١٤٨-١٤٧
٦٧	قصر ونزمار	١٥٦-١٥٤-١٥٣-١٥١
١٢٤-١٠٠-٩٦	القلعة بفاس	١٦٤-١٦١-١٦٠-١٥٩
١٥٥	قطرة الرصيف	١٦٥
حرف «ك»		٣٨-٣٧-٦-٥
كدية العرائس ٦-٨-٣٨-		٧٦-٧٤-٧٣-٤٣-٤٢
٤٥-٤٣-٣٩		٨٧-٩٩-١١٧-١٢٠-
حرف «م»		١٢٤
١٤١	مادرة	١١٦ فضالة
١٠٢	مالقة	حرف «ق»
١١٤	مخروط جوطة	١٣٨ قبة الخياطين
١١٦	المدرسة الغانية	١٠٦ قرطبة
١٤٤	مدرسة الوادي بفاس	١١٣-٩٩ القرويين
١٢٤-١١٦	مدريد	٨٣ قسنطينة
		١٠٧ القسطنطينية

١٠٨ - ١٠١ - ١٠٠ - ٩٥	٨ - المدينة البيضاء - فاس الجديد
١١٥ - ١١٤ - ١١١ - ١٠٩	٦١
١٢٤ - ١٢٠ - ١١٩ - ١١٨	٦٧ مرادة
١٥٦ - ١٤٧ - ١٤٦ - ١٣٦	مراكش ٣ - ٤ - ٨ - ١٣ - ١٦
١٦٥ - ١٦١	٢١ - ٢٥ - ٣٢ - ٣٥ - ٤٣
١٦٣ - ١٦٢ المغرب الأدنى	٥٠ - ٥٣ - ٥٤ - ٦٢ - ٦٥
٨١ - ٦٦ - ٦٥ المغرب الأقصى	٦٦ - ٦٧ - ٧٣ - ٨٦ - ٩٠
١٠٨ - ١٠٦ - ٩٢ - ٨٣	١٠٥ - ١١١ - ١١٨ - ١٢٣
١٦٣ - ١١٠ - ١٠٩	١٣٩ - ١٤٤ - ١٤٦ - ١٤٧
١٥١ - ١٠٩ - ١٠٨ المغرب الأوسط	١٤٨ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٦
١٦٣ - ١٦٢ - ١٥٩	١٥٧ - ١٦١ - ١٦٥ - ١٦٦
مسجد السوق الكبير بفاس الجديد	١٢٤ مرتيل
٩٠	١٠٣ مرج غرناطة
١٢٤ مسجد القرويين	١٣٩ مرسى آكادير
١٠١ مسراتة	٥٦ مرسى الجزيرة الخضراء
١٦١ مسلحة	٥١ مرسى عساسة
١٥٣ مشرع أبي عقبة	٩٢ مرسى سبة
٧٤ - ٥١ - ٣١ - ٧ المشرق	١٠٥ المرية
١٦٥ - ٨٥ - ٨٤	١٤٣ المعمورة
١٠٧ - ٧٧ مصر	٢١ - ٢٠ - ١٤ - ٨ - ٦ - ٥ - ٧ - ٨ - ١٤ - ٢١
٩٩ - ٦٧ - ٢١ مكناسة الزيتون	٣٥ - ٣٤ - ٣٣ - ٣٢ - ٣١
١٢٤ - ١٢٠ - ١١٦ - ١٠١	٤٢ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٨
١٥٧ - ١٥٦ - ١٥١ - ١٤٨	٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣
١٦٦	٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٧٠
٤٢ الملاح	٧٢ - ٧٤ - ٧٧ - ٧٩ - ٨٠
١٣٥ - ١٠٥ مليلة	٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٩١ - ٩٢ - ٩٤

١٥٦	وادی درنة	١٢٩	مملكة المغرب
٦	وادی سبو	١١٠	المهدية
١٥٤ - ١٥٣	وادی العبيد	١٤٤ - ١٤٣	ميناء المعمورة
٧٩	وادی مرتيل		حرف « ن »
٢٩	وادی ملوية		نهر سبو ١١٤ - ١٦٥
٣٩	وادی ورغة		حرف « و »
١٤٦	وادی اللين		وادی آش ٩ - ١٠٢ - ١٠٣
٦	وجدة		١٠٤
٣٣	وطاط		
١٦٢ - ١٤٣ - ١٠٦	وهران		